AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00984 4691

99-b4466
pwt

PJ
7510
I83
1945
v. 1-2
c. 1

وزارة المعارف العمومية

المنتخب من أدب العرب

جمعه وشرحه

أحمد الاسكندرى　　أحمد أمين بك　　على الجارم بك

عبد العزيز البشرى　　الدكتور أحمد ضيف

الجزء الأول

للسنة الأولى الثانوية

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٥٠

OCLC
318939250

B12324358
13651882

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله تعالى وسلّم على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فقد عدّلت وزارة المعارف مناهج الأدب العربيّ ، كما أخذت غيرها بفنون التعديل . وكان تاريخُ الأدبِ يُدرس فى المدارس الثانوية مبتدئًا من حيثُ يبتدئ الأدب ، ويظلّ مسترسلا إلى هذا العصر الذى نعيش فيه . فاجتمع رأيُها على أن يبدأ تدريسه فى هذه المدارس من هذا العصر لأن أدبه هو الحاضرُ لهم ، المُلابِسُ لحسّهم ، المترجمُ عما يُحيط بهم . فاذا انتهَوْا منه ، ترقّوْا إلى العصر الذى فوقه ، فإنه أدنى إليهم ، وأحضرُ من سواه لهم . وهكذا . وكذلك وضعنا كتابَ : " تاريخ الأدبِ العربىّ " ، وعلى هذا النحوِ حرّرناه .

ولقد دعا ذلك ، بالضرورة ، إلى تغيير الوضع فيما كنا قد اخترناه من النصوص الأدبية فى كتابِ : " المنتخب من أدب العرب " وخاصةً بعد إذْ فُرض تاريخُ الأدب ، فى هذه المناهج الجديدة ، على طُلّاب السنتين : الأولى ، والثانية . ولم يكن لها فيه حظٌّ كبير ولا صغير .

وقد أخرجنا هذا المنتخبَ الجديدَ فى أربعة أجزاء ، لكلّ سنةٍ من سِنِي التعليم الثانوىّ جزءٌ مقسوم .

وقد حَرَصْنا أشدَّ الحرص ، فى هذا الكتابِ أيضًا ، على أمرَيْن نرى أن لهما خطرًا عظيما :

(الأول) أن تكون النصوص التى نختارها لكلّ عصر من عصور الأدب العربىّ مرآةً صافية ، وصورةً صادقةً واضحةً للحياة الأدبية فى هذا العصر ، على اختلاف فروعها ، وافتراق نزعات الشعراء والكُتّاب والأدباء فيها ؛ بحيث يستطيع المعلّمُ أن يعتمدَ عليه فى تصوير ما يدرّس للمتعلمين من تاريخ الأدب ، ويستطيع المتعلمون أن يجدوا فيه تَصْدَاقَ ما يسمعونَ من الأساتذة ، ويقرءون من الكتب من حقائق هذا التاريخ .

(الثانى) أن يكونَ ما اخترناه ، على صحة تمثيله للعصور الأدبية ، وصدق تصويره لشخصيّات الأدباء ، ومذاهبهم فى الأدب ، فى جملته جميلا رائقًا ، وجَزْلا رائعا ، خفيفَ الموقع من الأسماع ، لطيفَ المسلك إلى النفوس ، يستطيع أن يبعثَ فى قلوب الشباب حبَّ لغتهم وأدبها ، ويرغّبهم فى الاسْتِزَادَةِ منهما ، والتفقُّهِ فيهما : وتوخَّينَا ، إلى ذلك كلّه ، أَنْ يكونَ جُلُّ ما اخترناه من الشعر والنثر سهلًا يسيراً ، يلائم حالةَ الشباب وطاقتهم .

على أننا ، فوقَ هذا ، ضبطنا الجزء الأوّل بالشكل الكامل ، توسُّلا إلى أَخْذِ المبتدئينَ بالمنطق الصحيح للجديد عليهم من فُصَح العربية ، كما تحرّينا شرحَ كلّ ما يَغْرُبُ عليهم من مفردات اللغة ، حتى لا تختلطَ المعانى على أذهانهم . على أنه كلما علت بهم السنون ، تَخَفَّفْنا من هذا وهذا بقدر ، طوعًا لسنّة التدريج .

ونحن نرجو أن نكونَ قد وُفّقنا من ذلك إلى ما قصدناه ، والله وحدَه ولىُّ التوفيق .

عصر النهضة الحديثة

(أ) النثر

١ - الشيخ عبد الرحمن الجبرتى[1]

قال فى كتابه " عجائب الآثار، فى التراجم والأخبار " عند الكلام على الحملة الفرنسية سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف :

وهى أولُ سِنِي الملاحِيم[2] العظيمة، والحوادِث الجسيمة[3]، والوقائع النازلة، والنوازل الهائلة، وتضاعُف الشرور، وترادُف[4] الأمور، وتوالى المِحَن، واختلالِ الزمن، وانعكاسِ المطبُوع، وانقلابِ الموضوع، وتتابُعِ الأهْوَال، واختلافِ الأحوال، وفسادِ التدبير، وحصُولِ التدْمير، وعُمُومِ الخرَاب، وتواتُرِ[5] الأسْباب : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ .

فى يوم الأحد العاشر من شهر محرَّم الحرَام من هذه السنة، وردت مكاتباتٌ على يد السُّعَاةِ من ثَغْرِ الإسْكَنْدَرِيَّة، ومضمونُها أن فى يوم الخميس ثامنه حضَر

(١) هو مؤرخ مصرى، ولد بمصر وتعلم بالأزهر . ونسبته الى جبرت وهى الزيلع فى بلاد الحبشة . عينه نابليون حين احتلاله مصر كاتبا فى الديوان . وكان مفتى الحنفية فى عهد محمد على باشا؛ وأشهر مؤلفاته التاريخ المعروف باسمه، قيد فيه حوادث مصر من سنة ١١٠٠ هـ الى سنة ١٢٣٦ هـ . وقد مات سنة ١٢٤٠ هـ بعد أن كف بصره من كثرة البكاء على ابن له قتل .

(٢) الملاحم : جمع ملحمة، وهى الحرب العظيمة .

(٣) الجسيمة : العظيمة .

(٤) ترادف : تتابع .

الى الثغر عدة مراكب من مراكب الإنجليز ، ووقفت على البعد بحيث يراها أهل الثغر ، وبعد قليل حضر خمسة عشر مركباً أيضاً ، فانتظر أهل الثغر ما يريدون ، وإذا بقايق صغير واصل من عندهم وفيه عشرة أنفار ، فوصلوا البر واجتمعوا بكاير البلد ، والرئيس إذ ذاك فيها والمشار إليه بالإبرام والنقض ، السيد محمد كريم الآتى ذكره ، فكلموهم واستخبروهم عن غرضهم ، فاخبروا أنهم إنكليز ، حضروا للتفتيش على الفرنسيس لأنهم خرجوا بعمارة(١) عظيمة ، يريدون جهة من الجهات ، ولا ندرى أين قصدهم ، فربما دهموكم ، فلا تقدرون على دفعهم ، ولا تمكنوا(٢) من منعهم ، فلم يقبل السيد محمد كريم منهم هذا القول ، وظن أنها مكيدة ، وجاوبوهم بكلام خشن فقالت رسل الإنكليز : نحن نقف بمراكبنا فى البحر ، محافظين على الثغر ، لا نحتاج منكم إلا الإمداد بالماء والزاد بثمنه ، فلم يجيبوهم لذلك ، وقالوا : هذه بلاد السلطان ، وليس للفرنسيس ولا غيرهم عليها سبيل ، فاذهبوا عنا ، فعندها عادت رسل الإنكليز ، وأقلعوا فى البحر ، ليمتاروا(٣) من غير الإسكندرية ، وليقضى الله أمراً كان مفعولاً ، ثم إن أهل الثغر أرسلوا إلى كاشف البحيرة ليجمع العربان ، ويأتى معهم للمحافظة بالثغر — فلما قرئت هذه المكاتبات بمصر حصل بها اللغط(٤) الكثير من الناس ، وتحدثوا بذلك فيما بينهم ، وكثرت المقالات(٥) والأراجيف .

---

(١) يريد أسطولا .
(٢) هكذا فى الأصل ، والصواب : ولا تمكنوه
(٣) ليجلبوا الميرة ، وهى الزاد .
(٤) المقالات : الأقوال .
(٥) الأراجيف : الأقوال تقال على جهة التخيل والظن أو الكذب والادعاء .

٢ - من كتاب للشيخ حسن العطار[١]

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَحْسَنَ وَشْيٍ رَقَمَتْهُ[٢] الْأَقْلَامُ[٣]، وَأَبْهَى زَهْرٍ تَفَتَّحَتْ عَنْهُ الْأَكْمَامُ[٤]، عَاطِرُ سَلَامٍ يَفُوحُ بِعَبِيرِ[٥] الْمَحَبَّةِ نَفْحُهُ[٦]، وَيُشْرِقُ فِي سَمَاءِ الطُّرُوسِ[٧] صُبْحُهُ.

سَلَامٌ كَزَهْرِ الرَّوْضِ أَوْ نَفْحَةِ الصَّبَا * أَوِ الرَّاحِ تُجْلَى فِي يَدِ الرَّشَإِ الْأَلْمَى[٨]

سَلَامٌ عَاطِرُ الْأَرْدَانِ[٩]، تَحْمِلُهُ الصَّبَا سَارِيَةً عَلَى الرَّنْدِ[١٠] وَالْبَانِ[١١]، إِلَى مَقَامِ حَضْرَةِ الْمُخْلِصِ الْوِدَادِ، الَّذِي هُوَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الْعَيْنِ وَالْفُؤَادِ، صَاحِبِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، حِلْيَةِ الزَّمَانِ الَّذِي حَلَّى بِهَا مِعْصَمَهُ وَجِيدَهُ.

٣ - رفاعة بك رافع الطهطاوى[١٢]

من كلام له فى حُبِّ الوطن:

إِنَّ حُبَّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَمِنْ طَبْعِ الْأَحْرَارِ إِحْرَازُ الْحَنِينِ إِلَى الْأَوْطَانِ. وَمَوْلِدُ الْإِنْسَانِ عَلَى الدَّوَامِ مَحْبُوبٌ، وَمَنْشَؤُهُ مَأْلُوفٌ لَهُ وَمَرْغُوبٌ. وَلَا أَرْضَكَ

(١) هو الشيخ الأكبر حسن بن محمد العطار. كان من علماء الأزهر، وزار أهم الممالك الاسلامية، وصار بعد محررا للوقائع المصرية أول ظهورها، ثم صار شيخا للأزهر الشريف وكان، على علمه، شاعرا كاتبا بليغا، توفى سنة ١٢٥٠ هـ. (٢) الوشى: المحسن بالألوان. يريد به هنا: زخرفة الكلام. (٣) رقمته: خططته. (٤) الأكمام: جمع كم بكسر الكاف وتشديد الميم، وهو غلاف الزهرة التى تنشق منه. (٥) العبير: أخلاط من الطيب. (٦) نفحه: رائحته. (٧) الطروس: الأوراق واحدها طرس بكسر الطاء. (٨) الراح: الخمر. تجلى: بالبناء للمجهول تكشف وتدار مشرقة. الرشأ: ولد الظبية. والألمى: المسود الشفة، وهذه الصفة من مظاهر المحسن عند العرب. (٩) الأردان: جمع ردن بضم الراء، وهو طرف الكم. (١٠) الرند: نبات طيب الرائحة. (١١) البان: شجر معتدل القوام يستخرج من حبه دهن طيب.

(١٢) ولد بطهطا، مدينة بمديرية جرجا، وربى بالأزهر وفرنسة، وشغل مناصب تعليمية وسواها، ألف عدة كتب. وهو على الجملة من أول بناة النهضة الحديثة فى العلم والأدب. وتوفى سنة ١٢٩٠ هـ.

حُرْمَةُ وَطَنِهَا، كَمَا لِوَالِدَتِكَ حَقُّ لَبَنِهَا . وَالْكَرِيمُ لَا يَخْفُو أَرْضًا بِهَا قَوَابِلُهُ (١)، وَلَا يَنْسَى دَارًا فِيهَا قَبَائِلُهُ . فَإِنِّي وَإِنْ أَلْبَسَتْنِي الْمَحْرُوسَةُ نِعَمًا، وَرَفَعَتْ لِي بَيْنَ أَمْثَالِي عَلَمًا (٢)، وَكَانَتْ أُمَّ الْوَطَنِ الْعَامِّ، وَوَلِيَّةَ الْآلَاءِ وَالْإِنْعَامِ . وَأُحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا، لِأَنَّهَا وَلِيَّةُ النُّعْمَا . وَقَضَيْتُ فِيهَا الْأَرْبَعِينَ مُجَاوِرًا « كِرَامَ السَّجَايَا وَالْبُحُورَ الطَّوَامِيَا » . فَلَا زِلْتُ أَتَشَوَّقُ إِلَى وَطَنِي الْخُصُوصِيِّ وَأَتَشَوَّفُ (٣)، وَأَتَطَلَّعُ إِلَى أَخْبَارِهِ السَّارَّةِ وَأَتَعَرَّفُ . وَلَا أُسَاوِي بِطَهْطَا الْخِصْبَةِ سِوَاهَا، فِي الْقِيَامِ بِالْحُقُوقِ وَإِكْرَامِ مَثْوَاهَا .

مَنَازِلُ لَسْتُ أَهْوَى غَيْرَهَا سُقِيَتْ * حَيًّا يَعُمُّ (٤)، وَخُصَّتْ بِالتَّحِيَّاتِ

وَأَمْنَحُهَا زَمَنًا بَعْدَ زَمَنِ الزِّيَارَةِ، وَأُجَدِّدُ فِيهَا مِنْ هِبَاتِ الْحُكُومَةِ الْعِمَارَةِ . وَأَبْذُلُ فِي مَحَبَّتِهَا النَّفِيسَ لِتَحْصِيلِ الْأَرَاضِي لِلزَّرْعِ وَالْغَرْسِ، وَأَفْتَخِرُ بِهَا كَمَا افْتَخَرَ عِصَامٌ (٥) بِالنَّفْسِ، وَأُنْشِدُ قَوْلَ الْحَافِظِ كَمَالِ الدِّينِ الْأَدْفُوِيِّ :

أَحِنُّ إِلَى أَرْضِ الصَّعِيدِ وَأَهْلِهِ * وَيَزْدَادُ وَجْدِي حِينَ تَبْدُو قِبَابُهَا

وَتَذْكُرُهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ مُهْجَتِي * فَتَجْرِي دُمُوعًا إِذْ يَزِيدُ الْتِهَابُهَا

لعبد الله باشا فكرى (٦)

سَلَامٌ يُعَبِّرُ عَنِ الْوِدَادِ طِيبُ عَبِيرِهِ (٧)، وَيُخْبِرُ عَنْ إِخْلَاصِ الْفُؤَادِ لُطْفُ تَعْبِيرِهِ،

(١) القوابل : جمع قابلة . وهى التى تتلقى الولد عند ولادته . (٢) العلم بفتحتين : الراية، يريد أنها أعظمت شأنه وأكرمت محله .

(٣) تشوف إلى الشىء : تطلع إليه فى شغف .

(٤) الحيا : المطر . يدعو لها بالخصب والرخاء .

(٥) يشير إلى قول الشاعر :

نفس عصام سوّدت عصاما * وعلمته الكر والإقداما

* وصيرته ملكا هماما *

(٦) انظر ترجمته فى الشعر . (٧) عبير الزهر : رائحته الطيبة .

وثناءٌ على محاسنِ تلكَ الشمائل[1]، أرقُّ مِنْ نسماتِ الشمائل[2]، وتحيَّةٌ بهيَّةٌ تُباهي الخمائل[3] بنفحاتِ أوْرادِها[4]، وأدعيةٌ مَرْضيَّةٌ جعلتْها الألسنةُ خيرَ أوْرادِها[5]، وسؤالٌ عنِ المزاجِ الزاهرِ، وصحةِ الخاطرِ الباهرِ. لا زلتُمْ محلَّ نِعْمةٍ يتصلُ على مدى الأيامِ بقاؤُها، ويزيدُ على مرِّ الشهورِ والأعوامِ بهاؤُها، ولا برحتْ ثغورُ الإقبالِ إليكُمْ بواسمَ، ورياحُ الآمالِ لديكُمْ نواسمَ[6].

وبعدُ، فإنَّ بي منَ الأشواقِ، ما تضعفُ عنْ حملِهِ إلى حماكُمُ الأوراقُ، ومنَ التأسُّفِ على ما حُرِمْتُهُ منْ لُقْياكُمْ، والتلهُّفِ إلى مُطالعةِ أنوارِ مُحيَّاكُمْ، ما يقصُرُ عنْ وصفِهِ لسانُ اليراعةِ[7]، ويُقصرُ دونَ وصفِهِ بيانُ البراعةِ، ويضيقُ عنهُ نطاقُ العبارةِ، ولا ينفسحُ لهُ ميدانُ الإشارةِ.

ومن كتاب له أيضًا إلى بعض أصحابه:

كتبتُ والذهنُ فاترٌ[8]، منْ وهنِ الدفاترِ، والتبييضِ والتسويدِ، والتقييدِ والتسديدِ، والترجمةِ وكثرتِها، والماهيَّةِ[9] وقلتِها، والنفسِ وذلتِها، ورواتبي لا يكفي أجرةَ البيتِ، ولا يفي ثمنَ الماءِ والزيتِ، وبالأمسِ وعدَ الوكيلُ بالزيادةِ، واعتذرَ اليومَ بالأصيلِ[10] على العادةِ، على أنه لو حصلتْ زيادةٌ فلزيدٍ

---

(١) الخلال والسجايا. (٢) جمع شمال، اسم ريح. (٣) الخمائل: جمع خميلة وهي الشجر الكثير الملتف. (٤) الأوراد: الورود. (٥) الأوراد: ما يتلوه الناسك من الأذكار. (٦) نسمت الريح: تحركت وهبت. (٧) اليراعة: القلم، وهي في الأصل: القصبة. (٨) الفترة: الضعف، فالذهن الفاتر: المتعب المكدود.

(٩) الماهية في اصطلاح المناطقة: حقيقة الشيء، واستعملها العامة بمعنى المرتب.

(١٠) الأصيل: يريد به الرئيس.

وعمرو، إلى آخر الزمر، ولله الأمر. أحوالٌ متبددة، ونفوسٌ متبلدة، وأشغالٌ متعددة، وإخوانٌ خوّان[1]، وخلانٌ غيلان، ورفاق، وما أجمل الفراق! وقلت:

ألا أعاني الصبرَ والدهرُ غادرُ ... وحتى متى أشكو ومالي عاذرُ

ولو أنني أشكو عظائم شدتي ... لمتُّ، لرقّت لي العظامُ النواخرُ

وسألت عن فلان وفلان، وهيّان بن بيّان[2]، ممن ينتسب للعلم وأهله، ويتظاهر بشعار فضله، ولو كان العلمُ بلحية تعظم وتطوّل، وشوارب تحفّ وتستأصل، وعيون على ما بها من غمص ورمص تكحّل ... ... فهم أعلم من أقلته الغبراء، وأفقه من أظلته الخضراء[3]، وإن كان للعلم غير هذه الآلات، فما لهم سوى هذه الحالات ... ... يا قوم: أهذا النحو وإعرابه، والصرف وأبوابه، والعروض وأوزانه وأبحره، والمعاني وإنشاؤه وخبره، والبيان وفرائده، والبديع وشواهده، وهذه العلوم الموضوعة، والأسفار المحمولة، والدروس المأهولة[4]، والأصوات المهولة، لمجرد معرفة ضرب زيد لعمرو، وقتال خالد لبكر. وأن قال أصلها قول، ثم لا يدري ما حصل، والطويل من فعولن مفاعيلن، ثم لا يعلم كيف ينظم، والفصل والوصل، ولا أصل ولا فصل، والحقيقة والمجاز، وليس لها مجاز، والتورية والجناس، مما يحفظ ولا يقاس. إذا والله تكون تلك الفنون من أفانين[5] الجنون، ويكون الميل إليها، والإقبال عليها، عملا حابطا[6]، وشغلا

(١) خوان: جمع خائن.
(٢) هيان بن بيان: اسم لمن لا يعرف ولا يعرف أبوه.
(٣) الخضراء: السماء.
(٤) الغاصة بالتلاميذ.
(٥) أفانين: أنواع.
(٦) حابطا: باطلا.

ساقطًا ، وهوسًا عاطلا ، ووسواسًا باطلا ، ويكون واضعوها أساءوا الناس ، وأخطأوا القياس ، وبنوا على غير أساس ، كلا إنما وضعوا هـذه القواعد ، وشرعوا للناس تلك الموارد(١) ليتكلموا بكلام العرب مثل ما تكلمت ، ويفهموا من ألفاظها كالذى فهمت ، ويترجموا عن سرائر الضمائر كما ترجمت ، وينثروا وينظموا كما نثرت ونظمت . وقد كانت هذه العربُ التى أودع اللهُ الفصاحةَ لسانَها ، وشرف بسيدنا النبى والقرآن العربى مكانَها ، تتكلم بهذه اللغة العلية ، على الفطرة الأصلية ، والسجية الجبلية ، من غير هـذه القواعد والأصول ، وتلك الأبواب والفصول . وكانت تعتد البلاغة مبلغ علاها ، وتعتقد الفصاحة من محاسن حلاها ، إلى أن خلف هذا الخلف ، فظنوا تلك الوسائل مقاصد ، ليس بعدها غاية لقاصد ، وحسبوا هذه الكتب تقصد لذاتها ، ويكتفى بالتعبد بكلماتها ، فوقفوا عندها ، ولم يتجاوزوهم لما بعدها ، واتخذوا الأدب وراءهم ظهريًا(٢) ، وجعلوا النظم والنثر شيئًا فريًا(٣) ...

٥ – السيد عبد الله النديم(٤)

من رسالة طويلة ، تعمد فيها أن يقتبس الفاصلة الثانية من آى الذكر الحكيم :

لا حول ولا قوة إلا بالله ، اشتبه المراقبُ(٥) باللاه(٦) ، واستبدل الحلوُ بالمر ، وقدم الرقيقُ(٧) على الحر ، وبيع الدرُّ بالخزف(٨) والخزُّ(٩) بالخشف ، وأظهر كل لئيم كبره ، إن

(١) الموارد : مواضع الماء يستق منها . شرعوها : فتحوها . (٢) أى نبذوه .
(٣) أى إنما . (٤) انظر ترجمته فى الشعر . (٥) يريد بالمراقب : من يراقب الله تعالى ويخشى عذابه . (٦) اللاه : اللاهى ، وهذا جناس . (٧) الخزف : الفخار .
(٨) الخز بفتح الخاء : الحرير يخلط بالصوف . (٩) الخشف : الردىء من الصوف .

فِي ذَلِكَ لَعِبْرَة : سَمْعًا سَمْعًا، فالوُشَاةُ إنْ سَعَوْا لَا يَعْقِلُوا ، ويُحِبّونَ أَنْ يُحمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا، فَكَيْفَ تَشْتَرُونَ مِنْهُم القَارَ(١) فِي صِفَةِ العَنْبَرِ، وَقَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ، وكيف تَسمع الأَحْبَابُ لِمَنْ نَهَى مِنْهُمْ وَزَجَرَ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ(٢) . عَجِبْتُ لَهُمْ وَقَدْ دَخَلُوا دَارَنَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ . فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا(٣) إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ . وأَنْتَ يَا عَزِيزَ العَلْيَا، وَوَحِيدَ الدُّنْيَا، قَدْ بَيَّنْتُ لَكَ فِعْلَهُمْ، فَبِمَا رَحْمَةٍ(٤) مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ . وَلَكِنَّهُمْ طَمِعُوا فِي عَمِيمِ طَوْلِكَ(٥)، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا(٦) غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ . أَتُرَاهُمْ يَعْقِلُونَ كَلَامَكَ أَمْ يَفْهَمُونَ؟ ، لَعَمْرُكَ(٧) إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ(٨) . لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَدْرُونَ بِهَا نَجْحَ قَرَارًا، لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا . كَيْفَ يَسْعَى العَاذِلُ بَيْنَ النَّدِيمِ وَإِلْفِهِ ، وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ(٩) مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ . فَيَا سَادَتِي : دَعُونِي مِنَ المُعْجِبِ والمُطْرِبِ، لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، وَاجْعَلُوا سَيْفَ ثَبَاتِكُمْ لِلعُدَّالِ مَسْلُولًا، وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا .

---

(١) القار : الزفت .

(٢) ازدجره كزجره : منعه ونهاه .

(٣) البأس : القوة . وركض : جرى وعدا .

(٤) فبما رحمة : فبرحمة ، وما للتوكيد .

(٥) طولك بفتح الطاء : إحسانك .

(٦) الفظ : الجافي النفس السيئ الخلق .

(٧) لعمرك بفتح العين وسكون الميم وضم الراء : وحياتك

(٨) يعمهون : يتحيرون .

(٩) النذر بضمتين : جمع نذير بمعنى الإنذار .

٦ – السيد جمال الدين الأفغانى[1]

كتب إلى عبد الله باشا فكرى يعتب عليه وقد بلغه أن رجلاً ذمّه أمام الخديو على مسمع من فكرى باشا فسكت ولم يدافع عنه[2] :

مـــولاى ! إنْ نَسَبْتُك إلى هَوَادَةٍ فى الحَقّ وَأَنْتَ – تقدّستْ جِبِلَّتُك[3] – فُطِرْتَ عليه وتخوضُ الغَمَرَاتِ إِلَيْه، فَقَدْ بِعْتُ يقينى بالشك ، وإن توهمتُ فيك حَيَدَانًا[4] عن الرُّشد ، وَجَوْرًا عَن القَصْد، وَأَنَا مُوقِنٌ أَنَّكَ لَا زِلْتَ عَلَى السَّدَادِ غَيْرُ مُفْرِط وَلَا مُفَرِّط[5] فَقَدِ اسْتَبْدَلْتُ عِلْمِى بالجَهْل – وَلَوْ قُلْتُ : إِنَّكَ مِنَ ٱلَّذِينَ تَأْخُذُهُمْ فِي الحَقِّ لَوْمَةُ لائِم، وَتَصُدُّهُمْ عَنِ الصِّدْقِ خَشْيَةُ ظَالِم، وَأَنْتَ تَصْدَعُ بِهِ[6] غَيْرَ وَانٍ وَلَا ضَجِر ، وَلَوْ أَلَبَّ[7] البَاطِلُ الكَوَارِثَ المُرْدِيَةَ وَأَجْرَى عَلَيْكَ الخُطُوبَ المُوبِقَةَ، لَكَذَّبْتُ نَفْسِى وَكَذَّبَنِى مَنْ يَسْمَعُ مَقَالَتِى، لِأَنَّ ٱلعَالِمَ وَالجَاهِلَ وَالفَطِنَ

---

(١) هو محمد بن صفتر ولد فى أسعد أباد وتنقل فى بلاد الهند وأفغانستان ، ثم رحل إلى الآستانة ، ثم نفى منها فجاء مصر ونفخ فيها من روحه ، وأسس نهضة إصلاحية فى الدين والسياسة وتلمذ له فيها الشيخ محمد عبده وغيره ، نفى من مصر ، ثم قصد باريس وأنشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة «العروة الوثقى» ثم دعى إلى الآستانة وبها مات سنة ١٣١٥ هـ .

(٢) قد تبين للسيد بعد ذلك أن فكرى باشا دافع عنه فى ذلك المقام أبلغ دفاع .

(٣) أى طهر أصلك وطبعك .

(٤) الحيدان : الميل .

(٥) الإفراط فى الشىء : المغالاة فى الأخذ فيه . والتفريط : إهماله كل الإهمال .

(٦) تصدع به : تجهر به .

(٧) ألب : جمع .

وَالْغَبِيُّ كُلُّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى طَهَارَةِ سَجِيَّتِكَ، وَنَقَاوَةِ سَرِيرَتِكَ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْفَضَائِلَ حَيْثُ أَنْتَ، وَالْحَقُّ مَعَكَ أَيْنَمَا كُنْتَ، لَا تُفَارِقُ الْمَكَارِمَ وَلَوِ اضْطُرِرْتَ وَأَنْتَ مَجْبُولٌ عَلَى الْخَيْرِ لَا يَحُومُ حَوْلَكَ شَرٌّ أَبَدًا، وَلَا تَصْدُرُ عَنْكَ نَقِيصَةٌ قَصْدًا، وَلَا تَهِنُ[1] فِي قَضَاءِ حَقٍّ، وَلَا تَنِي عَنْ شَهَادَةِ صِدْقٍ — وَمَعَ هَذَا وَهَذَا وَذَاكَ إِنَّكَ مَعَ عِلْمِكَ بِوَاقِعِ أَمْرِي، وَعِرْفَانِكَ بِسَرِيرَتِي وَسِرِّي، أَرَاكَ مَاذُدْتَ عَنْ حَقٍّ كَانَ وَاجِبًا عَلَيْكَ حِمَايَتُهُ، وَلَا صُنْتَ عَهْدًا كَانَتْ عَلَيْكَ رِعَايَتُهُ، وَكَتَمْتَ الشَّهَادَةَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي مَا أَضْمَرْتُ لِلْخَدِيوِ وَلَا لِلْمِصْرِيِّينَ شَرًّا، وَلَا أَسْرَرْتُ لِأَحَدٍ فِي خَفِيَّاتِ ضَمِيرِي ضُرًّا. وَتَرَكْتَنِي وَأَنْيَابَ الذُّلِّ اللَّئِيمِ (فُلَانٍ) حَتَّى تَهْشِمَنِي هَشْمَ السَّبُعِ الْهَرِمِ الْعِظَامَ، ضَغِينَةً مِنْهُ عَلَى السَّيِّدِ إِبْرَاهِيمَ اللَّقَانِيِّ وَإِغْرَاءً مِنْ أَعْدَائِي أَحْزَابِ (فُلَانٍ)! مَا هَكَذَا الظَّنُّ بِكَ، وَلَا الْمَعْرُوفُ مِنْ رُشْدِكَ وَسَدَادِكَ، وَلَا يُطَاوِعُنِي لِسَانِي — وَإِنْ كَانَ قَلْبِي مُذْعِنًا بِعُظْمِ مَنْزِلَتِكَ فِي الْفَضَائِلِ، مُقِرًّا بِشَرَفِ مَقَامِكَ فِي الْكَمَالَاتِ — أَنْ أَقُولَ: عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ، إِلَّا أَنْ تَصْدَعَ بِالْحَقِّ، وَتُقِيمَ الصِّدْقَ، وَتُظْهِرَ الشَّهَادَةَ إِزَاحَةً لِلشُّبْهَةِ، وَإِدْحَاضًا لِلْبَاطِلِ، وَإِخْزَاءً لِلشَّرِّ وَأَهْلِهِ؛ وَأَظُنُّكَ قَدْ فَعَلْتَ أَدَاءً لِفَرِيضَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ. ثُمَّ إِنِّي يَا مَوْلَايَ أَذْهَبُ الْآنَ إِلَى لَنْدَنَ وَمِنْهَا إِلَى بَارِيسَ مُسَلِّمًا عَلَيْكُمْ، وَدَاعِيًا لَكُمْ — وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَخِي الْفَاضِلِ الْبَارِّ أَمِينِ بِكْ.

٨ صفر سنة ١٣٠٠ جمال الدين الأفغاني

---

(١) تهن: تضعف.

٧ - لأديب إسحاق[1]

أوروبا والشرق

كتب تحت هذا العنوان :

قُضِيَ عَلَى الشَّرْقِ أَنْ يَهْبِطَ بَعْدَ الِارْتِفَاعِ ، وَيَذِلَّ بَعْدَ الِامْتِنَاعِ[2] وَيَكُونَ هَدَفًا[3] لِسِهَامِ الْمَطَامِعِ وَالْمَطَالِبِ ، تَعْبَثُ بِهِ أَيْدِي الْأَجَانِبِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . فَمِنْهُمْ مَنْ يُغِيرُ عَلَيْهِ بِحُجَّةِ الْغَيْرَةِ عَلَى الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَدَاخَلُ فِيهِ بِدَعْوَى إِقَامَةِ الْمَدَنِيَّةِ . فَلَمْ نَرَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَقَ فِي دَعْوَاهُ ، بَلْ كُلُّهُمْ تَابِعٌ فِي ذَلِكَ قَصْدَهُ وَهَوَاهُ .

٨ - نجيب الحداد[4]

كتب فى إرضاء الناس :

« عِبَارَةٌ لَوْ وُضِعَتْ فِي كُتُبِ اللُّغَةِ لَكَانَتْ أُخْتَ الْمُسْتَحِيلِ فِي الْمَعْنَى ، وَمُرَادِفَ النَّجِيمِ فِي الْبُعْدِ ، وَشِبْهَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ[5] فِي النُّدْرَةِ وَالْقِلَّةِ . وَإِنْ شِئْتَ فَقُلْ : إِرْضَاءُ النَّاسِ كَلِمَةٌ تُقَالُ ، وَلَا تُنَالُ ، حَتَّى يُصَاغَ مِنَ الْحَائِمِ خَلْخَالٌ . وَمَنْ

---

(١) ولد بدمشق وتعلم فى مدارس المرسلين العربية والفرنسية ، وأجاد الأدب العربى واشتغل بالسياسة والصحافة ، وأنشأ جريدة مصر واتصل بجمال الدين الأفغانى . وتوفى سنة ١٨٨٥ م . ويمتاز أسلوبه بالإرسال المزوج بالسجع مع السهولة .

(٢) الامتناع : الرفعة والتمنع على صروف الزمن أن تنال منه شيئا .

(٣) الهدف : بفتحتين مرمى السهام .

(٤) كاتب رقيق ، وشاعر مجيد ، اشتغل بالتحرير فى الصحف ، وترجمة الروايات ، وأسلوبه متين ، وألفاظه مختارة .

(٥) الكبريت الأحمر : يضرب به المثل فى القلة والندرة .

لَا يَقْدِرُ أَنْ يُرْضِيَ الْوَاحِدَ الْفَرْدَ فِي جَمِيعِ أَخْلَاقِهِ ، كَيْفَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُرْضِيَ الْجَمِيعَ ؟ ... ... "

ومن كلامه الجارى مجرى الحكم :

مَنْ جَارَ عَلَى صِبَاهُ ، جَارَتْ عَلَيْهِ شَيْخُوخَتُهُ .

مَهْمَا اجْتَهَدَتِ الْمَرْأَةُ فِي أَنْ تُقَلِّدَ الرَّجُلَ ، فَكُلُّ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا لَا تَصِيرُ رَجُلًا ، وَلَا تَعُودُ امْرَأَةً !

مِنْ غَرِيبِ طَبَائِعِ الْإِنْسَانِ ، أَنَّهُ يُحِبُّ الْعَدَالَةَ مَظْلُومًا ، وَيَكْرَهُهَا ظَالِمًا ، وَيَطْلُبُ الْحُرِّيَّةَ مَرْءُوسًا ، وَيُنْكِرُهَا رَئِيسًا !

٩ - مصطفى بك نجيب (١)

كتب يصف نظارة ويشكر من أهداها :

وَرَدَ الْكِتَابُ الْمُطَرَّزُ بِحُلَى الْكَرَمِ ، الْمُحَلَّى بِجَمِيلِ النِّعَمِ ، وَاسْتَلَمْتُ (٢) الْهَدِيَّةَ ، فَسَلِمَتْ يَدٌ أَهْدَتْهَا ، وَحُفِظَتِ السَّجَايَا الَّتِي لِمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ هَدَتْهَا ، وَدَامَتْ رِحَابٌ لِمِثْلِ هَذِهِ الْحَسَنَاتِ فِيهَا مَجَالٌ ، وَلِلْمُحْسِنَاتِ بَهَاءٌ وَجَمَالٌ ، وَلِلْآمَالِ مَحَطٌّ

---

(١) هو مصطفى بن محمد نجيب . شاعر كاتب ، يمتاز بسهولة الأسلوب ، ورشاقة العبارة ، وإيراده أبرع النكات فى شعره ونثره . وقد نشأ فى معية الخديو ، ثم تحول الى وزارة الداخلية فاشتغل فيها منصبا كبيرا حتى مات رحمه الله ، وهو صاحب رسائل " أحلام الأحلام " وكتاب " حماة الاسلام " الذى نشر منجما فى جريدة اللواء . توفى سنة ١٣٢٠ هـ .

(٢) لقد جارى الكاتب أهل العصر فى استعمال هذه الكلمة ، والاستلام لا يكون إلا للحجر الأسود ،

رِحَال ، وللمَقاصِدِ كَعْبَةُ إقْبَال ، وَطَابَتْ نفسٌ تعالى الله أنْ تُماثِلَها نفسُ عِصَام[١] ، فإنَّها نَسَخَتْ آيةَ الكَرِّ والإقدام ، بآيةِ الجُودِ والإكْرَام ، وفَعَلَتْ فى القُلوبِ بالعَطاءِ والنَّوال ، ما قَصَرَتْ عَنْهُ الرِّماحُ الطِّوَال ، وتأمَّلْتُها فأرَتْنِي مَا لَا عينٌ رأَتْ ، وأظهرَتْ من محاسِنِ المَنَاظِرِ ما أضْمَرَتْ ، وقَرَّبَتْ كلَّ منظُورٍ بعيد ، وتلَتْ ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ[٢] ﴾ وصَفَا وَقْتِي بِصَفَائِهَا ، فَلَمْ أَشْتَهِ شَيْئاً إلا جَمَعَتْ بَيْنَهُ وبَيْنِي ، وصَحَّ عَلَيْنَا قولُ القَائِل : « رَأَيْتُ بعيْنِهَا وَرَأَتْ بعَيْنِي » ، ثم سَرَّحْتُ نَظَرِي فِي الأَطْلَالِ والرُّسُوم[٣] ، حَتَّى نَظَرْتُ نَظْرَةً فى النُّجُوم ، فلم تُخْفِ عَنِّى شَجَراً ولا مَدَراً[٤] ، ولا تَمْراً ولا قَمَراً :

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْناً * إذَا مَا زِدتَهُ نَظَرَا

بِبَهَاء ، يُخَيَّلُ لِي أنَّهَا صِيغَتْ مِنْ ضِيَاء ، فلو كانَتْ فى يَدِ ذَلِكَ الظَّمْآنِ — أستغفرُ الله — لما كَانَ يَحْسِب أنَّ السَّرَابَ مَاء ، استغرَقَتْهَا العُقولُ حَتَّى صَارَ لِكُلِّ إنْسَانٍ فِيهَا نَظَر ، واطَّلَعَتْ على تَفَاوُتِ النَّاسِ فجاءَتْ لكل بَصَرٍ بقَدَر ، ونَالَ بِهَا كُلُّ قَصْدَهُ ومَرَامَه ، واسْتَوَى عِنْدَهَا « أَعْمَى وأَعْشَى ثم ذُو بَصَرٍ وزَرْقَاءُ اليَمَامَة[٥] » ، فَلَوْ كَانَتْ عَيْناً لَكَشَفَتْ حَقَائِقَ الضَّمَائِر ، ونُظِرَ بها تقلُّبُ القلوبِ وحَقِيقَةُ البَصَائِر .

---

(١) اسم رجل أنشأ نفسه و يضرب به المثل ، قال النابغة الذبيانى يمدحه :

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما

* وصيرته ملكا هماما *

(٢) حديد : قوى نفاذ . (٣) الأطلال والرسوم : ما بقى من آثار الديار بعد أن تركها أهلها . (٤) المدر : التراب المتلبد ، أو الطين . (٥) امرأة يمامية يقال إنها كانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام .

شهد لها الجمع بالفضل لما ظهر لكل إنسان لديها حالة ضعفه ، وعظم مقدارها كل فرد ورفعها — رغبة منه أو رغما — على أنفه ، ولا عيب فيها غير أني نظرت بها في سماء فضلك الباهر ، وأفق شرفك الطاهر ، فلم ينكشف لي بها لجرم آخر ، لا زال كرمك بعيدا حده على كل ناظر وباصر ، وفضل مناهيلك غاية تقصدها الأوائل والأواخر .

١٠ — للشيخ محمد عبده[1] من رسالة التوحيد

القرآن

جاءنا الخبر المتواتر الذي لا تتطرق إليه الريبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في نشأته وأميته على الحال التي ذكرنا ، وتواترت أخبار الأمم كافة على أنه جاء بكتاب قال : إنه أنزل عليه ، وأن ذلك الكتاب هو القرآن المكتوب في المصاحف ، المحفوظ في صدور من عني بحفظه من المسلمين إلى اليوم .

كتاب حوى من أخبار الأمم الماضية ما فيه معتبر[2] للأجيال الحاضرة والمستقبلة ، نقب على الصحيح منها ، وغادر الأباطيل التي ألحقتها الأوهام بها ، ونبه على وجوه العبرة فيها . حكى عن الأنبياء ما شاء الله أن يقص علينا من

---

(١) ولد الشيخ العالم الأديب محمد عبده في محلة نصر إحدى قرى مديرية البحيرة ، ودرس بالأزهر العلوم العقلية والأدبية والدينية ، واتصل بجمال الدين الأفغاني ، وكان أكثر الناس انتفاعا به ، ثم نفي بعد الثورة العرابية ، ولكنه عاد الى مصر وتولى التدريس والقضاء في المحاكم الأهلية ثم الافتاء ١٨ محققا . وقد توفي سنة ١٣٢٣ هـ بعد أن ترك آثارا علمية وطبقة من أنبه الطبقات المصرية .

(٢) معتبر : عبرة وموعظة .

سِيَرِهِمْ ، وما كانَ بَيْنَهُمْ وبين أُمَمِهِمْ ، وبَرَّأَهم مما رَمَاهُمْ به أهلُ دِينِهِمْ المُعْتَقِدُونَ بِرِسَالاتِهِم . آخَذَ(١) العلماء من المِلَل المختلفةِ عَلَى ما أَفْسَدُوا من عَقَائِدِهِم ، وما خَلَطُوا فى أَحْكَامِهِمْ ، وما حَرَّفوا(٢) بالتأويل فى كُتُبِهِم . وشَرَعَ للنَّاسِ أَحْكَامًا تَنْطَبِقُ عَلَى مَصَالِحِهِمْ ، وظَهَرتِ الفائدَةُ فى العَمَلِ بها والمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا ، وقام بهَا العَدْل ، وانتَظم بهَا شَمْلُ الجماعةِ مَا كانت عِنْدَ حَدِّ ما قَرَّرَه(٣) ، ثم عَظُمتِ المَضَرَّةُ فِى إِهْمالها وَالِانْحِرَافِ عنهَا أَو البعد بهَا عن الرُّوحِ الذى أُودِعَتْه(٤) ففاقَت بذلكَ جميعَ الشرائعِ الوَضْعِيَّةِ(٥) كما يَتَبَيَّنُ لِلنَّاظِرِ فى شَرَائِعِ الأُمَمِ . ثُمَّ جاء بعد ذلك بحِكَمٍ ومَوَاعِظ وآدابٍ تَخْشَعُ لها القلوب ، وتَهَشُّ(٦) لاستقبالها العُقُول ، وتَنْصَرِفُ وَرَاءَهَا الهِمَم ، انصِرَافَهَا فى السَّبِيلِ الأَمَمِ(٧) .

نَزَلَ القرآنُ فى عَصرٍ اتفقَ الرُّواةُ وتواتَرَتِ الأخبارُ عَلَى أنه أرقَى الأعصارِ عِنْدَ العربِ وَأَغْزَرُها مادةً فى الفَصَاحة ، وأنه الممتازُ بينَ جميع ما تقدَّمَه بوَفْرَةِ رجالِ البلاغة ، وفُرْسَانِ الخَطَابَة ، وَأَنْفَسُ ما كانَتِ العربُ تَتَنَافَسُ فيه مِنْ ثِمَارِ العَقْلِ وَنَتَائِجِ الفِطَنِ والذَّكاءِ هُوَ الغَلَبُ(٨) فى القَول ، والسَّبْقُ إلى إصابةِ مكانِ الوِجْدَانِ من القُلوب ، ومَقَرِّ الإِذْعَانِ مِنَ العُقُول ، وَتَفَانِيهِمْ فِى المُفَاخَرَةِ بذلك مما لا يُحْتَاجُ الى الإِطَالةِ فى بَيَانِه .

---

(١) آخذ : حاسب . (٢) التحريف : التغيير ، ووضع شىء مكان شىء .
(٣) يريد مادامت قائمة على حدوده ، عاملة بأحكامه . (٤) أودعته : حفظت فيه .
(٥) الشرائع الوضعية : القوانين التى تسنها الحكومات . (٦) تهش : ترتاح وتسر .
(٧) الأمم بفتح الهمزة والميم : البين الواضح . (٨) الغلب : التغلب .

تَوَاتَرَ الخبرُ كذلك بما كان منهم من الحِرْص على مُعَارَضَةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وَالْتِمَاسِهِمُ الوَسَائِلَ قريبها وبعيدَها لإبْطَالِ دَعْوَاه، وتكذيبِهِ فى الإخْبَارِ عن الله، وَإتْيَانِهِمْ فى ذلك عَلَى مَبْلَغِ اسْتِطَاعَتِهِمْ، وكان فيهم الملوكُ الذين تَحمِلهم عِزَّةُ المُلْكِ عَلَى مُعَانَدَتِه، وَالأُمَرَاءُ الذين يَدْعُوهُمُ السلطانُ إلى مُنَاوَأَتِه(١)، والخطباءُ والشعراءُ والكُتَّابُ الذين يَشْمَخُونَ بأنُوفِهم عن مُتَابَعَتِه. وقد اشْتَدَّ جميعُ أولئك فى مُقَاوَمَتِه(٢)، وانْتَهَالُوا بِقُوَاهُمْ عَلَيْهِ اسْتِكْبَارًا عن الخُضُوع، وَتَمَسُّكًا بما كانوا عليه من أَدْيَانِ آبائِهِمْ، وَحَمِيَّةً(٣) لِعَقَائِدِهِمْ وَعَقَائِدِ أَسْلَافِهِمْ. وهو مع ذلك يُخَطِّئُ آرَاءَهُمْ، وَيُسَفِّهُ أَحْلَامَهُمْ(٤)، وَيَحْتَقِرُ أَصْنَامَهُمْ، ويَدْعوهم إلى ما لم تَعْهَدْهُ أَيَّامُهم، ولم تَخْفِقْ لمثلِه أَعْلَامُهُمْ، وَلَا حُجَّةَ لَهُ بَيْنَ يَدَىْ ذلك كُلِّهِ إلَّا تَحَدِّيهِمْ(٥) بالإتْيَانِ بمثلِ أَقْصَرِ سورةٍ من ذلك الكِتَابِ أَوْ بعَشْرِ سُوَرٍ مِنْ مِثْلِه. وكانَ فى اسْتِطَاعَتِهِمْ أَنْ يَجْمَعُوا اليه مِنَ العُلَمَاءِ والفُصَحَاءِ والبلغاءِ ما شاءُوا ليَأْتُوا بشَىْءٍ من مِثْلِ ما أَتَى به لِيُبْطِلُوا الحُجَّةَ، وَيُفْحِمُوا(٦) صَاحِبَ الدَّعْوَة.

جاءنا الخبرُ المتواترُ أن مع طُولِ زَمَنِ التَّحَدِّى، وَلَجَاجِ(٧) القَوْمِ فى التَّعَدِّى، أُصِيبُوا بالعَجْز، ورجعوا بالخَيْبَة، وحَقَّتْ لِلْكِتَابِ العَزِيزِ الكَلِمَةُ العُلْيَا عَلَى كُلِّ كَلَام.

---

(١) مناوأته: محاربته.
(٢) مقاومته: صدّه.
(٣) الحمية: الغيرة.
(٤) الأحلام: جمع حلم، وهو العقل.
(٥) التحدّى طلب الاتيان بالشىء مع إظهار العجز عنه.
(٦) يفحمونه: يجعلونه يعيا عن النطق والمجاوبة.
(٧) اللجاج — هنا — المتابعة.

وله يصف نهج البلاغة :

أَوْفَى لِي حُكْمُ ٱلْقَدَرِ بِالاطِّلَاعِ عَلَى كِتَابِ "نَهْجِ ٱلْبَلَاغَةِ" صُدْفَةً بِلَا تَعَمُّلٍ ، أَصَبْتُهُ عَلَى تَغَيُّرِ حَالٍ ، وَتَبَلْبُلِ بَالٍ (١) وَتَزَاحُمِ أَشْغَالٍ (٢) ، وَعُطْلَةٍ مِنْ أَعْمَالٍ ؛ فَحَسِبْتُهُ لِلتَّسْلِيَةِ ، وَجَعَلْتُهُ لِلتَّخْلِيَةِ . فَتَصَفَّحْتُ بَعْضَ صَفَحَاتِهِ ، وَتَأَمَّلْتُ جُمَلًا مِنْ عِبَارَاتِهِ ، مِنْ مَوَاضِعَ مُخْتَلِفَاتٍ ، وَمَوَاضِيعَ مُتَفَرِّقَاتٍ . وَكَانَ يُخَيَّلُ لِي فِي كُلِّ مَقَامٍ أَنَّ حُرُوبًا شُبَّتْ ، وَغَارَاتٍ شُنَّتْ ، وَأَنَّ لِلْبَلَاغَةِ دَوْلَةً وَلِلْفَصَاحَةِ صَوْلَةً ، وَأَنَّ لِلْأَوْهَامِ عَرَامَةً (٣) ، وَلِلرَّيْبِ دَعَارَةً (٤) . وَأَنَّ بِحَافِلِ (٥) ٱلْخَطَابَةِ ، وَكَتَائِبَ (٦) ٱلذَّرَابَةِ (٧) ، فِي عُقُودِ النِّظَامِ ، وَصُفُوفِ الِانْتِظَامِ ، تُنَاخُ (٨) بِالصَّفِيحِ (٩) ٱلْأَبْلَجِ (١٠) ، وَٱلْقَوِيمِ (١١) ٱلْأَمْلَجِ ، وَتَمْتَلِجُ (١٢) ٱلْمُهَجُ (١٣) ، بِرَوَائِعِ ٱلْحُجَجِ . وَتَفُلُّ دَعَارَةَ ٱلْوَسَاوِسِ ، وَتُصِيبُ مَقَاتِلَ ٱلْخَوَانِسِ (١٤) . فَمَا أَنَا إِلَّا وَٱلْحَقُّ مُنْتَصِرٌ ، وَٱلْبَاطِلُ مُنْكَسِرٌ ، وَمَرَجُ الشَّكِّ فِي خُمُودٍ ، وَهَرَجُ الرَّيْبِ فِي رُكُودٍ (١٥) ؛ وَأَنَّ مُدَبِّرَ تِلْكَ الدَّوْلَةِ ، وَبَاسِلَ تِلْكَ الصَّوْلَةِ هُوَ حَامِلُ لِوَائِهَا الْغَالِبُ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَلْ كُنْتُ كُلَّمَا ٱنْتَقَلْتُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ أَحِسُّ بِتَغَيُّرٍ

(١) تبلبل البال : اضطرابه . (٢) الأشغال : جمع شغل ، وهو ما يشغل النفس ، أى تزاحم الهموم وشواغل النفس . (٣) عرامة — بفتح العين — : شدة وشراسة . (٤) الدعارة — بفتح الدال وكسرها — : الفجور وسوء الخلق . (٥) الجحافل : جمع جحفل — بفتح الجيم — وهو الجيش الكثير . (٦) الكتائب : جمع كتيبة — بفتح الكاف — وهى القطعة من الجيش . (٧) الذرابة — بفتح الذال — الفصاحة . (٨) تناخ : تدافع . (٩) الصفيح : السيوف ، وأراد بها هنا : المقرد . (١٠) الأبلج : الأبيض اللامع . (١١) يريد بالقويم الأملج : الرمح المعتدل الأسمر . (١٢) تمتلج : تمتص . (١٣) المهج ، جمع مهجة — بضم الميم — وهى دم القلب . (١٤) لعله يريد بالخوانس ما يجول فى النفس من خواطر السوء . (١٥) المرج — بفتح الراء — القلق والاضطراب ، وإنما تسكن الراء إذا قرنت بالهرج . والهرج — بسكون الراء — الفتنة .

المشاهد ، وتحول المعاهد : فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية ، في حلل من العبارات الزاهية ، تطوف على النفوس الزاكية (١) ، وتدنو من القلوب الصافية ، توحي إليها رشادها ، وتقوم منها منآدها (٢) ، وتنفر بها عن مداحض المزال (٣) ، إلى جواد الفضل والكمال ، وطورا كانت تنكشف لي الجمل عن وجوه باسرة (٤) ، وأنياب كاشرة وأرواح في أشباح الثمور (٥) ، ومخالب النسور ، وقد تحفزت للوثاب ، ثم انقضت للاختلاب ، فخلبت القلوب عن هواها ، وأخذت الخواطر دون مرماها ، واغتالت فاسد الأهواء ، وباطل الآراء . وأحيانا كنت أشهد أن عقلا نورانيا ، لا يشبهه خلقا جسدانيا ، فصل (٦) عن الموكب الإلهي ، واتصل بالروح الإنساني ، فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الأعلى ، ونما به إلى مشهد النور الأجلى ، وسكن به إلى عمار جانب التقديس ، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس (٧) . وآنات (٨) كأني أسمع خطيب الحكمة ، ينادي بأعلياء الكلمة ، وأولياء أمر الأمة ، يعرفهم مواقع الصواب ، ويبصرهم مواضع الارتياب ، ويحذرهم مزالق الاضطراب . ويرشدهم إلى دقائق السياسة ، ويهديهم طريق الكياسة ، ويرتفع بهم الى منصات (٩) الرياسة ، ويصعدهم شرف التدبير ، ويشرف بهم على حسن المصير .

---

(١) الزاكية : المطهرة . (٢) المنآد : المعوج . (٣) المداحض : جمع مدحضة — بفتح الميم — وهي المزلقة والمزلة . (٤) الجواد — بتشديد الدال — جمع جادة ، وهي معظم الطريق أو وسطه . (٥) باسرة : متقطبة . (٦) فصل عنه — بصيغة البناء للفاعل — خرج عنه . (٧) نما به : ارتفع . (٨) آنات : أوقات .
(٩) المنصات : جمع منصة — بكسر الميم — وهي الكرسي .

١١ – إبراهيم بك المويلحى (١)

يَشْكُو بلسانِ حاجَ ما رأى إحْدَى السِّنِينَ فى الحج من فَتْكِ الْوَبَاءِ (٢) بالحُجَّاجِ وإهمالِ السُّلْطَاتِ شَأْنَهُ وَشَأْنَهُمْ .

ترجمت إلى التركية وعرضت على السلطان عبد الحميد :

كذا فَلْيَجِلَّ (٣) الخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ (٤) الأَمْرُ • وَلَيْسَ لِعَيْنٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ

يقول الشاعرُ البيتَ الجَزْلَ من الشِّعْرِ لغرضٍ له حَقِير، ثم يتركُهُ ويأتى من بَعْدِهِ مَن يضَعُهُ مَوضِعَهُ اللائِقَ به من حوادثِ الزَّمَان . وإنّ هذا البَيْتَ لا يَحِلُّ مَحَلَّهُ فى رثاءِ واحدٍ من الناس ؛ وإنما يقال لِيُبكَى به ما أصابَ المُسْلِمِينَ فى مَكَّةَ هذا العام . ولا غَرْوَ (٥) أن ترتَعِدَ اليَدُ وَيَقِفَ القَلَمُ، ويَتَلَعْثَمَ اللِّسانُ عند وصْفِ ما فَعَلَتْهُ المَنِيَّةُ حين قامت تَفْتِكُ فى الأَرْوَاحِ، وتَهْتِكُ فى الأَشْبَاحِ (٦)، حتى فُرِشَتِ الأَزِقَّةُ بالموتَى، وأَقَامت منهم كُثْبَانًا (٧) تَشْهَدُ على عَجْزِ القَوْمِ عَنْ تَدَارُكِ الأُمُورِ .

---

(١) أصل أجداده من مرفأ المويلح ببلاد العرب، وقد انحدروا إلى مصر من زمان بعيد . وقد نشأ إبراهيم فى بيت حسب وغنى، وكان أبوه من كبار التجار يتجر فى الحرير، فنزع إبراهيم، مع معالجته التجارة، إلى الأدب فقرأ كثيرا فى كتب المتقدمين، وكان من أوائل من استظهروها، حتى برع فى الأدب، وحذق الفرنسية والتركية، وجوّد التاريخ القديم والحديث، واتصل بالأفاضل المبرزين فى عصره . وشرع لونا من البيان يجمع بين جزالة الأسلوب وفحولة اللفظ، وبين الوقوع على المعانى الغريبة، والاستشهاد بالأمثلة الدقيقة، فكان فى بيانه نسيج وحده . وهو يعدّ بحق من أوائل من بعثوا النهضة الأدبية فى العصر الحديث . وقد أصدر جريدة نزهة الأفكار، ثم جريدة مصباح الشرق، وحرر فيها وفى كثير من الصحف التى كانت قائمة فى عهده . وتوفى سنة ١٩٠٦ م (١٣٢٣ هـ) .

(٢) الوباء : المرض العام ينزل بالبلد فيصيب أهلها ويتفشاهم . (٣) فليجل : فليعظم .

(٤) فدح الأمر : ثقل وصعب احتماله . (٥) لا غرو : لا عجب . (٦) المراد من الأشباح هنا : الأجسام . (٧) الكثبان : جمع كثيب، وهو التل من الرمال .

ولقد رأيتُ من المناظرِ المُدهشةِ ما تَتَصاغر عندَه عَظِيمَاتُ النَّوَائب، وتَتَضَاءَلُ لديه جَسِيمَاتُ المَصَائِب . فمن ذلك أنِّى رأيتُ شابًّا عليه شَارَةُ[1] الحِشْمَةِ والنَّجَابَةِ، يَتَخَبَّط فى التُّرابِ ولا يستطيعُ إشارةً ولا كَلَاما، وإنما كان يَطْلُبُ بعَيْنَيْهِ المملوءَتَيْنِ بالدَمعِ أن يَدْنُوَ منهُ أَحَدُ المارَّة، فَدَنَوتُ منهُ فوجَدْتُه قَدْ مَات . فأَبكانى موتُهُ غريبًا عَنْ أَهْلِهِ وقَوْمِهِ على تلك الحالةِ المؤْلِمَة، فطلبْتُ بالأجرة مَنْ يَدْفِنُهُ فلم أَجِدْ أَحَدا، على إفراطِ حُبِّ المالِ فى هذَا البَلَد . فكتبتُ وَرَقةً وأرسلْتُها إلى قَاضِى مكَّةَ أَسأَلُهُ المَعُونَةَ على دَفْنِ هؤلاءِ الغُرباءِ المطروحِينَ تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ فى الطَّرِيق، فأجابنى بأن هذا لا يَعْلَق[2] بشىءٍ من وَظِيفَتِه، ولا يَخُصُّهُ الاشْتَغَالُ بِهِ ! فسألتُ عن غيرِه من أصحابِ الحَلِّ والعَقْد[3]، فوجدتُهُمْ قد طَارُوا إلى الطَّائِفِ وتركُوا مَكَّةَ للقَتْلِ العَامّ .

وبينَا أنا حَيْرَانُ فِى وسَطِ هذه المقبرة المكْشُوفَة، إذ لاحَتْ منِّى الْتِفَاتَةٌ إلى المَوْتَى فرأيتُ، ولَيْتَنِى لم أَرَ، امرأةً اختطَفَتْهَا المنيَّة من بنْتٍ لها صغيرةٍ لم تبلغْ سِنَّ التَّمْيِيزِ بين النَّوْمِ والمَوْت، وقد شَرَعتْ تلك الصغيرةُ تُحَرِّكُ أُمَّهَا بيَدَيْهَا لإيقَاظِها، وتبكى لِعَدَم إجابتِهَا، بعيونٍ تَقَسَّمَتْ نَظراتُهَا بين السَّماءِ والأَرْض، وتَعِدُهَا فى خِلَالِ تِلكَ النَّظَرَاتِ المُبْهَمَةِ أَنَّها لَا تَعُودُ لشىءٍ كانَتْ نَهَتْهَا عَنْه، بعباراتٍ تَسْتَخْرِجُ الحُنُوَّ[4] والشَّفَقَةَ من القلوبِ الصَّخْرِيَّة . فأمسكتُ بالبِنْتِ ولا أقدرُ أَنْ أَصِفَ لكَ كَيْفَ

(١) الشارة : العلامة والدلالة . (٢) يعلق : يتصل، أى ليس من شأنه .

(٣) المراد أهل التصرف فى الأمور، وهم رجال الحكومة .

(٤) الحنو : الحنان .

فصلتها عن رِمَّة[1] أمها ، وكيف كان حالها وحالُ مَنْ يراها عند آخرِ نظرةٍ نظرتها إلى والدتها وكافلتها[2] .

ثم قفلنا إلى جُدَّة مُشتتين ، فعلمنا أنَّ الدولة قد أرسلتْ وابورًا لنقل الحُجَّاج ، وليتها لم ترسل فإنَّ قبطانَ الوابور كانَ أشدَّ قسوةً على الحُجَّاج من الموت : أمرَ أولًا بإلقاء قسمٍ مما كانَ معهم من الأزوادِ[3] في البحر بدعوى المحافظة على الصحة . ثم أخذ يبيعُ لهم ثانيًا ، وهم في اللجَّة[4] مما احتكره من القوت ، بيعَ القحطِ اليوسفيّ[5] ولما لم يبقَ معهم من النقد شيء ، شرع يبيعُ لهم بما معهم من الهدايا والسُّبح . وكان الجبَّارُ لا يُحبُّ أن يسمعَ بمريض في السفينة ، ولهذا اضطرَّ كثيرٌ أن يكتموا أمراضهم . وما زلنا معه على شفا[6] الخطرِ إلى أن وصلنا إلى الطور ، فلقينا هناك من كبرياء الأطبَّاء وعظمتهم ما تمنينا له أن نكونَ طُعمًا[7] للحيتان ؛ فإنهم كانوا يأنفون أن يمسُّوا أيدي الحُجاج بأيديهم ، وكانوا يكتفون بالنظرِ الشزرِ[8] إليهم . وكثيرًا ما كانوا يعترضون على الحُجَّاج . فاعتقدتُ أنَّ الخيرَ ارتفعَ إلى السماء ، وأنَّ الأرضَ أصبحتْ قاعًا صفصفًا[9] من نوعِ الإنسان ، وأن الذين نراهم هم شياطينُ على صورة البشر !

---

(١) الرمة : الجثة . (٢) الكافلة : التي تكفله وتقوم على أمره .

(٣) الأزواد : جمع زاد ، وهو ما يتخذ من الطعام للسفر .

(٤) أي في عرض البحر . (٥) القحط الذي أصاب مصر ، وذكر في القرآن في سورة يوسف .

(٦) الشفا : حرف كل شيء . (٧) الطعم : الطعام .

(٨) النظر الشزر ، هو النظر بجانب العين دليلا على الإعراض أو الغضب .

(٩) الصفصف : المستوى المطمئن ، والمراد : أنها خالية لا أحد بها .

* * *

وقصارى القول أننا فى زمن أصبح القابضُ على دِينه فيه كالقابض على الجمر. فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله .

ومن كتاب له :

« أكتبُ كتابى هذا إليك ، ونفسى تنظرُ إلى نفسك فى عُلوّها وارتفاعها نظرَ السُّلحفاة إلى الأجدل (١) ، فوق شُرفات المِجدل (٢) ، وتحدثنى : لو مُدّ لى طريقٌ قُضبانُه من الذهب لا الحديد . ومَرْكباتُه من اليواقيت ، وسائقُ آليته جبرائيل ، ليبلغنى بلدًا أساكنُ فيه هؤلاء القوم ، لفضلتُ الجلوسَ حيثُ أنا الآن ، أكتبُ لك هذا الكتاب تحتَ ظلّ هذه الشجرة لا أظلمُ ولا أُظلَم ! »

١٢ - الشيخ إبراهيم اليازجى (٣)

كتب يعزّى بعض أصدقائه :

مَنْ علِمَ أنّ القضاءَ واقع ، وأنّ الأعمارَ رهائنُ المصارع (٤) ، فلم يصحب دهرَه على غِرّة (٥) ، ولم يفتُر من الأقدار بفترة (٦) (٧) . لم تكبُر عليه الرزيئة (٨) إذا اغتالت ، ولم يطمئن

---

(١) الأجدل : الصقر .
(٢) المجدل ، بكسر الميم وفتح الدال : القصر .
(٣) يعدّ إبراهيم اليازجى من خير علماء اللغة والنحو والأدب فى هذا العصر . أصدر بمصر مجلة البيان والضياء ، وله مؤلفات محكمة فى علوم اللغة والنقد اللغوى . توفى سنة ١٣٢٤ هـ .
(٤) المصارع : المهالك .
(٥) الغرة بكسر الغين : الغفلة .
(٦) يفتر : يسكن .
(٧) الفترة بفتح الفاء : الهدنة وما بين النوبتين من الحمى .
(٨) الرزيئة : المصيبة .

إلى السَّلامَةِ وإنْ طَالَتْ[١]، فإنَّ لِلدَّهْرِ رَقْدَةً وَهْبَةً[٢]، وَإنَّ لِلَّيالِي كَمْنَةً وَوَثْبَةً[٣]. وَمِثْلُكَ مَنْ أَدْرَكَ مَبَادِئَ الأُمُورِ وَمَصَايِرَهَا[٤]، وَعَرَفَ مَوَارِدَ الحَيَاةِ وَمَصَادِرَهَا. وَإنَّمَا المَوْتُ طَوْرٌ مِنْ أَطْوَارِ الوُجُود، وَآخِرُ أَعْمَالِ الحَيَاةِ فِي المَوْجُود. وَلَا أَزِيدُكَ عِلْمًا بِالكَوْنِ وَشَرَائِعِه، والكائِنِ وَطَبَائِعِه. إنَّمَا هِيَ ذِكْرَى لِمَنْ فَجَأَهُ الرُّزْءُ فَشَغَلَه، وَحَلَّ بِسَاحَتِهِ القَضَاءُ فَأَذْهَلَه. وَحَسْبِي مِنَ التَّعْزِيَةِ عِلْمِي بِمَا عِنْدَكَ مِنْ مَوَارِدِ العِلْمِ المُبَاحِ، وَمِنَ التَّأْسِيَةِ[٥] مَا تَعْلَمُهُ مِنْ حَالِ مُخَاطِبِكَ وَهُوَ سَائِلُ الجِرَاحِ. وَمَا أَخْلَقَنِي[٦] بِأَنْ أَقُولَ: إنَّ رُزْءَكَ هَذَا قَدْ زَادَنِي شَجَنًا[٧] عَلَى أَشْجَانِي، وَنَكَأَ[٨] مَا تَمَاثَلَ[٩] مِنْ قَرْحَةِ أَحْزَانِي. وَلَكِنِّي قَدْ صَيَّرَنِي الدَّهْرُ إلى حالٍ لَا تَعْمَلُ فيها حال، ولا أُبالِي مَعَهَا بِسَلْمٍ ولا قِتَال، فَكَأَنَّمَا إيَّايَ عَنَى أَبُو الطَّيِّبِ حَيْثُ قال:

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالأَرْزَاءِ[١٠] حَتَّى * فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ[١١] مِنْ نِبَالِ[١٢]
فَصِرْتُ إذا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ * تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ[١٣] عَلَى النِّصَالِ

---

(١) يريد أن من صاحب الزمان على حذر ولم يأمن له، وإن طال أمد السلامة، لم تعظم عليه المصيبة إذا حلت لأنها دائما داخلة فى حسابه.

الهبة بتشديد الباء المفتوحة: النهوض من النوم.

يريد بالكمنة السكون. (٤) مصاير الأمور: غاياتها.

التأسية: التصبير والتعزية. (٦) ما أخلقنى: ما أحقنى وأولانى.

الشجن بفتح الشين والجيم: الهم والحزن، وجمعه أشجان.

نكأ القرحة: قشرها قبل أن تبرأ. (٩) تماثل: قارب البرء.

الأرزاء: جمع رزء، وهو المصيبة. (١١) الغشاء: الغطاء.

النبال: جمع نبلة، وهى السهم.

النصال: جمع نصل بفتح النون وسكون الصاد، وهو حديدة السهم وطرفه.

وكتب إلى صديق له :

"مهما زدتني من جميلك المألوف ، وصنيعك(١) المعروف . فما أزيدك على ما ينطق به لسان حالي من الاعتراف بتطولك(٢) ، والثناء على تفضلك ، لا سيما فيما أبديت من الحفاوة(٣) واللطف في جانب أخي وأخيك النازل في كنف(٤) تدبيرك ، الموكول إلى حسن رأيك . وهي يد(٥) لك حملت جميلها على عاتق(٦) فوق ما أثقلته أياديك السابقة ، وألطافك(٧) السالفة . وإني لآمل له بمؤازرتك(٨) نجحا لا يعترضه إخفاق مسعى ، وفوزا لا يصدر عنه(٩) طيش رأى . وأسأل الله لك وله السلامة والتوفيق بمنه(١٠) وطوله(١١) .

١٣ - مصطفى باشا كامل(١٢)

من خطبة له :

أيها السادة : إنكم باجتماعكم اليوم هذا الاجتماع الوطني ترفعون كثيرا من مقام الوطنية المصرية ، وتخففون من آلام مصر العزيزة التي قاست وتقاسي أشد

(١) الصنيع : المكرمة . (٢) التطول : التفضل . (٣) الحفاوة بالرجل : إكرامه وإظهار السرور به . (٤) الكنف بفتح الكاف والنون : الظل والجانب . والمراد هنا : الرعاية . (٥) اليد : النعمة . (٦) العاتق : ما بين المنكب والعنق . (٧) الألطاف : جمع لطف ، بفتح اللام والطاء ، وهو الإحسان والإتحاف . (٨) المؤازرة : المعاونة . (٩) يصدر عنه : أي لا يكون منه . (١٠) المن : المنة . (١١) الطول : الفضل .

(١٢) خطيب وسياسي مصري ، تعلم الحقوق واشتغل بالسياسة ، وانصرف إلى مقاومة الاحتلال الانجليزي بخطبه ومقالاته وكتبه . أنشأ جريدة اللواء ، وجريدتين أخريين : إحداهما بالفرنسية ، والأخرى بالانجليزية . وتنقل في بلدان أوربا داعيا لمصر . وكان فصيحا مؤثرا في كتابته وخطابته ، مات شابا سنة ١٣٢٦ هـ (سنة ١٩٠٨ م) .

العذاب على مشهد منكم يا أعز بنيها ويا نخبة أنجابها . فكل اجتماع وطنى تذكر فيه مصر ويطالب بحقوقها ، ويعلن أبناؤها إخلاصهم لها ، هو فى الحقيقة مرهم لجراحها ودواء لدائها . فاذكروها ما استطعتم ، فإن فى ذكراها ذكرى آلامها ، وذكرى الآلام تجر حتماً إلى ذكر عوامل الشفاء . اذكروها كما يذكر الولد الحنون أمه الشفيقة ، وهى على سرير المرض والعناء . اذكروها بآلامها وإن كان غيركم يذكر بلاده بمجدها ورفعة شأنها . اذكروها فإنكم ما دمتم مقدرين لمصائبها عارفين بحقيقة آلامها ، دام الأمل وطيداً (١) فى سلامتها ودام الرجاء . اذكروها ، فمن المستحيل أن يرى العاقل النار فى داره ، والداء فى شخص أمه ، ويهمل النار ويهمل الداء ... !

ثم قال : وهناك فئة من المصريين لا أنكر إخلاص رجالها للوطن العزيز ، ولكن أنكر عليهم اليأس الذى يتظاهرون به فى كل وقت وفى كل مكان . فهم ما عملوا ولا يعملون للبلاد عملا نافعا ، ولكنهم جعلوا اليأس علة عدم العمل وعلة الكسل ! فإن سألتهم : لم لا تقومون بعمل عمومى نافع للبلاد ؟ أجابوك : « نحن يائسون من مستقبل الوطن ، معتقدون بظلمة الأيام الآتية » ! فبالله كيف يستطيع طبيب أن يحكم على عليل بعدم الشفاء قبل أن يفحص داءه ويعطيه الدواء ؟ على أننا نرى الكثير من الأطباء لا ييأس أبدا من شفاء المريض حتى فى آخر لحظة من حياته . فكيف ييأس رجال من بنى مصر من مستقبل البلاد ؟ ! وهم إن كانوا قد خبروا داء مصر ، فيعلم الله ويعلم الناس أنهم الى اليوم ما قدموا لها الدواء !

(١) وطيدا : ثابتا قويا .

كيف نيأس من المستقبل ، والمستقبل بيد الله وحده ، وكثيراً ما تأتي الحوادث بخلاف المنتظر وبغير حساب ؟

هي النفوس الصغيرة التي يخلق عندها الأمل بكلمة أو ببتلغراف ! ثم يستولي عليها اليأس بكلمة أو ببتلغراف ! أما النفوس العالية الكبيرة فيدوم فيها الأمل ما دام الدم في العروق وما دامت الحياة .

وأي حياة ترضاها النفوس الشريفة مع اليأس ؟ أيجمع المرء في جسم واحد ؟ الموت والحياة ؟ إذ اليأس موت حقيقي وأي موت !

كيف نيأس ونحن جميعاً عالمون بأن ما يظهر طويلاً في حياة الأفراد هو قصير في حياة الشعوب ، فعشر من السنوات في حياة الإنسان طويلة حقاً ، ولكنها في حياة الأمة قصيرة جداً ؛ على انه إذا كان اليائسون معتقدين بصحة أفكارهم ، فعار عليهم أن يقوموا في الأمة بوظيفة تثبيط همم العاملين ، والعاملون في البلاد كثيرون ؛ بل الأمة كلها مؤملة خيراً في المستقبل . وإن لم تظهر إلى الآن أعمال العاملين فستظهر بعد قليل ، وسترى الأمة المصرية وأمم العالم أجمع أن للوطني المصري أبناء مخلصين يقدرون الوطنية قدرها ، ويعرفون لمصر حقوقها .

ولا غرو فإن سبل خدمة الوطن عديدة ، وإن أهمها إعلان الحقيقة في كل حال وفي كل زمان . فالحرية بنت الحقيقة ، وما انتشرت الحقيقة في أمة إلا وارتفعت كلمتها ، وعلا شأنها . فالحقيقة نور ساطع إذا انتشر اختفى الظلم والظلمة ، وانتشرت الحرية والعدل . فكما أن الأفراد لا تسلب حقوقهم ، ولا يتعدى

اللصوص على أمتعتهم إلا فى ظلام الليل الحالك ، فكذلك شأن الأمم ، لا تُسلب حقوقها ؛ ولا يعتدى العدوُّ على أملاكها إلا إذا كانت الحقيقةُ مجهولةً فيها ، وكانت هى عائشةً فى الجهل والظلام .

ومن خطبة له ألقاها بالإسكندرية فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ م :

بلادى ! بلادى ! لكِ حبى وفؤادى ، لكِ خبائى ووجودى ، لكِ دمى ونفسى ، لكِ عقلى ولسانى ، لكِ لبى وجنانى ، فأنتِ أنتِ الحياةُ ، ولا حياةَ إلا بكِ يا مصر !

يقولُ الجهلاءُ والفقراءُ فى الإدراكِ إنى متهورٌ(١) فى حبها ، وهل يستطيعُ مصرىٌّ أن يتهوَّر فى حُبِّ مصر ؟ إنه مهما أحبها ، فلا يبلغُ الدرجةَ التى يدعو إليها جمالُها وجلالُها وتاريخُها ، والعظمةُ اللائقةُ بها .

ألا أيها اللائمون ! انظروها وتأملوها ، وطوفوها ، واقرأوا صُحُفَ ماضيها ، واسألوا الزائرين لها من أطراف الأرض : هل خلق اللهُ وطنا أعلى مقاما ، وأسمى شأنا ، وأجملَ طبيعة ، وأجلَّ آثارا ، وأغنى تُربة(٢) ، وأصفى سماء ، وأعذبَ ماء ، وأدعى للحُبِّ والشغف(٣) من هذا الوطنِ العزيز ؟

اسألوا العالمَ كلَّه ، يُجبكم بصوتٍ واحد : إن مصرَ جنةُ الدنيا ، وإن شعبها الذى يسكنها ويتوارثها لأكرمُ الشعوبِ إذا أعزها ، وأكبرها جنايةً عليها وعلى نفسه إذا تسامح فى حقها ، وسلَّم أزمتها(٤) للأجنبى .

إنى لو لم أولد مصريا لوددتُ أن أكونَ مصريا ؟

(١) التهور : الوقوع فى الأمور بغير مبالاة ، ويريد به هنا : التهالك والمبالغة والإفراط .

(٢) التربة : التراب ، ويراد بها الأرض وجودتها . (٣) الشغف : شدة الحب وتمكنه .

(٤) الأزمة : جمع زمام ، وهو الحبل تقود به ، والمراد بأزمة مصر هنا : شؤونها العامة .

قَدْ يَرَى السُّفَهَاءُ والطَّائِشُونَ أنَّ الانْتِسَابَ لشَعْبٍ مُسْتَعْبَدٍ كَالشَّعْبِ المِصْرِيِّ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِإِنْسَانٍ ، وَلَكِنْ أَيُّ شَرَفٍ يَطْمَعُ فِيهِ الحُرُّ أَكْبَرُ مِنَ العَمَلِ لإِحْيَاءِ الأُمَّةِ التِي سَبَقَتِ الأُمَمَ كَافَّةً فِي العِلْمِ وَالمَدَنِيَّةِ وَالأَدَبِ ؟ أَيُّ رِفْعَةٍ يَسْعَى الشَّرِيفُ إِلَيْهَا أَسْمَى مِنْ إِنْهَاضِ شَعْبٍ كَانَ أُسْتَاذَ الشُّعُوبِ البَشَرِيَّةِ ، وَمُرَبِّيَ العَالَمِ كُلِّهِ ! أَيُّ سُؤْدُدٍ (١) تَرْمِي النُّفُوسُ الأَبِيَّةُ إِلَيْهِ أَعْلَى مِنْ إِخْرَاجِ الوَطَنِ المِصْرِيِّ من الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَإِحْلَالِهِ المَحَلَّ الأَوَّلَ بَيْنَ الأَوْطَانِ الأُخْرَى التِي كَانَتْ فِي الدُّجُنَّةِ (٢) الحَالِكَةِ (٣) يَوْمَ كَانَتْ بِلَادُنَا مَشْرِقًا لِلْعِرْفَانِ ؟

لَيْتَ شِعْرِي ! (٤) أَيُّ لَذَّةٍ وَسَعَادَةٍ وَمُكَافَأَةٍ يَطْلُبُهَا الوَطَنِيُّ المِصْرِيُّ أَكْبَرُ مِنْ أَشْرَاكِهِ فِي هَذَا العَمَلِ الخَطِيرِ الَّذِي هُوَ أَجَلُّ عَمَلٍ يَرَاهُ العَالَمُ فِي القَرْنِ العِشْرِينَ ؟

إِنَّ المَكْسَبَ الأَدَبِيَّ لِلْوَطَنِيِّ المِصْرِيِّ مِنْ هَذِهِ الخِدْمَةِ يَرْبُو عَلَى أَتْعَابِهِ (٥) وَمَجْهُودَاتِهِ بِكَثِيرٍ .

١٤ - الشيخ أحمد مفتاح (٦)

كتب فى التهادى :

الهَدِيَّةُ (عَمَّرَكَ اللهُ بِالمَعْرُوفِ) تَبْسُطُ يَدَ المَوَدَّةِ ، وَتُدِرُّ أَخْلَافَ القُرْبِ (٧) ، وَتَغْرِسُ بَيْنَ المُتَحَابَّيْنِ مِنَ الِائْتِلَافِ ، بِقَدْرِ مَا تَقْطَعُ بَيْنَهُمَا مِنْ شَجَرِ الخِلَافِ .

(١) السؤدد : الشرف والمجد . (٢) الدجنة : الظلمة . (٣) الحالكة : الشديدة الظلام .

(٤) ليت شعرى : ليتنى أشعر . (٥) أتعاب : جمع تعب . (٦) ينصل نسبه بالعرب ، نشأ بمصر ودرس بالأزهر ، وعنى بالأدب . ثم دخل دار العلوم حتى إذا خرج منها اشتغل فى الصحافة والتدريس بدار العلوم . وكانت وفاته سنة ١٣٢٩ هـ . وله عدة مؤلفات ، وطريقته فى الكتابة تخضع السجع التقصير مع القصد فى استعمال البديع . (٧) الإدرار : الاكثار من اللبن . والأخلاف : جمع خلف ، وهو ثدوات الخلف كالثدى للانسان . والقرب : الصلات . والمعنى أن الهدايا تقوى صلة الأخ بأخيه .

وَمَا أَنَا فِيمَا أُهْدِيهِ إِلَيْكَ إِلَّا كَمُسْتَبْضِعٍ تَمْرًا إِلَى أَرْضِ خَيْبَرَ[1]، أَوْ كَالْوَاهِبِ الْمَاءَ لِلْبَحْرِ، وَالضَّوْءَ لِلْبَدْرِ، وَالْمُلْكَ لِسُلَيْمَانَ، وَالْمَالَ لِقَارُونَ، وَالْحِلْمَ لِأَحْنَفَ، وَالذَّكَاءَ لِإِيَاسٍ، وَالتَّفْسِيرَ لِابْنِ عَبَّاسٍ. وَمَا ذَاكَ إِلَّا كِتَابٌ كَمَا تَرَاهُ ضَرَبَ فِي الْإِحْكَامِ بِسَهْمٍ، وَوَعَى مِنَ الْأَحْكَامِ مَا خَلَتْ مِنْهُ مُفْعَمَاتُ الْأَسْفَارِ، وَمُوجَزَاتُ الرَّسَائِلِ، فَهُوَ كَمَا قِيلَ: كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا:

تَزِينُ مَعَانِيهِ أَلْفَاظُهُ * وَأَلْفَاظُهُ زَائِنَاتُ الْمَعَانِي

عَلَى أَنِّي وَإِنْ تَطَفَّلْتُ عَلَيْكَ، وَسُقْتُ لَكَ هَذَا الْكِتَابَ مُزْدَلِفًا[2] إِلَى جَنَابِكَ الرَّحْبِ، وَمَقَامِكَ الْأَسْنَى[3]، فَقَدْ أَصَبْتُ كَبِدَ الصَّوَابِ، وَوَضَعْتُهُ حَيْثُ يَعْرِفُهُ أَهْلُوهُ، وَيَتَقَبَّلُهُ مِنْ بَاذِلِهِ عَالِمُوهُ، عِلْمًا بِأَنَّكَ عِمَادُ الْعُلُومِ، وَأَسَاسُ الْفَضَائِلِ، لَا تُغَادِرُ شَارِدَةً إِلَّا وَعَيْتَهَا وَلَا نَادِرَةً إِلَّا رَوَيْتَهَا، وَإِلَّا:

لَوْ كَانَ يُهْدَى عَلَى قَدْرِي وَقَدْرِكُمُو * لَكُنْتُ أُهْدِي لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

١٥ – الشيخ علي يوسف[4]

كتب تحت عنوان «لا تعصُّبَ في مصر».

التعصُّبُ بالمعنى المعروف في الغرب عن أهل الشرق، وبعبارة أخرى عند المسيحيين عن المسلمين، هو انبثاثُ روح العداء والبغضاء من الآخرين ضد الأولين، انبثاثًا يحمل على الاعتداء عليهم حينًا بعد حين.

(١) استبضع تمرا: حمله بضاعة — وأرض خيبر مشهورة بالتمر، وعنها يصدر. (٢) ازدلف إليه: تقرب. (٣) الأسنى: الأرفع. (٤) أصله من بلدة بلصفورة بجرجا، نشأ نشأة دينية، ودرس بالأزهر، ولكنه عنى بالأدب، وخرج صحفيا بارعا ذا أسلوب قوي رائع ظهر في «المؤيد» صحيفته المصرية الإسلامية. ونال منزلة سامية بقوة أسلوبه، وشدة نفسه، وذكاء جنانه. توفي سنة ١٣٣١ هـ.

التعصبُ بهذا المعنى رذيلةٌ من الرذائل التى ينهى عنها الدينُ الإسلامىّ ، والقوانينُ الاجتماعيّة ، وفى نظرِ الأوربيين هو التوحشُ الذى يفتكُ بنفوس الأبرياء كلّما ثار ثائره . أو هو أشبهُ بالغول الكاسير[1] الذى يندفعُ بعمايةٍ فيفترسُ كلّ ما فى طريقه من نفوس البشر .

التعصبُ على هذا مجموعُ أرواحٍ شريرةٍ لا نظامَ لها فى ثوراتها وعدواتها ، نعوذُ بالله أن ترزأ[2] أمةٌ بهذا البلاء العظيم .

قالوا إنّ المصريين متعصبون تعصباً دينياً . ومعنى هذا أنهم يكرهون المخالفين لهم فى الدين كراهةً عمياء يعتدون عليهم بروح البغضاء المتناهية ، كلّما سنحت لهم فرصةُ الافتراس أو استفزهم صائح .

فى البلادِ من قديم الزمان أديانٌ مختلفة يتجاورُ أهلوها فى المنازل ، ويتشاركون فى المرافق[3] ، ويتنافسون فى الأعمال ، فلم تكن بين المسلمين والأقباط تلك الروحُ الشريرة . ولو كانت فى فطرة المسلمين أو فطرة الفريقين للاشت[4] الأكثريةُ الأقلية فى عصورٍ مضت ، وخصوصاً فى عصورٍ كانت الجهالةُ فيها سائدة ، وكان بعضُ الحكام من المماليك وغيرهم يبذرون بذورَ البغضاء بين الفريقين لا لخدمةٍ دينيةٍ إسلامية ، ولكن لأغراضٍ شتّى منشؤها الشهواتُ والمطامع . ولكنّ التواريخ تدلُّ على أنّ الفريقين عاشا على الوئام[5] والسلام فى كلّ الظروف أو أكثرها .

(١) الذى يكثر عن أنيابه .
(٢) ترزأ : تصاب .
(٣) المرافق : يريد شؤون المعاش .
(٤) أى أفنتها .
(٥) الوئام : الوفاق .

وَفَد على القُطْرِ المِصْرِىّ منذ أَوَّلِ عَهْدِ المرحوم مُحَمَّد علىّ باشا الكبير وُفودٌ مِنْ كُلِّ الطوائف المسيحيَّة، غربيَّةٍ وشرقيةٍ: مِنْ أَرْمَن وَأَرْوَام وسُورِيِّين وفرنساويين وطليانيين وإنكليز ونمساويين وأمريكانيين: من بُرُوتِسْتَانْت وكَاثُوليك وأرثوذكس وغَيْرِ ذَلِك: مِنْ عُلَمَاءٍ وتُجَّارٍ وصُنَّاعٍ وعَمَلَةٍ وهَمَلٍ[٢] مُتَشَرِّدِين، فَلَقِىَ الكُلُّ فى مصرَ صَدْرًا رَحِيبًا.

كان منهمُ الموظَّفُونَ فى كُلِّ مصلحةٍ حتى تولى نُوبَارُ باشا رِئَاسَةَ النُّظَّارِ فى مِصْر، وكان قائمقام خديو، ورئيسَ الاحتفالِ بموكِبِ المَحْمَلِ الشريف، فهل يوجدُ فى أُمَّةٍ غيرِ الأُمَّةِ المِصْرِيَّةِ المُسْلِمَةِ مثلُ هذا التساهُلِ فيَرْأَسَ احتفالاً دينيًّا مَسِيحِيًّا مُسْلِمٌ أَوْ غَيْرُ مَسِيحِىّ؟

وكان من علمائِهِم[٣] الأساتذةُ والمعلمونَ ونُظَّارُ المدارس والمُكْتَشِفُون، فهل الأُمَّةُ التى تُرَبِّى أَبْنَاءَهَا على أيدى الأساتذةِ من غَيْرِ دِينِهَا. تُعَدُّ مُتَعَصِّبَةً؟؟ وكان التُّجَّارُ على ما يُحَبَّبُونَ من الرِّحْبِ والسَّعَة وحُسْنِ القَبول، فضَرَبُوا فى البلاد بمتاجِرِهِمْ مِنْ غَتٍّ وسَمِين، وَجَيِّدٍ ورَدِىء، وخَالِصٍ ومَغْشُوش، حتى صارتْ مصرُ من أوسعِ اسواقِ مَتَاجِرِ أوربا ومعاملِها التى وَجدت إقْبَالاً من الأُمَّةِ هَائِلاً[٤].

وهؤلاء بعضُ الأجانبِ يُقِيمونَ الأكْوَاخَ الصَّغِيرَةَ الحقيرةَ لِبَيْعِ الخمورِ الرديئةِ فِي كُلِّ قريةٍ من قُرَى القُطْر، مهما سَحَقَتْ[٥] وقَلَّ عَدَدُها، أَوْ يُرَبُّونَ الخَنَازِيرَ

(١) عملة: جمع عامل. (٢) الهمل: من لا عمل لهم ولا رياسة عليهم.
(٣) أى من العلماء غير المسلمين. (٤) الهائل: يريد بها هنا: العظيم، أو الكبير. وأصلها: من هال يهول: إذا راع وأفزع، وكأن الاقبال لعظمه يهول ويروع. (٥) سحقت: بعدت.

وَيُثْرُونَ شَيْئًا فَشَيْئًا حتى يكونَ الصُّعلوكُ مِنهم فِي بِضْعِ سَنَواتٍ صاحبَ الْقَرْيَةِ وَمَزَارِعِهَا ومُدَايِنَ أَهْلِيهَا وَسَيِّدَهُم ، فهل هؤلاءِ هُمُ المُتَعَصِّبُونَ الذين يُخْشَى مِنْ شَرِّهِم فى وادِى النيلِ عَلَى الأوربِّيين ؟

١٦ - كتب المرحوم الشيخ حمزة فتح الله (١)

الى بعض الأفاضل يطلب ودّه

كما أَنَّ شَغَفَ (٢) الجَنَانِ (٣) ، بالحُسْنِ وَالإِحْسَانِ ، تكون دَاعِيَتُهُ المُشَاهَدَةَ وَتَسْرِيحَ الأَنْظَارِ فِي مُحَيَّا (٤) الكمالِ ، وَمُجْتَلَى (٥) الجَمَالِ . فَتَرَى العَيْنُ مِنْ تِلْكَ الغُرَّةِ (٦) مَا يَمْلَؤُهَا قُرَّةً (٧) ، فكَذَلِكَ السَّمَاعُ يَسْتَدْعِي هَذَا الشَّغَفَ ، فَيَتَأَثَّرُ الفُؤَادُ بما يُشَنِّفُ (٨) الأُذُنَ مِمَّا تُهْدِيهِ إِلَيْهِ طَرَائِفُ (٩) الأَخْبَارِ ، حَتَّى كَأَنَّ حَاسَّتَيِ السَّمْعِ وَالبَصَرِ فى ذَلِكَ صِنْوَانِ (١٠) ، بل أَخَوَانِ ، فى هَيكلِ هذا الجُثْمَانِ (١١) .

❖ ❖ ❖

أَلَا وَإِنَّ مَحَاسِنَ السَّيِّدِ الأَجَلِّ لَمَا سَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ ، وَأَثْنَى عَلَيْهَا كُلُّ لِسَانٍ ، مَا بَيْنَ أَخْلَاقٍ أَبْهَى مِنَ الرَّوْضِ النَّضِيرِ (١٢) ، وَأَعْرَاقٍ (١٣) أَشْهَى من عُذَيْبِ النَّمِيرِ (١٤) .

---

(١) ولد بالإسكندرية ودرس بالأزهر وأجاد اللغة ونحوها ، واشتغل بالصحافة فى تونس ومصر ، ثم مدرّسا ومفتشا بالمعارف ، وقد توفى سنة ١٩١٨ م . (٢) الشغف : شدّة الحب . (٣) الجنان بالفتح : القلب . (٤) المحيا بضم الميم وتشديد الياء : الوجه . (٥) مجتلاه : منظره . (٦) الغرة : الوجه . (٧) قرت العين : جف دمعها وبردت من السرور . والاسم منه القرة بضم القاف . (٨) يشنف الأذن : يطربها وأصله من لبس الشنف وهو القرط . (٩) الطرائف : الأحاديث المستملحة . (١٠) الصنوان : الأخوان الشقيقان . (١١) الجثمان بضم الجيم : الجسم . (١٢) النضير : الحسن . (١٣) الأعراق هنا : بمعنى الطباع والصفات . (١٤) النمير : الكثير من الماء .

قد احتللت من فؤادى لا أقول منزلا رحيبا ، ولا واديا خصيبا . بل منزلة شماء(١)، ودارة علياء(٢) . وأوجا(٣) بطوالعها السعيدة يسعد، ويلوح بها من ذكراه كل حين فرقد(٤) . فلم أنشب(٥) أن قدمت كتابى هذا لمولاى بين يدى اللقاء علّه أن يسمح به الزمان ، وتشعر(٦) عنه الليالى والأيام، ليتاح(٧) لى رىّ الفؤاد بما أرويه من حديث زيد الخيل الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير، وقال له : ما وصف لى أحد فرأيته إلا وجدته دون ما وصف لى سواك ، وإن فيك خصلتين يحبهما الله (الحلم والأناة)(٨) مقتديا بالإمام محمود جار الله(٩) فى تقديم هذا الحديث الشريف على ما أنشده إياه الشريف ابن الشجرى أول ما لقيه، وكانا قد تحابا بالسماع :

كانت مساءلة الركبان تخبرنا ● عن جابر بن رباح أطيب الخبر
حتى اجتمعنا فلا والله ما سمعت ● أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى

١٧ - المرحوم حفنى بك ناصف(١٠)

كتب إلى الفاضل السيد توفيق البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية :

كتابى إلى السيد السند ولا أجشمه(١١) الجواب عنه ، فذلك ما لا أنتظره منه، وإنما أسأله أن ينشط إلى قراءته ، ويتنزل إلى مطالعته ، وله الرأى بعد ذلك أن يحاسب نفسه ويزكيها، ويحكم عليها أو لها .

---

(١) شماء : عالية . (٢) الدارة : الدار، ويريد بها المكانة . (٣) الأوج : العلو .
(٤) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى ، وهما فرقدان . (٥) لم أنشب : لم ألبث . (٦) تشعره تكشف . (٧) يتاح لى : يتهيأ لى . (٨) الأناة : الوقار والحلم . (٩) هو الإمام الزمخشرى العالم المفسر المشهور . (١٠) اقرأ ترجمته فى شعره . (١١) جشمه الأمر : كلفه إياه .

فَقَدْ تَنْفَعُ الذِّكْرَى إِذَا كَانَ هَجْرُهُمْ ● دَلَالًا، فَأَمَّا إِنْ مَلَالًا فَلَا نَفْعَا

زُرْتُ السَّيِّدَ، وَيَعْلَمُ اللهُ أَنَّ شَوْقِي إِلَى لِقَائِهِ، يَحْرِصُ عَلَى بَقَائِهِ، وَكَلَفِي(١) بِشُهُودِهِ(٢)، كَشَغَفِي(٣) بِوُجُودِهِ؛ فَقَدْ بَعُدَ وَاللهِ عَهْدُ التَّلَاقِ، وَطَالَ أَمَدُ الفِرَاقِ، وَتَصَرَّمَ(٤) الزَّمَانُ، وَأَنَا مِنْ رُؤْيَتِهِ فِي حِرْمَانٍ، فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ خَرَجَ لِتَشْيِيعِ(٥) زَائِرٍ، وَهُوَ عَمَّا قَلِيلٍ حَاضِرٌ فَانْتَظَرْتُ رُجُوعَهُ، وَتَرَقَّبْتُ طُلُوعَهُ. وَلَمْ أَزَلْ أَعُدُّ اللَّحَظَاتِ، وَأَسْتَطِيلُ الأَوْقَاتِ، حَتَّى بَزَغَتِ الأَنْوَارُ، وَارْتَجَّ صَحْنُ(٦) الدَّارِ، وَظَهَرَ الاسْتِبْشَارُ عَلَى وُجُوهِ الزُّوَّارِ. وَجَاءَ السَّيِّدُ فِي مَوْكِبِهِ، وَجَلَالَةِ مَحْتِدِهِ(٧) وَمَنْصِبِهِ، فَقُمْنَا لِاسْتِقْبَالِهِ، وَهَيْنَمَنَا(٨) بِكَمَالِهِ. ثُمَّ يَتَعَرَّفُ وُجُوهَ القَوْمِ حَتَّى حَاذَانِي، وَكَبُرَ عَلَيَّ أَنْ تَرَانِي، فَغَادَرَنِي وَمَنْ عَلَى يَسَارِي، وَأَخَذَ فِي السَّلَامِ عَلَى جَارِي، وَجَرَّ السَّلَامُ الكَلَامَ، وَتَكَرَّرَ القُعُودُ وَالقِيَامُ، وَأَنَا فِي هَذِهِ الحَالِ أُوهِمُ جَارِي، أَنِّي فِي دَارِي، وَأُظْهِرُ لِلنَّاسِ أَنَّ شِدَّةَ الأُلْفَةِ، تُسْقِطُ الكُلْفَةَ؛ وَمَرَّ السَّيِّدُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَمَامِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَمِنَ الغَرِيبِ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَدْرِكْ مَا فَاتَ، وَأَغْرَبُ مِنْهُ أَنَّهُ اسْتَخْلَصَ لِنَفْسِهِ مِنَ المَجْلِسِ أَرْبَعَةً؛ وَدَعَاهُمْ إِلَى الحُجْرَةِ فَدَخَلُوا مَعَهُ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا القِيَامُ، وَالإِمْسَاكُ عَنِ الكَلَامِ.

تَمُرُّونَ الدِّيَارَ وَلَمْ تَعُوجُوا(٩) ● كَلَامُكُمُ عَلَيَّ إِذَنْ حَرَامُ

---

(١) الكلف بفتحتين: الحب الشديد.
(٢) شهوده: رؤيته.
(٣) الشغف: كالكلف.
(٤) تصرم الزمان: انقضى.
(٥) تشييعه: توديعه.
(٦) صحن الدار: ساحتها.
(٧) المحتد: الأصل.
(٨) الهينمة: الصوت الخفي.
(٩) عاج: مال. أي لم تميلوا إلينا.

وكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ مَكَانَتِي عِنْدَ السَّيِّدِ لَا تُنْكَرُ، وَأَنَّ عَهْدِي لَدَيْهِ لَا يُخْفَرُ(١)؛ فَأَنَا أَنَا لَسْتُ فِي العِيرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ، وَغَيْرِي عِنْدَ السَّيِّدِ كَثِيرٌ، وَذَهَابُ صَاحِبٍ أَوْ أَكْثَرَ عَلَيْهِ يَسِيرٌ.

وَمَنْ مَدَّتِ العَلْيَا إِلَيْهِ يَمِينَهَا * فَأَكْبَرُ إِنْسَانٍ لَدَيْهِ صَغِيرُ

وَلَا أَدَّعِي أَنِّي أُوَازِي السَّيِّدَ (صَانَهُ اللهُ) فِي عُلُوِّ حَسَبِهِ، وَأَدَانِيهِ فِي عِلْمِهِ وَأَدَبِهِ، أَوْ أُقَارِبُهُ فِي مَنَاصِبِهِ وَرُتَبِهِ، أَوْ أُكَاثِرُهُ(٣) فِي فِضَّتِهِ وَذَهَبِهِ؛ وَإِنَّمَا أَقُولُ يَنْبَغِي لِلسَّيِّدِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِسَمَاعِ الأَغَانِي وَالأَذْكَارِ، وَشُهُودِ الأَوَانِي عَلَى مَائِدَةِ الإِفْطَارِ، وَبَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِلسَّلَامِ، وَتَأْيِيدِ جَامِعَةِ الإِسْلَامِ، وَأَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ مَنْ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ اسْتِخْلَاصًا(٤) لِلْخَلَاصِ، وَمَنْ يَتَرَدَّدُ إِجَابَةً لِدَعْوَةِ الإِخْلَاصِ. وَأَلَّا يَشْتَبِهَ عَلَيْهِ طُلَّابُ(٥) الفَوَائِدِ، بِطُلَّابِ العَوَائِدِ، وَقُنَّاصُ(٦) الشَّوَارِدِ، بِنُقَبَاءِ المَوَالِدِ، وَرُوَّادُ الطُّرَفِ(٧)، بِأَرْبَابِ الحِرَفِ.

فَمَا كُلُّ مَنْ لَاقَيْتَ صَاحِبَ حَاجَةٍ * وَلَا كُلُّ مَنْ قَابَلْتَ سَائِلَكَ العُرْفَا(٨)

فَإِنْ حَسُنَ عِنْدَ السَّيِّدِ أَنْ يُغْضِيَ عَنْ بَعْضِ الأَجْنَاسِ، فَلَا يَحْسُنُ أَنْ يُغْضِيَ عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ.

وَلَا أَرُومُ بِحَمْدِ اللهِ مَنْزِلَةً * غَيْرِي أَحَقُّ بِهَا مِنِّي إِذَا رَامَا

---

(١) خفر عهده : نقضه .
(٢) يقال : هو لا فى العير ولا فى النفير ، أى إنه لا قيمة له ولا يحسب له أى حساب .
(٣) كاثره : فاخره بكثرة المال .
(٤) الخلاص بكسر الخاء : ما انتفى عنه الغش من الذهب أو الفضة أو الزبد . والمراد به هنا ما يقدم من الصدقة ونحوها .
(٥) العوائد : جمع عائدة وهى المنفعة .
(٦) يريد بالشوارد غرائب اللغة ونوادر الأدب .
(٧) الطرف بضم الطاء وفتح الراء : جمع طرفة بضم الطاء ، وهى الجديد الحسن المتخير .
(٨) العرف : الجود والمعروف .

وَإنما أَصُونُ نَفْسِي عَنِ الْمَهَانَةِ وَالضَّعَةِ، وَلَا أَعَرِّضُهَا لِلضِّيقِ وَفِي الدُّنْيَا سَعَةٌ.

وَأُكْرِمُ نَفْسِي إِنَّنِي إِنْ أَهَنْتُهَا * وَحَقِّكَ لَمْ تُكْرَمْ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي

فَلَا يُصَعِّرُ (١) السَّيِّدُ مِن خَدِّه، فَقَدْ رَضِيتُ بِمَا أَلْزَمَنِي مِن بُعْدِه، وَلَا يَغُضُّ (٢) مِن عَيْنِه، فَهٰذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنَه، وَلْيَتَّخِذْنِي صَاحِبًا مِن بَعِيد، وَلَا يُكَلِّمْنِي إِلَى يَوْمِ الْوَعِيدِ (٣).

كِلَانَا غَنِيٌّ عَن أَخِيهِ حَيَاتَهُ * وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا

وَمِنِّي عَلَى السَّيِّدِ السَّلَامُ، عَلَى الدَّوَامِ، وَمُبَارَكٌ إِذَا لَبِسَ جَدِيدًا، وَكُلُّ عَامٍ وَهُوَ بِخَيْرٍ إِذَا اسْتَقْبَلَ عِيدًا، وَمَرْحَى (٤) إِذَا أَصَابَ، وَشَيَّعَتْهُ السَّلَامَةُ إِذَا غَابَ، وَقُدُومًا مُبَارَكًا إِذَا آبَ، وَبِالرَّفَاءِ وَالْبَنِينِ (٥) إِذَا أَعْرَسَ (٦)، وَبِالطَّالِعِ الْمَسْعُودِ إِذَا أَنْجَبَ (٧)، وَرَحِمَهُ اللهُ إِذَا عَطَسَ، وَنَوْمَ الْعَافِيَةِ إِذَا نَعَسَ، وَصَحَّ نَوْمُهُ إِذَا اسْتَيْقَظَ، وَهَنِيئًا إِنْ شَرِبَ، وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ إِذَا رَكِبَ، وَنِعِمَ صَبَاحُهُ إِذَا انْفَجَرَ الْفَجْرُ، وَسَعِدَ مَسَاؤُهُ إِذَا أَذَّنَ الْعَصْرُ، وَبَخٍ بَخٍ (٨) إِذَا نَثَرَ (٩)، وَلَا فُضَّ فُوهُ (١٠) إِذَا شَعَرَ (١١)، وَأَجَادَ وَأَفَادَ إِذَا خَطَبَ، وَأَطْرَبَ وَأَغْرَبَ إِذَا كَتَبَ، وَإِذَا حَجَّ الْبَيْتَ فَحَجًّا مَبْرُورًا، وَإِذَا شَيَّعَ جَنَازَتِي فَسَعْيًا مَشْكُورًا.

---

(١) صعر الرجل خده: أماله كبرا وتيها. (٢) يغض عينه: يغمضها.

(٣) يوم الوعيد: يوم القيامة. (٤) مرحى بفتح الميم وسكون الراء وفتح الحاء: كلمة تقال مدحا لمن يصيب الرمية. (٥) بالرفاء والبنين: دعوة لمن يتزوج بالالتئام واستيلاد الأولاد.

(٦) أعرس: تزوج. (٧) أنجب: ولد له ولد. (٨) بخ بخ: كلمة تقال عند استحسان الشيء والاعجاب به. (٩) نثر: أرسل القول منثورا. (١٠) لا فض فوه: لا خلا من أسنانه. دعوة توجه لمن يجيد القول. (١١) شعر: قال الشعر.

وكتب إلى الشيخ على الليثى رحمهما الله يشكره على هدية عنب :

وَصَلَ يَا مَوْلَاىَ إِلَى هٰذَا الطَّرَف، مَا خَصَصْتَ بِهِ العَبْدَ من الطُّرَف[1] «قَفَصٌ» من عِنَب كَاللُّؤْلُؤ فى الصَّدَف، تَتَأَلَّقُ عَنَاقِيدُهُ كَأَنَّهَا مِن صِنَاعَةِ «النَّجَف»[2] «وَلَعَمْرُ الحَقِّ[3] إِنَّهَا تُحْفَةٌ مِن أَحْلَى التُّحَف، لَا يُعْثَرُ عَلَى مِثْلِهَا إِلَّا بِطَرِيقِ «الصُّدَف» . فَقَابَلْنَاهُ لَثْمًا بالأَفْوَاه، وَرَشْفًا بالشِّفَاه . وَاحْتَفَيْنَا[4] بِقُدُومِهِ كُلَّ الِاحْتِفَاء، وَلَمْ نُفَرِّطْ فِي حَبِّهِ عِنْدَ اللِّقَاء . بَلْ حَلَلْنَا لَهُ الحُبِّىَ[5]، وَقُلْنَا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا . وَأَوْسَعْنَاهُ هَضْمًا وَلَثْمًا ، وَتَنَاوَلْنَاهُ تَجْمِيشًا[6] وَضَمًّا وَحَفِظْنَا فِي صُدُورِنَا سِرَّهُ المَكْنُون، وَطَوَيْنَاهُ فِي غُضُونِ البُطُون . فَطَرِبَتْ مِنْ تَعَاطِيهِ الأَرْوَاح، وَلَا غَرْوَ[7] فَهُوَ أَصْلُ الرَّاح[8] . وَانْتَشَيْنَا[9] وَلَمْ نَحْمِلْ وِزْرًا، وَثَمِلْنَا[10] وَلَمْ نَذُقْ طَعْمًا مُرًّا . فَهُوَ كَبَيَانٍ مُهْدِيهِ سِحْرٌ وَلٰكِنَّهُ حَلَال، وَلَعِبٌ إِلَّا أَنَّهُ كَمَال .

❖ ❖ ❖

وَكَانَ الْأَحْرَى بِهٰذَا الْعِنَبِ أَنْ يُنَاطَ[11] بِالنُّحُور، أَوْ تُزَيَّنَ بِهِ الصُّدُور . فَمَا هُوَ إِلَّا اللُّؤْلُؤُ وَلٰكِنَّهُ سَلِمَ مِنْ سِجْنِ الْبِحَار، وَمَا هُوَ إِلَّا الدُّرُّ لٰكِنْ لَيْسَ فِيهِ صُغَار[12] .

وَمَنْ كُنْتَ بَحْرًا لَهُ يَا عَلِـ * ـىُّ لَا يَلْقُطُ الدُّرَّ إِلَّا كُبَارَا[13]

---

(١) يريد بالطرف : التحف . (٢) النجف كلمة مولدة . (٣) لعمر الحق : قسم بالحق .
(٤) احتفى به احتفاء : أكرمه وأظهر السرور به . (٥) يقال فلان ممن تحل له الحبى ، أى يقابل بالإجلال والإعظام . والحبى : جمع حبوة وهى ما يجمع به بين الظهر والساق من حبل ونحوه .
(٦) جمشه تجميشا : قرصه ولاعبه . (٧) لا غرو ، لا عجب .
(٨) الراح : من أسماء الخمر . (٩) انتشى : سكر .
(١٠) ثمل : سكر . (١١) يناط : يعلق .
(١٢) الصغار بضم الصاد : الصغير . (١٣) الكبار بضم الكاف : الكبير .

وَمَا ضَرَّهُ أَنْ ضَمَّهُ القَفَص، (حِصَّةٌ[1] مِنَ الحِصَص) فإنَّ كَرِيمَ الطَّيْرِ يُودَعُ فِي الأَقْفَاص، وَالقَلْبُ لَيْسَ لَهُ مِن حَنَايَا الضُّلُوعِ خَلَاص. فلا بِدْعَ أَنْ تُسْتَقَلَّ فِي حَبَّاتِهِ حَبَّاتُ القُلُوب، وَيُسْتَمْلَحَ فِي جَنْبِ حَلَاوَتِهِ رُضَابُ[2] المَحْبُوب. وَكَأَنَّ الثُّرَيَّا لَمَّا أَخَذَتْ شَكْلَهُ، فَغَرَ الهِلَالُ[3] فَاهُ لِعُنُقُودِهَا يُرِيدُ أَكْلَه، فَهُوَ يُطَارِدُهَا فِي السَّمَاء، وَيَأْخُذُ عَلَيْهَا الطَّرِيقَ مِنَ الوَرَاء. وَهِيَ تَجْرِي مِنَ الأَمَام، مَخَافَةَ الالْتِهَام. هَذَا لِمُجَرَّدِ تَشَابُهٍ فِي الشَّكْلِ فَكَيْفَ بِالثُّرَيَّا، لَوْ أَشْبَهَتْهُ حَلَاوَةً وَرِيًّا[4]. فَفِيهِ تِلْكَ العَنَاقِيدُ مَا أَشَدَّ تَأَلُّقَهَا[5]، وَأَصْفَى مَاءَهَا وَأَحْسَنَ رَوْنَقَهَا. مِنْ كُلِّ عُنْقُودٍ تُخَالُهُ عَمُودَ الصُّبْحِ[6] أَحَاطَتْ بِهِ الدَّرَارِي، أَوْ غُصْنَ البَانِ[7] تَعَلَّقَتْ بِهِ القَمَارِي[8].

وكتب يعزّي كبيرًا (لعله الشيخ علي يوسف رحمه الله في ولده):

خَفَّفَ اللهُ لَوْعَتَكَ[9]، وَأَرْقَأَ[10] دَمْعَتَكَ؛ وَجَنَّبَكَ الجَزَعَ[11]، وَوَقَاكَ الهَلَعَ[12]. وَأَلْهَمَكَ الصَّبْرَ، وَأَجْزَلَ لَكَ الأَجْرَ وَرَزَقَكَ مِنَ البَنِينَ، فِي مُسْتَقْبَلِ السِّنِينَ، مَا تَقَرُّ بِهِ[13] عَيْنَاكَ، وَيَقْوَى بِهِ عَنَاكَ[14]، وَأَنْتَ وَالحَمْدُ لِلهِ فِي قُوَّةٍ وَبَقِيَّةٍ مِنَ الفَتْوَةِ[15] تُمَكِّنُكَ مِنَ الأُبُوَّةِ، لِخَيْرِ البُنُوَّة. عَلَى أَنَّ لَكَ فِي عَالَمِ السِّيَاسَةِ، وَضُرُوبِ الكِيَاسَةِ[16]،

(١) الحصة في الأصل: النصيب، واستعملها المحدثون في معنى الفترة من الزمن. يريد: وقتًا من الأوقات. (٢) الرضاب بضم الراء: الريق. (٣) فغر فاه: فتحه. (٤) الري بالكسر: الشبع من الماء. (٥) تألقها: بريقها. (٦) عمود الصبح: ضوؤه. (٧) البان: شجر يضرب المثل بأغصانه في اعتدال القوام. (٨) القماري بفتح القاف وكسر الراء: جمع قمري بضم القاف، وهو نوع من الحمام حسن الصوت. (٩) اللوعة: حرقة الحزن. (١٠) أرقأ دمعته: جففها. (١١) الجزع: أشد الحزن. (١٢) الهلع: الجزع من المصيبة. (١٣) قرت العين: بردت من السرور. (١٤) العنا: الجانب. (١٥) الفتوة: قوة الشباب. (١٦) الكياسة: الفطنة وصحة الرأي.

فِي هَذِهِ الْبِلَاد، أَلْوَانًا مِنَ الْأَوْلَاد، وَآثَارًا كُبْرَى، تَضْمَن لَك الذِّكْرَى، وَتَجْعَلُ لَكَ عَلَى مَدَى السِّنِين، لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِين. وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ.

١٨ — السيد مصطفى لطفى المنفلوطى (١)

نفس الشاعر

"قطعة من رواية الشاعر، يخاطب فيها ميرانو لبريه الذى ينصحه بحسن السياسة والمداراة"

أَتُرِيدُ أَنْ أَعْتَمِدَ فِي حَيَاتِي عَلَى غَيْرِي، وَأَنْ أَضَعَ زِمَامَ نَفْسِي فِي يَدِ عَظِيمٍ مِنَ الْعُظَمَاء، أَوْ نَبِيلٍ مِنَ النُّبَلَاء، يَصْطَنِعُنِي وَيَجْتَبِينِي (٢)، وَيَكْفِينِي مَئُونَةَ عَيْشِي، وَيَحْمِلُ عَنِّي هُمُومَ الْحَيَاةِ وَأَثْقَالَهَا، فَيَكُون مَثَلِي مَثَلَ شَجَرَةِ «اللَّبْلَاب» لَا عَمَلَ لَهَا فِي حَيَاتِهَا سِوَى أَنْ تَلْتَفَّ بِأَحَدِ الْجُذُوعِ تَلْعَقُ (٣) قِشْرَتَه، وَتَمْتَصُّ مَادَّةَ حَيَاتِه، بَدَلًا مِنْ أَنْ تَعْتَمِدَ فِي حَيَاتِهَا عَلَى نَفْسِهَا؟

ذَلِكَ مَا لَا يَكُون!

أَتُرِيدُ أَنْ أَحْمِلَ نَفْسِي عَلَى عَاتِقِي، كَمَا يَحْمِلُ الدَّلَّالُ سِلْعَتَه، وَأَدُورُ بِهَا فِي الْأَسْوَاقِ مُنَادِيًا عَلَيْهَا: مَنْ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ وَالْأَثْرِيَاء (٤)، وَالْوُزَرَاءُ وَالْعُظَمَاء، وَأَصْحَابُ الْجَاهِ وَالسُّلْطَان، يَبْتَاعُ نَفْسًا بِذِمَّتِهَا وَضَمِيرِهَا، وَعَوَاطِفِهَا وَمَشَاعِرِهَا، بِلُقْمَةِ عَيْشٍ، وَجُرْعَةِ مَاء؟!

---

(١) نشأ السيد المنفلوطى بمنفلوط وتعلم بالأزهر، واشتغل محررا بالمؤيد، ثم اتصل بالمرحوم سعد باشا زغلول، فألحقه بالمعارف ثم الحقانية. وكان كاتبا رقيق القول محكم النسج، يجيد تصوير الشعور المحزن. وله شعر قليل. توفى سنة ١٣٤٣ هـ. تاركا آثارا قلمية جميلة. (٢) يجتبينى: يختارنى

(٣) لعق الشيء: أخذه بطرف لسانه. (٤) الأثرياء: جمع ثرى، وهو من عنده مال كثير.

أتريدُ أنْ تستحيلَ قامتي إلى قوسٍ من كثرةِ الانحناء، وأنْ تتهدّلَ أجفاني من كثرةِ الإطراقِ والإغضاء، وأنْ تجتمعَ فوقَ ركبتيَّ طبقةٌ سميكةٌ من كثرةِ السجودِ والجثو(١) بينَ أيدي العظماء؟ !

أتريدُ أنْ يكونَ لي لسانان : لسانٌ كاذبٌ أمدحُ به ذلكَ الذي صنعني واجتباني؛ ولسانٌ أعددُه لعيوبهِ وسيئاتِه . وأنْ يكونَ لي وجهان : وجهٌ راضٍ عنه، لأنّهُ يذودُ عنّي ويحميني، ووجهٌ ساخطٌ عليه، لأنّهُ يستعبدُني ويسترقّني ؟ !

ذلكَ ما لا يكون !

أريدُ أنْ أعيشَ حرًّا طليقا، أضحكُ كما أشاء، وأبكي كما أريد، وأحتفظُ بنظري سليما، وصوتي رنّانا، وخطواتي منتظمة، ورأسي مرفوعا، وقولي صريحا، أنظمُ الشعرَ في الساعةِ التي أختارُها، وفي الشأنِ الذي أريدُه. فإنْ أعجبني ما وردَ عليَّ منهُ فذاك، وإلّا تركتُه غيرَ آسفٍ عليه، وأخذتُ في نظمِ غيرِه، بدلًا من أنْ أتوسّلَ الى الطابعينَ أنْ ينشروه، والأدباءِ أنْ يقرّظوه، والممثّلينَ أنْ يمثّلوه، والعظماءِ أنْ ينوّهوا بهِ ويرفعوا من شأنه !

أريدُ أنْ أعيشَ حرًّا طليقا، أناضلُ(٢) من أشاء، وأجادلُ من أشاء، وأنتقدُ من أشاء . وأنْ أقولَ كلمتي الخيرِ والشرِّ للأخيارِ والأشرارِ في وجوههم، لا متملّقا أولئك، ولا خاشيًا هؤلاء .

---

(١) جثا الرجل يجثو جثوا : جلس على ركبتيه .

(٢) أناضل : أدافع وأغالب .

وكتب أيضا :

الشاعـــر

إنما يشقى في هذا العالم أحد ثلاثة : حاسد يتألم لمنظر النعم التي يسبغها الله على عباده، ونعم الله لا تنفد ولا تفنى . وطماع لا يستريح إلى غاية من الغايات حتى تنبعث نفسه وراء غاية غيرها، فلا تفنى مطامعه، ولا تنتهي متاعبه ومقترف جريمة من جرائم العرض والشرف، لا يفارقه خياله حيثما حل وأينما سار . وما أنت ياسيدي بواحد من هؤلاء، فمن أي باب من الأبواب يتسرب الشقاء الى قلبك ؟

أنت شاعر يا مولاي ؛ وقلب الشاعر مرآة تتراءى فيها صور الكائنات صغيرها وكبيرها ، دقيقها وجليلها، فإن أعوزتك(١) السعادة فتشت عنها في أعماق قلبك، فقلبك الصورة الصغرى للعالم الأكبر وما فيه .

السماء جميلة ، والشاعر هو الذي يستطيع أن يدرك سر جمالها ، ويخترق بنظراته أديمها(٢) الأزرق الصافي، فيرى في ذلك العالم العلوي النائي ما لا تراه عين، ولا يمتد إليه نظر .

والبحر عظيم ، والشاعر هو الذي يشعر بعظمته وجلاله . ويرى في صفحته الرجراجة(٣) المترجحة(٤) صور الأمم التي طواها والمدن التي محاها، والدول التي أبادها . وهو باق على صورته لا يتغير ولا يتبدل، ولا يبلى(٥) على العصور والأيام .

---

(١) أعوزتك : احتجت إليها . (٢) الأديم : الجلد . وأديم الأرض والسماء : ماظهر منها .
(٣) الرجراجة : المتحركة المموجة . (٤) المترجحة : المهتزة المضطربة .
(٥) بلى الشيء : تهيأ للفناء .

وَاللَّيْلُ مُوحِشٌ[1]، وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ فِي سُكُونِهِ وَهُدُوئِهِ أَنِينَ الْبَائِسِينَ، وَزَفَرَاتِ[2] الْمُتَأَلِّمِينَ، وَأَصْوَاتَ الدُّعَاءِ، الْمُتَصَاعِدَةَ إِلَى آفَاقِ السَّمَاءِ، وَيَرَى صُوَرَ الْأَحْلَامِ الطَّائِفَةِ بِمَضَاجِعِ النَّائِمِينَ، وَخَيَالَاتِ السَّعَادَةِ أَوِ الشَّقَاءِ الْهَائِمَةَ[3] فِي رُءُوسِ الْمَجْدُودِينَ[4] وَالْمَحْدُودِينَ[5].

الشَّاعِرُ يَرَى الْجَمَالَ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَتَنَاوَلُهُ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ، حَتَّى فِي الزَّهْرَةِ الذَّابِلَةِ[6]، وَالنَّبْتَةِ الْحَائِلَةِ[6]، وَالنَّحْلَةِ الطَّائِرَةِ، وَالْفَرَاشَةِ الْحَائِمَةِ[7]، وَفِي مَدَارِجِ[8] النَّمْلِ وَأَفَاحِيصِ[9] الْقَطَا[10]، وَالنُّؤْيِ[11] الْمُتَهَدِّمِ، وَالْحَدَثِ الْبَالِي، وَالشَّبَحِ الْمُخِيفِ، وَالْخَيَالِ الرَّائِعِ، وَفِي الضِّفْدِعَةِ الْمُلْقَاةِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَالدُّودَةِ[12] الْمُمْتَدَّةِ فِي بَاطِنِ الصَّخْرِ، فَهُوَ مِنْ خَيَالِهِ الْوَاسِعِ فِي نِعْمَةٍ دَائِمَةٍ لَا تَنْفَدُ وَلَا تَبْلَى.

أَنْتَ كَالطَّائِرِ السَّجِينِ فِي قَفَصِهِ، فَمَزِّقْ عَنْ نَفْسِكَ هَذَا السِّجْنَ الَّذِي يُحِيطُ بِكَ، وَطِرْ بِجَنَاحَيْكَ فِي أَجْوَاءِ هَذَا الْعَالَمِ الْمُنْبَسِطِ الْفَسِيحِ، وَتَنَقَّلْ مَا شِئْتَ فِي جَنَبَاتِهِ وَأَكْنَافِهِ[12]، وَاهْتِفْ بِأَغَارِيدِكَ[13] الْجَمِيلَةِ فَوْقَ قِمَمِ[14] جِبَالِهِ، وَرُءُوسِ[15] أَشْجَارِهِ، وَضِفَافِ[16] أَنْهَارِهِ، فَأَنْتَ لَمْ تُخْلَقْ لِلسِّجْنِ وَالْقَيْدِ، بَلْ لِلْهُتَافِ وَالتَّغْرِيدِ.

---

(١) موحش : مظلم يبعث على الوحشة والانقباض . (٢) زفر الرجل : أخرج نفسه مع مده لها، من ضيق وحزن . (٣) الهائمة : الطائفة . (٤) المجدودون : جمع مجدود، وهو ذو الحظ الموفق . (٥) المحدودون : جمع محدود، وهو ضد المجدود . (٦) الحائلة : المتغيرة . (٧) الحائمة : أى التى لا تفتأ تدور حول النار أو النور . (٨) المدارج : جمع مدرج، موضع الدروج، وهو المشى . (٩) الأفاحيص جمع أفحوص بضم الهمزة، وهو الموضع الذى تفحص القطاة التراب عنه، لتبيض فيه . (١٠) القطا : جمع قطاة، وهى طائر فى حجم الحمام . (١١) النؤى : الحفرة التى تحفر حول الخيام ليذهب فيها السيل . (١٢) أكنافه : نواحيه . (١٣) اهتف : مد صوتك . (١٤) الأغاريد : جمع أغرودة، وهى غناء الطائر . (١٥) القمم : جمع قمة، وهى أعلى الجبل . (١٦) الضفاف : جمع ضفة، وضفة النهر : جانبه .

١٩ - سعد زغلول باشا[1]

وجّه رحمه الله هذا النداء إلى الأمة المصرية عقب عودته إلى مصر فى صدر سنة ١٩٢١ م :

رَحَّبَت الأمةُ بعَوْدةِ نُوّابِها ترحيباً فاق كُلَّ ترحيب، وأعجَزَ وَصْفَ كُلِّ كاتِبٍ وخَطيب، فقد أتى أفرادُها مِنْ كُلِّ ناحيةٍ بدافِعٍ من ضَمائِرِهِم النَّيِّرة، وباعِثٍ مِنْ شُعُورِهِمُ الحَيّ، تَرْتَعِشُ أعْصابُهُمْ حَماسَة، وتَخفِقُ قُلُوبُهُمْ بالوَطَنِيَّةِ الصّادِقَة، للإلتِفافِ حَوْلَ مَن اتَّخَذُوهُمْ رَمْزَ أمانِيِّهِمْ وعُنْوانَ مَبادِيهِم. ولَقَدْ رأيتُ آياتِ الحِكْمَةِ والكَرامَةِ والثَّباتِ تتجلَّى فيما استقبلْنا بِهِ مِنْ مَظاهِرِ الفَرَحِ الباهِرِ — تِلْكَ الصِّفاتِ التى تَضْمَنُ للشُّعوبِ تَقَدُّمَها وللأمَمِ سَعادَتَها. وشَعَرْتُ مِنْ قُبُلاتِ التَّرْحيبِ التى غَمَرُونا بها بحَرارَةِ قَلْبٍ يَخفِقُ فى جِسْمِ شَعْبٍ عَظيم. وقد اشتَرَكَ الأمْواتُ والأحْياءُ فى أن يُمْلُوا على المَجْموعِ وكُلِّ فَرْدٍ واجِبَه نحو الوَطَنِ العزيز، وأجْمَعَ الكُلُّ على مُطالَبَتِنا بمُواصَلَةِ السَّيْرِ فى الطريقِ الذى سَنَّهُ الحَقُّ القَويم. وإن الشَّرَفَ والكَرامَةَ والإخلاصَ لِوَطَنِنا المُقَدَّسِ لَمِمَّا يُوجِبُ عَلَيْنا طاعَةَ هذا الأمْرِ الكَريم، والتزامَ هَذا الطَّريقِ المُسْتَقيم.

إننا نَشْكُرُ البلادَ جَميعَها. قَريبَها وبَعيدَها: على حُلَّةِ[2] الثِّقةِ التى زَيَّنَتْنا بها، ونُقْسِمُ بالوطَنِ وشَعائِرِهِ[3] المُقَدَّسَة — ويُشارِكُنا فى هذا القَسَمِ العظيم أصحابُنا المُخْلِصونَ

(١) يعدّ سعد زغلول باشا زعيم الخطابة العربية فى عصره — درس فى الأزهر دراسة استقلالية أعدته ليكون كاتبا نابغا ومحاميا بارعا وقانونيا قديرا. كان زعيم النهضة السياسية حتى توفى سنة ١٩٢٧ م.

(٢) الحلة : الثوب. (٣) الشعائر : العلامات والمعالم.

فى جهادهم — أننا لا ندخر شيئاً من وسعنا لتحقيق هذه الثقة الغالية ، ولا تتحول لحظة واحدة عن الغرض الذى وضعناه نصب عيوننا (١) حتى نصل إليه .

إننا لم نعد إلا ليقوى بعزائم مواطنينا الكرام عزائمنا ، وتشد أزرنا باتحادهم المتين ، وتتمتع بمرآهم بعد طول هذه الغيبة ، ونتأكد من أن الاشتراك فى المفاوضات الرسمية التى دعتنا الوزارة الجديدة له متفق مع المبادئ التى وضعتها الأمة ، وعاهدناها على احترامها ، ومع الخطة التى رسمتها وتعهدنا بمتابعتها . ولا شىء أحب الى قلوبنا من أن نخدم بلادنا بالاتفاق مع كل هيئة مستعدة لأن تسترشد بإرادة الأمة ، وعاملة على تحقيق غايتها السامية .

لم يبق علينا إلا أن يعود كل منا إلى عمله ، ويقبل على شأنه ، فالتلميذ الى مدرسته ، والفلاح الى مزرعته ، والصانع إلى مصنعه ، والتاجر الى متجره ، والكاتب الى مكتبه ، والمرأة الى إدارة بيتها . وعلى الكل من غنى وفقير أن يباشر عمله ، مراقبا أعمالنا ، واضعاً نصب عينيه المقصد الأسمى ، وأن يعتقد أنه يزيد بما يعمل فى كنوز الوطن كنزا ، ويضم الى قواه قوة .

الى العمل جميعا ، لترفع منار الوطن ، وتعلى كلمته ، ولتحى مصر !

---

(١) نصب عيونا : أمامها .

٢٠ - محمد بك المويلحى (١)

كتب من مصر إلى منيف باشا وزير المعارف فى تركيا يعزيه فى ابنتـــه :

إلى الوزيرِ الذى ترتعش بنظرةٍ منه عُقَدُ السِّياسة ، حتى تنحلَّ من شِدَّةِ الارتجاف ، والأميرِ الذى ينتعش به سرورا دَسْتُ (٢) الرياسة ، حتى يتيه على الأسلاف ، والفيلسوفِ الذى تفرَّعَتْ عنه أصولُ الحِكَم ، والهُمامِ الذى أعْيَا النجومَ ان تباريه فى عُلوِّ الهِمَم ، والرفيعِ الذى سارَتْ عنه أمثالُ المَجْدِ المؤثَّل (٣) ، وانتشر على السُّمَّار (٤) حديثُ فَضْلِهِ المرتَّل :

إلى قُطبِ (٥) الدُّنيا الذى لو يفَضْلِهِ * مَدَحتُ بَنِي الدُّنيا كَفَتْهُمْ فضائلُه

من عَبدٍ لدَوْلَتِه ، له الشرفُ الأسْنَى بهـذه النِّسبةِ بَعْدَ أبيـه ، والفخرُ الأعلى بذلك وأفانينُ التيه (٦) . دَهَمَـهُ خَبَرُ المُصَابِ الذى أنْقَضَ (٧) ظَهْرَه ، وأرْضَى دَهْرَه (٨) على أنَّ الموت — أطال الله بقـاءَ المَجْدِ بطُولِ بقـائك ، وأدام رَوْنَقَ الفَضْـلِ

(١) هو ابن المرحوم إبراهيم بك المويلحى . أخذ الأدب عن أبيـه ، واتصـل بكبار أئمة العلم والأدب فى عصره ، وحذق التركية وطائفة من اللغات الأوربية . ويمتاز قلمه بصفاء الديباجة ، ونصاعة اللفظ ، وتلاحم النسج ، ومتانة السجع ، وقد أوتى من البراعة فى فنون الوصف ما لا يتعلق فيه بغباره . وله (حديث عيسى بن هشام) وكان قد نشر منجما فى جريدة « مصباح الشرق » التى كان يحررها مع أبيه . توفى سنة ١٩٣٠ م .

(٢) الدست : الكرسى . (٣) المؤثل : الأصيل الثابت .

(٤) السمار : المتسامرون ، المتحدثون ليلا . وفى الليل يجتمع الناس عادة للتحدث .

(٥) قطب الشىء : مداره وملاكه الذى يعمل به . وقطب القوم : سيدهم الذى يدور عليه أمرهم

(٦) التيه : الكبر والخيلاء . (٧) أنقض ظهره : أثقله .

(٨) كل امرئ يحسب دهره عاملا على إيذائه يرضيه أن يتوالى عليه الضرر ، ويزل به المكروه .

بدوامك — بابٌ من أبواب الطبيعة لا مفرَّ للإنسان من ولوج فيه، وعونٌ من أعوان الحياة لا بدَّ للحيّ من توافيه (١). واسمُ الحياة لا معنى له بغير اسم الموت، ولفظُ العيش متضمّنٌ لفظ الفوت (٢). ولقد قيل لحكيم مثلك: ما سببُ موتِ فلان؟ قال: كونُه (٣)! فعجيبٌ بعدَ ذلك من ابنِ آدمَ ثكلُه وحزنُه. وإني أتيقّنُ أنّ مولاي الوزيرَ ما تجاسرَ أن يلمس أذيالَه رسولُ الحزن والأسى، ولا عارضَ نورَ حكمته عارضٌ من ظلمة ذاك الدُّجى (٤)، وما تسنّى لطفليّ الفزع أن يتلمّظ (٥) على مائدة حلميه بعد ارتقاء هضباته (٦)، ولا طمعَ أشعبيّ (٧) الجزع في استجداء من معدن وقاره وثباته.

لكنّما الفقيدةُ التي اختارتْ روحها فداءً لبنات معاليك ومجدك، ورضيتْ أن تكونَ نفسُها زكاةً لكنوز فضائلك وسعدك، تستوجبُ من جهتين لا من جهة، أنواعَ الأسف، وينبغي لها إرسالُ الدمع المنذرف (٨)، واحتراقُ الكبد عليها من طرفين لا من طرف: الأول — أنّ الوردةَ قد اقتُطفتْ قبل إبانها (٩)، وانتُزعت من أفنانها قبل أوانها (١٠)، واقتُنصت الظبيةُ من خمائلها (١١) قبل استكمال مخايلها، واختُطفت الحمامةُ من وكرها قبل أن يُطوّق جيدُها، وينتظم نشيدُها، واقتُصف الغصنُ قبل إثماره، وانمحق الهلالُ قبل إبداره. وحين البدءِ في دورٍ من أدواره.

(١) توافى إلى المكان: حضر إليه. (٢) الفوت: الهلاك. (٣) كونه: أي حياته. (٤) الدجى: الظلمة. (٥) تلمظ الشيء: تذوق قليلا منه. (٦) هضبات: جمع هضبة، وهي المكان المرتفع. (٧) أشعب: اسم رجل يضرب به المثل في الطمع. (٨) المنذرف: السائل. (٩) إبان الشيء: وقته. أي قبل اكتمال نضرتها. (١٠) جمع قنن وهو الغصن المستقيم. (١١) مخايلها: صفاتها ومحاسنها. (١٢) انمحق: اضمحل وانمحى.

وشُعاعُ أَمَلٍ لَفَّ عَلَيْهِ السَّحابُ رِداءَه ، وساعَةُ سُرُورٍ نَبَذَها حَسَدُ الأيامِ واللَّيالِي وَرَاءَه :

إن الفَجيعَةَ بالرِّياضِ نَواضِراً • لَأَجَلُّ منها بالرِّياضِ ذَوَابِلا

والثانى : لِأَنِّى لستُ مِنْ رَأْيِ من يَنْسُبُ إلى النبيِّ أنه قال : « نِعْمَ الخَتَنُ القَبْرُ »[1] ولا من رَأْيِ العَرَبِ حينَ تَتَبَجَّحُ بِمُصاهَرَةِ القُبورِ[2]، وَهَضْمِ حَقِّ الإناثِ وتفضيلِ الذُّكور . ولا أَرَانِى من مَذْهَبِ الشيخِ المَعَرِّىِّ[3] وَمَن قَبْلَه حيثُ يقول :

وَدَفْنٌ، وَالحَوادِثُ فَاجِعاتٌ • لِإِحْدَاهُنَّ إحدَى المَكْرُمَاتِ[4]

ولا من جانبِ الفَرَزْدَقِ وَيُرْوَى عَنْه :

وَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ إذَا المَوْتُ نَالَهُ • عَلَى المَرْءِ مِن أَصْحَابِهِ مَن تَقَنَّعَا

ولا أَلْتَفِتُ لِنَاحِيَةِ البُحْتُرِىِّ وَيُنْشَدُ له :

وَلَعَمْرِى مَا العَجْزُ عِنْدِى إلَّا • أن تَبِيتَ الرِّجالُ تَبْكِى النِّسَاءُ[5]

فَسِيَّانِ فى حكمِ الطبيعةِ مُقَنَّعٌ[6] بِلَامَةِ[7] الحديدِ فى الهَيْجَاءِ[8]، وَمُقَنَّعَةٌ[9] بلامةِ الحريرِ من النِّساءِ . وإنما الفضلُ بينَهما لمن جاء بالعَاقِبَةِ الحُسْنَى، ولمن قَلَّ ضَرَرُه وأَتَى بالنَّفعِ الأَسْنَى[10]، وشَتَّانَ فى حُكمِ الإنسانيةِ بين قائدٍ للجَيْشِ مُعْلَمٍ[11]، وعَذْراءَ تطرُزُ

---

(١) الختن : زوج الابنة . (٢) كان العرب يكرهون البنات خشية العار، وربما دفنوا البنت حية . وقد أبطل الاسلام ذلك . (٣) هو أبو العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف .
(٤) هذا البيت من قصيدة له كلها تهجين للمرأة وازراء بها . (٥) من قصيدة له يعزى فيها من بنت توفيت . (٦) تقنع الشيء : لبسه . (٧) اللامة : الدرع، وهو ما يتقى به المحارب سلاح عدوه . (٨) الهيجاء : الحرب . (٩) أى لابسة ثوب حرير .
(١٠) الأسنى : الأرفع . (١١) معلق عليه صوف ملون فى الحرب .

فى ثوبها وتُنَمْنِم (١) . ذاكَ يُشيرُ بنانُه لتَيْتِيم الأَطفالِ ولتخريبِ البِلاد ، وتلك يُشير بنانُها لحبّاتِ القلوب بعقدِ الوِدَاد . وفرقٌ عظيم بينَ يدٍ مُخَضَّبةٍ بالدِّماء ، وأخرى مخضّبةٍ بالحِنّاء ، وبينَ من يَحتَضِن الأطفالَ ويُرَبِّبُها ، وبينَ من يُشتِّتُها ويعذِّبُها ، وبين كَفٍّ لا حِلْيةَ لها إلا السيوفُ البَوَاتِر ، وأخرى إنما حِليتُها الخواتِمُ والأساوِر ، وكم جَلَبَتْ تلكَ من فَظَائِعَ مشهورَة ، وكم لهذه من يدٍ بَيضاءَ مشكورَة :

وليسَ الخَمْسُ (٢) ضَارِبةً بسيفٍ • نظيرَ الخَمْسِ ضاربةً بِدُفِّ
أَبَاغِى حَظِّهِ بِقَنَا (٣) وخَيْلٍ • كَبَاغِيهِ بمنوالٍ وَحَفِّ (٤)

ومولاى — أعزَّ اللهُ الفَضْلَ بِوُجُودِه — يَعلَمُ حِكَايةَ إحْدَى العَذَارَى مع عبدِ اللهِ بنِ طاهِرٍ اذْ رَدَّتْ بوَقْفَةٍ منها أمامَ الجيش غَرْبَ (٥) الجيشِ عن قَصْدِه ، وأدخلتْ سَيْفَ القاهِرِ الجبّارِ فى غِمْدِه ، ونَجَّت قَوْمَها من الخَرَاب ، وأنقذَتْهم من أليمِ العَذَاب ، حتى قال عبدُ الله قصيدةً فى ذلك ، منها :

نَحنُ قَومٌ تُذِيبُنا الأَعيُنُ النُّجْـ • ـلُ (٦) على أنَّنا نُذِيبُ الحَدِيدَا
طَوْعَ أيدى الغَرامِ تَقْتَادُنا الغِيـ • ـدُ (٧) ونَقْتَاد بالطِّعانِ الأُسُودا

والأخرى التى لها ما يُماثِلُ ذلك مع أحدِ مُلوكِ الفُرْس ، وهو يُحارِبُ قَومَها فى بلادِ يَهُودا أثناءَ الزمنِ الأوّل ، إلى غيرِ ذلك من هذِهِ الوقائع .

---

(١) نمم الشىء : زخرفه وزينه . (٢) يريد الأصابع الخمس . (٣) القنا : الرماح .
(٤) الحف : المنسج . (٥) غرب الشىء : حدّه ، والمراد : ردته عن وجهه .
(٦) النجل : جمع نجلاء ، وهى العين الواسعة الحسنة . (٧) الغيد : جمع غيداء ، وهى اللينة الأعطاف .

هـذا ما قَوَّى وَقْعَ المصيبةِ فينا ، وأمَدَّ(١) جُيوشَ الهُمُومِ عَلَيْنـا . أمّا مولاىَ الوزيرُ فما يُبْعِدُ الأسَفَ مِنْـه ، ويُزيل الكَدَرَ عَنْه ، عِلْمـه بضَوْءِ حِكْمَتِه ، ونُورِ فَلسـفتِه ، أنه ما فَقَـدَ تلك الفَقيدَة ، وما صارَتْ عَنْـهُ بَعيدَة ، فَهُوَ يستَنشِـقُها فِي رَوائِحِ الأزْهـار ، وَيَراهَا فِى أغْصانِ الأشْجار ، ويَسْمَع صوتَهـا فى صَوْتِ الأطيار ، وتَمُـرُّ عليه فى ريحِ الصَّبا(٢) من لَيـالِي الرَّبيع ، ويُشاهِدُها فى كلِّ شَـكْلٍ لَطيفٍ أوْ بَديع .

أَلْهمَنا اللهُ عليهـا جَزيلَ الصَّبْر ، وألْبَسَ مولاىَ الوزيرَ ثوبَ الأجْر ، إنْ شاءَ الله .

وقال فى وصف الصباح (من كتابه : حديث عيسى بن هشام) :

جَلَسْنا نَتَجاذبُ أطرافَ الحديث ، من قديم فى الزمانِ وحَديث إلى أن صارتِ(٣) الليلةُ فى أخْرَيات الشَّباب ، واستهانَتْ بالإزارِ والنِّقاب ، ثُم دَبَّ المَشيبُ فى فَوْدِها ، وبانَ أثرُ الوَضَح(٤) فى جِلْدِها ، فعِيثَتْ بالعُقودِ والقَلائِد ، من الجَواهِرِ والفَرائِد ، ونَزَعَتْ من صَدرِها كلَّ منثورٍ ومَنظوم ، من دُرَرِ الكَواكِبِ ولآلئِ النجوم ، وألْقَتْ بالفَرْقَدَيْنِ(٥) من أذُنِها ، وخَلَعَتْ خواتيمَ الثُّرَيَّا(٦) من يَدَيْها ، ثم إنَّها مَزَّقَتْ جِلْبابَها ، وهَتَكَتْ حِجابَها ، وبَرَزَتْ للناظرين عَجُوزًا شَمْطاء(٧) ، تَرتَعِد مُتَوَكِّئَة على

(١) جاء إليها بالمدد .
(٢) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق .
(٣) الفود : الشعر الذى فى جانب الرأس مما يلى الأذنين إلى الأمام .
(٤) وضح الجلد : ما يصيبه من البرص ونحوه . ويكنى الكاتب به عن ضوء الصبح .
(٥) الفرقدان : نجمان قريبان من القطب الشمالى ، يهتدى بهما فى الليل ، وقد شبههما بالقرط فى أذنى المرأة .
(٦) مجموع كواكب .
(٧) مشى البياض فى شعرها .

عَصَا الجَوْزَاء (١)، وتُرَدِّد آخِرَ أنفاسِ البقاء، فَسَتَرَها الفَجْرُ بمُلاءَته الزَّرْقاء، ودَرَجَها (٢) الصُّبْحُ فى أرديته البَيْضاء، ثم قَبَرها فى جَوْفِ الفَضاء، وقامت عليها بَنَاتُ هَدِيل (٣) نائحةً بالتَّسْجِيع والتَّرْتيل، ثم انقلب المأتمُ فى الحال عُرْسَ اجْتلاء، وتبدَّل النحيبُ بالغِناء، لإشْراقِ عَرُوسِ النَّهار، وإسْفارِ مَلِيكة البدورِ والأقْمار.

وقال فى وصف الأهْرام:

وقَفْنا هُناكَ موقفَ الإجْلالِ والإعْظام، قُبالَةَ (٤) ذلك العَلَمِ الذى يُطاوِل الرَّوابِىَ والأعْلام، والهَضبةِ التى تعلُو الهِضابَ والآكام (٥)، والبَنِيَّة (٦) التى تشرف على رَضْوَى وشَمام (٧)، وتُبْلِى ببقائها جِدَّة اللَّيالِى والأيَّام، وتَطْوِى تحتَ ظِلالها أقْوامًا بعدَ أقْوام، وتُفْنِى بدوامِها أعمارَ السِّنين والأيَّام، خَلِقَتْ ثيابُ الدهرِ وهى فى ثَوْبِها القَشِيب، وشابَتِ القرونُ وأخْطَأَ قَرْنَها وَخْطُ المَشِيب، ما بَرِحَتْ ثابتةً تُناطِحُ مَواقِعَ النُّجوم، وتَسْخَرُ بثَواقِبِ الشُّهب والرُّجوم، وتُحَدِّث حديثَ المشاهَدةِ والعِيان، ما تعاقَبَ الفَتَيان (٨)، وتَناوَبَ المَلَوان (٨)، عن قُدْرَةِ هذا الإنْسان، فى بدائع الصُّنْع والإتْقان، وتُنْبِئُ عن قُوَّةِ هذا الضَّعيفِ الضَّئيل، فى إقامَةِ مثلِ هذا الأثرِ الجليل، وكيفَ لهذا الفانِى البائِد، أن يَصْدُرَ عنه مثلُ هذا الباقِى الخالِد — وجلَّ صُنْعُ القَدِيرِ الخالِق، فى تَصْوِيرِ هذا الحيوانِ الناطق، حيث جَعَلَهُ مَصْدَرًا للأعمالِ المتناقِضة، والأفعالِ المُتَغايِرةِ المتعارِضة، فبينا تراه يصعَد إلَى أجْرامِ السماء وعَوالِيها،

---

(١) الجوزاء: برج فى السماء. (٢) درجها: طواها. (٣) بنات هديل: الحمام.
(٤) قبالة: أمام وتجاه. والعلم: الجبل. (٥) الآكام: جمع أكمة، وهى التل.
(٦) البنية: البناء. (٧) رضوى وشمام: جبلان. (٨) الفتيان والملوان: الليل والنهار.

ويبحث بفكره فى رسومها ومعالمها، ويسير بعلمه فى أنحائها ومناكبها، ويهتدى لحساب أقمارها وكواكبها، إذ تراه يعثر عثرة برجله، فيكون فيها منتهى أجله، أو يكبو فى طريقه، فيغص بريقه، ذاك الذى كبر وصغر، وعظم وحقر، وعز وذل، وكثر وقل، وصعد وهبط، وعلا وسقط، وصلح وفسد، وعرف وجحد، وسعد وشقى، وفنى وبقى، وسبحان القاهر فوق عباده!

٢١ - مصطفى صادق الرافعى[1]

قال يصف البلاغة النبوية:

هذه هى البلاغة الإنسانية التى سجدت الأفكار لآياتها، وحسرت[2] العقول دون غاياتها، لم تصنع، وهى من الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يتكلف لها، وهى على السهولة بعيدة ممنوعة[3].

ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهى إن لم تكن من الوحى، ولكنها جاءت من سبيله، وإن لم يكن لها منه دليل، فقد كانت هى من دليله.

محكمة الفصول، حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفضول، حتى ليس فيها كلمة مفضولة.

---

(١) عنى فى مطلع حياته بالشعر، فأخرج ديوانا فى ثلاثة أجزاء، ثم تجرد للنثر، فأجاد فيه، ونزل النظم إلا فى النادر، وهو قوى التوليد للمعانى، بالغ التجويد للألفاظ، واسع الاطلاع على الأدب العربى، وقد كان شديد الغيرة على العروبة، وكان يكثر من المجازات والتشبيهات، ويتخير من الألفاظ الجزل الفخم. توفى سنة ١٩٣٧ م. (٢) حسرت العقول: ارتدت وتخاذلت

(٣) أى تمتنع على من يحاول محاكاتها.

وكأنما هي في اختصارها وإفادتها، نبض قلب يتكلم، وإنما هي في سموها وإجادتها، مظهر من خواطره صلى الله عليه وسلم ...

إن خرجت في الموعظة، قلت: أنين من فؤاد مقروح، وإن راعت بالحكمة، قلت: صورة بشرية من الروح. في مترع(1) يلين، فينفر(2) بالدموع، ويشتد، فينزو(3) بالدماء.

وإذا أراك القرآن أنه خطاب السماء للأرض، أراك هذا أنه كلام الأرض بعد السماء.

---

(1) مترع — هنا —: أسلوب.

(2) ينفرها: يدفعها (3) ينزو: يثب.

(ب) الشعر

١ - الخشاب[1]

كتب على ظاهر ديوان صديق له من الشعراء يداعبه :

قُلْ لِلرَّئِيسِ أَبِي الحُسَيْنِ مُحَمَّد * خِدْنِ المَعَالِي وَالسَّرِيِّ الأَمْجَدِ[2]
وَالحَاذِقِ الفَطِنِ اللَّبِيبِ أَخِي الذَّكَا * ءِ اللَّوْذَعِيِّ الأَلْمَعِيِّ الأَوْحَدِ[3]
أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ فِي القَرِيضِ مَذَاهِبًا * ذَهَبَتْ بِشِعْرِكَ فِي الحَضِيضِ الأَوْهَدِ[4]

* * *

كَدَّرْتَ مِنْهُ بِمَا صَنَعْتَ بُحُورَهُ * فَغَدَتْ مَشَارِعَ لَيْسَ يَنْحُوهَا صَدِي[5]
فَإِذَا نَظَمْتَ فَكُنْ لِنَظْمِكَ نَاقِدًا * نَقْدَ البَصِيرِ بِذِهْنِكَ المُتَوَقِّدِ
أَوْ لَا فَدَعْ تَكْلِيفَ نَفْسِكَ وَاسْتَرِحْ * مِنْ قَوْلِهِمْ : مَا شِعْرُهُ بِالجَيِّدِ
وَلَئِنْ عَنَفْتُ عَلَيْكَ فِيمَا قُلْتُهُ * فَلَقَدْ بَذَلْتُ النُّصْحَ لِلْمُسْتَرْشِدِ[6]

---

(١) هو الأديب الشاعر الكاتب السيد إسماعيل الخشاب ، ظهر قبيل احتلال الفرنسيين مصر ، وامتدت به الحياة إلى أوّل عصر محمد على باشا الكبير . وقد توفى سنة ١٢٣٠ هـ . وله ديوان شعر مطبوع بالآستانة .

(٢) الخدن بكسر الخاء وسكون الدال : الحبيب والصاحب . والسرى : السيد الشريف السخى .

(٣) اللوذعى : الذكى الذهن . والألمعى : الذكى المتوقد الذكاء .

(٤) القريض : الشعر . والحضيض : القرار من الأرض عند أسفل الجبل ، والأوهد : العظيم الانخفاض . والمراد أن شعره نزل إلى أسفل الدرك . وقد صرف (مذاهب) لضرورة الشعر .

(٥) كدر الماء : أذهب صفاءه بالطين ونحوه . والمشارع جمع مشرع بفتح الميم وهو مورد الماء . ونحوها : يقصدها . والصدى بفتح الصاد وكسر الدال : الشديد العطش .

(٦) عنفت : قسوت . والمسترشد : طالب الرشد والهداية .

وقال متغـــزلا :

يَا شَقِيقَ الْبَدْرِ نُورًا وَسَنًى • وَأَخَا الْغُصْنِ إِذَا مَا انْعَطَفَا (١)

بِأَبِي مِنْكَ جَبِينًا مُشْرِقًا • لَوْ بَدَا لِلنَّيِّرَيْنِ انْكَسَفَا (٢)

بُغْيَتِي مِنْكَ رُضَابٌ وَرِضًا • وَعَلَى الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا الْعَفَا (٣)

٢ - الشيخ حسن العطار (٤)

قال يتغـــزل :

أَعَنِ الْمُحِبِّ ثَنَاكَ عَنْهُ وَجِيبُهُ ؟ • أَمْ قَدْ دَعَاكَ إِلَى الْبِعَادِ رَقِيبُهُ ؟ (٥)

هَجَرَ الْكَرَى لَمَّا هَجَرْتَ وَوَاصَلَتْ • هُ شُجُونُهُ وَازْدَادَ فِيكَ نَحِيبُهُ (٦)

لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا فِي هَوَاكَ ، وَإِنَّمَا • قَدْ كَانَ بِالْهِجْرَانِ مِنْكَ نَصِيبُهُ

أَفْقَرْتَهُ مِنْ حُسْنِ وَصْلِكَ بَعْدَ مَا • جَادَتْ عَلَيْكَ دُمُوعُهُ وَنَسِيبُهُ (٧)

لَوْ لِلْقَا عَطَفَتْكَ مِنْهُ شِكَايَةٌ • رَقَّتْ وَدَمْعٌ طَافِحٌ شُؤْبُوبُهُ (٨)

لَرَأَيْتَ جِسْمًا كَالْخَلَالِ مِنَ الضَّنَا • وَلَهِيبَ قَلْبٍ مُقْلَتَاهُ تُذِيبُهُ (٩)

---

(١) السنى : الرفعة أو الضوء . وانعطف : مال وانثنى . (٢) بأبى : أفدى بأبى . والنيران : الشمس والقمر . (٣) الرضاب (بضم الراء) : الريق المرشوف . والعفاء : الهلاك .

(٤) هو الشيخ الأكبر حسن بن محمد العطار . كان من علماء الأزهر ، وزار أهم الممالك الاسلامية ، وصار بعد محررا للوقائع المصرية أول ظهورها . ثم صار شيخا للأزهر الشريف وكان على عله شاعرا كاتبا بليغا . توفى سنة ١٢٥٠ هـ .

(٥) وجيبه : اضطرابه وخفقان قلبه .

(٦) الشجون جمع شجن بفتحتين : الهموم والأحزان . والنحيب : البكاء الشديد .

(٧) النسيب : رقيق الشعر فى الغزل . (٨) عطفتك : أمالتك إليه وحببتك . الشؤبوب بضم الشين : الدفعة من المطر وجمعه شآبيب . (٩) الخلال : يريد بها الأعواد الدقيقة التى يخلل بها . والضنا : الضعف والهزال .

صِـلْهُ لِتَسْتَبْقِيَ بِهِ الرَّمَقَ الَّذِي * لَـوْلَا الأَمَانِي مَا بَقِيَ مَوْهُـوبُهُ (١)

أَلْزَمْتُ نَفْسِي الصَّبْرَ فِيكَ تَأَسِّيًا * وَالصَّبْرُ أَصْعَبُ مَا يُقَادُ نَجِيبُـهُ (٢)

وَبُلِيتُ مِنـكَ بِكُلِّ لَاحٍ لَـوْ تَبَـ * ـدَّى نَحْوَ طَوْدٍ أَثْقَلَتْهُ كُرُوبُهُ (٣)

* * *

أَفَـلَا رَثَيْتَ لِعَاشِـقٍ لَعِبَتْ بِهِ * أَيْدِي المَنُونِ وَنَازَعَتْـهُ خُطُوبُهُ؟ (٤)

أَنْتَ النَّعِيمُ لَهُ وَمِنْ عَجَبٍ تُعَـ * ـذِّبُهُ، وَتُمْرِضُـهُ وَأَنْتَ طَبِيبُـهُ!

وقال متغـزِّلا :

أَنَا رَاضٍ مِنْـكَ يَا كُلَّ المُنَى * بِالَّذِي تَهْوَى عَلَى حُكْمِ الغَرَامْ

لَسْتُ أَبْغِي مِنْ زَمَانِي حَاجَـةً * غَيْرَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا وَالسَّلَامْ

وقال يصف بِرْكَةَ الأزبكية :

بِالأَزْبَكِيَّةِ طَابَتْ لِي مَسَـرَّاتُ * وَلَذَّ لِي فِي بَدِيعِ الأُنْسِ أَوْقَاتُ

حَيْثُ المِيَـاهُ بِهَا وَالفُلْكُ سَابِحَـةٌ * كَأَنَّهَا الزُّهْرُ تَحْوِيهَـا السَّمَوَاتُ (٥)

وَقَـدْ أُدِيرَ بِهَـا دُورٌ مُشَـيَّدَةٌ * كَأَنَّهَـا لِبُـدُورِ الحُسْنِ هَالَاتُ (٦)

---

(١) الرمق : بفتحتين بقية الحياة . يقول : إنك وهبته بقية من الحياة فلا تقض عليها بالهجر ، بل استبقها بالوصل .

(٢) التأسى : التصبر والتعزى . والنجيب : البعير الكريم .

(٣) اللاحى : الشاتم العائب . والطود بفتح الطاء وسكون الواو : الجبل العظيم . كروبه : مصائبه الشديدة .

(٤) رثى له : رق له وعطف عليه . المنون : الموت .

(٥) الفلك — بضم الفاء وسكون اللام — : السفينة . ولفظ جمعه كلفظ مفرده . والمراد بـ «الزهر» بضم الزاى : النجوم المشرقة .

(٦) الهالات : جمع هالة ، وهى الدائرة التى ترى حول القمر .

والماءُ حينَ سَرَى رَطْبُ النَّسيمِ بِهِ • وَحَلَّ فيهِ مِنَ الأَدْوَاحِ زَهْرَاتُ (١)
كَسَابِغَاتِ دُرُوعٍ فَوقَهَا نُقَطٌ • مِنْ فِضَّةٍ، وَاحْمِرارُ الوَجْهِ طَعْنَاتُ (٢)

٣ - السيد على الدرويش (٣)

قال يرثى صديقه المرحوم الشيخ على الغلبان :

أَفِرُّ مِنَ المَحْتُومِ، وَهْوَ مُطَارِدِي • وَهَلْ أَمَلِي إِلَّا حِبَالُ المَصَايِدِ (٤)
وَأَرْصُدُ أُفْقَ الوَهْمِ وَالأَمَلِ السُّهَى • وَرَائِدُ مَوْتِي كَامِنٌ فِي وَرَائِدِي (٥)
وَثِقْتُ بِآمَالِي، وَلَمْ تَفِ مَرَّةً • وَلَا ثِقَةٌ لِي بِالنَّذِيرِ المُعَاهِدِ
فَأَسْتَبْعِدُ المَعْلُومَ، وَهْوَ مُقَارِبِي • وَأَسْتَقْرِبُ المَجْهُولَ، وَهْوَ مُبَاعِدِي
وَمِنْ عَتَهِي خِلْتُ التَّجَاهُرَ خَافِيًا • بِغَشِّ زُيُوفٍ عَدَّهَا كُلُّ نَاقِدِ (٦)
أُحَاذِرُ مَرْأَى النَّاسِ لَا اللهَ فِي الهَوَى • وَعِنْدَهُمُ تَفْصِيلُ نَقْصِي وَزَائِدِي

---

(١) الأدواح : جمع دوحة بفتح الدال، وهى الشجرة العظيمة .

(٢) الدروع : جمع درع، وهى القميص من زرد الحديد يلبسه المحارب يتقى به سلاح العدو . والدروع السابغات : الطويلة الضافية . والشاعر يشبه البركة وما يعلوها من الزبد والفقاقيع بالدرع الضافية ترصع بالفضة، ويشبه الورد فيها بالدم من آثار الطعنات .

(٣) هو السيد على افندى الدرويش بن حسن المصرى، كان أديبا شاعرا ولوعا فى شعره ونثره بالمحسنات البديعية للغاية القصوى، وهو أبرع من علم فى التواريخ الشعرية، وله ديوان شعر كبير . وتوفى سنة ١٢٧٠ هـ .

(٤) المحتوم : الحادث الذى لا مفر من وقوعه .

(٥) ورائد موتى : وطالب موتى . ورائد : جمع وريد وهو عرق فى العنق .

(٦) عتهى : العته بفتحتين نقص العقل بلا جنون . زيوف : جمع زيف بفتح فسكون وهو الدرهم المغشوش . يقول : ومن نقص عقلى وقصور تفكيرى ظننت أن الجهر بالأمور الباطلة المغشوشة التى راج غشها على الناس، أمر خاف على الله .

لِأَمَّارَتِي بالسوءِ مُسْتَعْبَدٌ ولي • مداهنةً في الله، صورةُ عابِدِ (١)
أبالِغُ في الإسرافِ حتى كأنني • لَمَيْتٌ غَدًا، لكنَّ لي حِرصَ خالد

وقال مادحا المرحوم الحاج محمد على باشا الكبير ومؤرخا مجيء الجراد عام موت البقر سنة ١٢٥٩ هـ :

يا صَاحِ : مَا هٰذَا الخَبَرْ • قَالَ : الجَرَادُ هُنَا ظَهَرْ !
قلتُ : الجرادُ ! فقال : إى • تَدْرِى الجرادَ إذا ابْتَدَرْ (٢) ؟
قلتُ : استعِذ بالله ! قا • ل : وهل من المقْضى مَفَرّ ؟
ما كان قطُّ بخاطرٍ • في خاطرى هذا الخبَرْ

❖

جاء الجرادُ كأنه • يَتلو على البَقَرِ السُّوَرْ
أو أنَّ أرواحَ البَها • ئِم ألبستْ تلك الصُّوَرْ
مَوْتُ الكبيرِ أَضَرُّ أم • مَحْيا الصغيرِ هو الأَضَرْ ؟
أَوَ ما سمعتَ مقالَهم : • مِثْلُ الجراد إذا انتشر ؟
فترى الجرادَ عَلَى الجَرِيـ • ـدِ مُكَلِّلًا مِثْلَ الثَّمَرِ
رُقْشٌ تراها أنها • نارٌ تلظَّتْ بالشَّجر (٣)

---

(١) أمارتى بالسوء : نفسى . المداهنة فى الله : أن تظهر له خلاف ما تبطن . يقول : إنى مستعبد لنفسى خاضع لميولها ولكنى أظهر خلاف ما أبطن نفاقا ومداهنة ، فأظهر بصورة العابد الطائع على حين أجارى نفسى وأخضع لها فى الخفاء .

(٢) رقش : جمع رقشاء . أى منقطة بسواد وبياض .

(٣) ابتدر : عاجل وأتى مسرعا .

لَوّاحةٌ للأرض ، لا * تُبقى النباتَ ولا تَذَر (١)
وصغيرةٌ فى حَجْمها * لكنها إحدَى الكُبَر (٢)
الأَرْضُ كانتْ جَنّةً * فالآنَ تُرْمَى بالشَّرَر
نَزَل الجرادُ بها كما * نَزَل القضاءُ أو القَدَر
مُتَنَشِّرٌ رجلاهُ مِذ * شارٌ فكم شيءٍ نَشَر (٣)
لما استَمَرّ عَلَى الفَسا * دِ بِقَبضِهِ أَمرٌ صدَر
دَقُّوا الطُّبولَ لرَقْصِه * فى الزَّرع لَمَّا أن زَمَرْ
وغَزَوْا عَلَى ذا المعتدِى * فمضَى هَزيمًا وانكَسر
وكذا الخديوى عادة * لم يَغْزُ إلا وانتَصَر
نَصَبُوا موازينًا لِأَجْ * سامِ الجرادِ لتُعْتَبَرْ
وأَتَتْ بأجمعِه زَبا * نيَةُ العذاب إلى سَقَر (٤)
وتَتَبَّعُوا آثارَهُ * حتى خَفِى ذاك الأَثَرْ
من جَنّةٍ خرجَ الجَرا * دُ إلى لَظَى بِئس المَقَرّ

* * *

هل للخديوى مُشْبِهٌ * فى هِمّةٍ أو فى سِيَرْ
هل قَبْلَه رَدَّ الجرا * دَ سِواهُ فيما قد غَبَرْ

(١) لواحة للأرض : مغيرة لها ، تنزل عليها خضراء فتتركها جرداء .

(٢) الكبر : بضم فتفتح — المصائب العظيمة ، جمع كبرى . (٣) منتشر : منتشر فى الفضاء .

(٤) الزبانية : جمع زبنية أو زبنى بكسر الزاى وسكون الباء ، وهو الشرطى ، وسمى بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها .

مُتَبَدِّدٌ يَرْعَى النُّبَا • تَ، وليس يُعْيِيه سَفَرْ[1]
مُتَوَائِبٌ، لا يستقرّ • لـه قَـرارٌ فى تَمَـرّ
بالليل يُكْفَرُ بالنُّبَا • تِ فإن بَدا فَخْرٌ فَخَرْ[2]
مُذْ أسرعوا فى قبضه • ومضى الأهالى بالأُجَرْ
أرَّخْتُه : وَصَل الجَرا • دُ لِمِصْرَ فى عامِ البَقَرْ

١٢٦ ٢٣٩ ٣٦٠ ٩٠ ١١١ ٣٣٣

سنة ١٢٥٩

٤ ـ الشيخ شهاب[3]

قال من قصيدته التى أنشأها لتكتب حول جامع القلعة :

عَرُوسُ كُنُوزٍ قَدْ تَحَلَّتْ بِعَسْجَدٍ • مُكَلَّلَةٌ تِيجَانُهَا بِالزَّبَرْجَدِ
أَمِ الْجَنَّةُ الْمَبْنِيُّ عَالِي قُصُورِهَا • بِأَبْهَجِ يَاقُوتٍ وَأَبْهَى زُمُرُّدِ
أَمِ الْمَكْرُمَاتُ الآصِفِيَّةُ أَبْدَعَتْ • هَيُولَى أَعَاجِيبٍ بِصُورَةِ مَسْجِدِ[4]
هُوَ الْفَلَكُ الأَعْلَى تَنَزَّلَ وَازْدَهَى • يُزْهِرِ الدَّرَارِى جَامِعًا كُلَّ فَرْقَدِ

(١) متبدد : منتشر فى كل ناحية . يعييه : يعجزه . (٢) يكفر : يستتر . بخر بفتح الوسط : ظهر وانتشر . (٣) هو شهاب الدين محمد بن إسماعيل المكى الأصل المصرى المنشأ . كان شاعرا متأدبا موسيقيا ؛ اشتغل بالكتابة فى الوقائع المصرية أول ظهورها مساعدا للشيخ حسن العطار، ثم كان رئيسا لإنشائها بعد وفاته . وله ديوان شعر . ومن أجل مؤلفاته سفينته التى حفظت كثيرا مما كانت تتغنى به العامة فى عصره وقبيله . وتوفى سنة ١٢٧٥ هـ . (٤) الآصفية : نسبة إلى آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام، وكانت رتبة محمد على باشا بالاضافة إلى الرتب بمنزلة وزارة . هيولى أعاجيب : مادة أعاجيب . والهيولى عند القدماء : الطينة التى خلق منها العالم .

أَلَا إِنَّ تَجْدِيدَ ٱلْعَجِيبِ مِنَ ٱلْبِنَا * يُؤَكِّدُ تَأْسِيسَ ٱقْتِدَارِ ٱلْمُجَدِّدِ
فَدَعْ قَصْرَ غُمْدَانٍ وَأَهْرَامَ هُرْمُسٍ * وَإِيوَانَ كِسْرَى إِنْ أَرَدْتَ لِتَهْتَدِي
وَدَعْ إِرَمًا ذَاتَ ٱلْعِمَادِ وَنَحْوَهَا * وَعَرْشًا لِبِلْقِيسٍ كَصَرْحٍ مُمَرَّدِ
وَدَعْ أَمَوِيَّ الشَّامِ وَٱنْزِلْ بِمِصْرِنَا (١) * وَبَادِرْ إِلَى هٰذَا بِإِيمَاءِ مُرْشِدِ
فَلَوْ عُدِّدَتْ فِي ٱلْكَوْنِ بَدْءُ بَدَائِعٍ * لَكَانَ بِهِ خَتْمٌ لِذَاكَ ٱلتَّعَدُّدِ
كَأَنَّ ٱللَّيَالِيَ ٱلْوَالِدَاتِ عَجَائِبًا (٢) * أَصَبْنَ بِعُقْمٍ بَعْدَ هٰذَا ٱلتَّوَلُّدِ

٥ ـ الشيخ ناصيف اليازجي (٣)

قال في الغزل :

حَوَاكَ وَقَدْ حَلَلْتَ بِكُلِّ قَلْبٍ * فُؤَادٌ لَمْ يَحُلْ بِهِ سِوَاكَا
نَزَلْتَ بِهِ عَلَى طَلَلٍ (٤) تَفَانَى * وَلَسْتَ بِمَنْ عَلَى طَلَلٍ تَبَاكَى
أَطَعْتَ ٱلْعَاذِلِينَ بِقَتْلِ صَبٍّ * يُرِيدُ ٱلْقَتْلَ لَكِنْ عَنْ رِضَاكَا
تَعِزُّ كَرَامَةً ، وَيَهُونُ ذُلًّا * فَتَأْنَفُ أَنْ يَقُولَ : دَمِي فِدَاكَا

(١) يريد بأموي الشام : جامع دمشق العظيم . (٢) يقول : كأن الليالي التي تلد العجائب أصيبت بعد بناء هذا الجامع بعقم ، فكان آخر مولود من عجائبها لروعته وإعجاز هندسته . وفي البيت إشارة لقول الشاعر القديم :

والليالي من الزمان حبالى * مثقلات يلدن كل عجيب

(٣) هو ناصيف بن عبد الله اليازجي ، شاعر من كبار الأدباء والمنشئين ، له بحوث مختلفة في فقه اللغة ، وله كتاب مجمع البحرين ، وهو مجموعة مقامات مثل مقامات الحريري ، وكتب أخرى في النحو ، وتوفي سنة ١٢٨٧ هـ . (٤) الطلل : الشاخص من آثار منزل قديم يقول : نزلت بقلبي على أثر بال من شدة الوجد والوله ، تفاني فيك غراما ، ولكنك لم تبك عليه ولم ترق له ، شأن الذين يشهدون الآثار البالية فيأسون عليها .

وقال :

كُفَّ عَنِّى لَا أَبَا لَكْ * قَـدْ تَبَيَّنَّا مِحَالَكْ (١)
قَـدْ عَرَفْنَاكَ وَإِلَّا * فَمَتَى نَعْرِفُ حَالَكْ
قَـدْ مَضَى لِى بِكَ عَصْرٌ * حَامِلًا فِيـهِ مَلَالَكْ
حَسْبُ قَلْبِى مِنْكَ جَوْرٌ * كَادَ مِنْـهُ يَتَهَالَكْ
وَكَفَانَا مَا احْتَمَلْنَا * مِنْكَ فَاسْتَدْعِ احْتِمَالَكْ
سَتَرَى النَّادِمَ مِنَّا * وَيُسِيءُ اللهُ فَالَكْ

ومن قصيدة يرثى بها صديقا له :

قَـدْ كُنْتُ أَنْتَظِـرُ الْبُشْرَى بِرُؤْيَتِـهِ * فَجَاءَنِى غَيْرُ مَا قَـدْ كُنْتُ أَنْتَظِـرُ
إِنْ كَانَ قَدْ فَاتَ شَهْدُ الْوَصْلِ مِنْهُ فَقَدْ * رَضِيتُ بِالصَّبْرِ لَكِنْ كَيْفَ أَصْطَبِرْ
أَحَبُّ شَيْءٍ لِعَيْنِى حِينَ أَذْكُرُهُ * دَمْعٌ وَأَطْيَبُ شَيْءٍ عِنْدَهَا السَّهَرُ
هٰذَا الصَّدِيقُ الَّذِى كَانَتْ مَوَدَّتُهُ * كَالْكَوْثَرِ الْعَذْبِ لَا يَغْتَالُهَا كَدَرُ (٢)
لَا غَرْوَ إِنْ أَحْزَنَ الزَّوْرَاءَ مَصْرَعُهُ * خُزْنَهُ فَوْقَ لُبْنَانٍ لَهُ قَـدَرُ (٣)

وقال يرثى صديقا آخر له :

الْمَوْتُ يَخْتَارُ النَّفِيسَ لِنَفْسِـهِ * مِنَّا كَمَا نَخْتَارُ نَحْنُ فَمَا اعْتَدَى
قَـدْ نَالَ مِنَّا دُرَّةً مَكْنُونَةً * كَانَتْ لِبَهْجَتِهَا الدَّرَارِى حُسَّدَا
كَنْزٌ ذَخَرْنَاهُ لَنَا فَاغْتَالَهُ * لِصُّ الْمَنِيَّةِ خَاطِفًا مُتَمَرِّدَا (٤)

(١) المحال بكسر الميم : الخديعة والكيد .
(٢) يغتالها : يخالطها فيقضى عليها .
(٣) الزوراء : مدينة حلب .
(٤) فاغتاله : فقتله خفية .

وقال يرثى طبيباً من أصدقائه :

قَدْ كانَ فِي طِبِّهِ لِلنَّاسِ مَنْفَعَةٌ * فَإِذْ أَتَى المَوْتُ ذَاكَ الطِّبُّ مَا نَفَعَا

وَكانَ يُبْرِي مِنَ النَّاسِ الجِرَاحَ فَهَلْ * يُبْرِي جِرَاحَ فُؤَادٍ بَعْدَهُ انْصَدَعَا (١)

صَارَتْ إِلَى اللهِ تِلْكَ النَّفْسُ تَارِكَةً * جِسْماً يُرَى فِي تُرَابِ الأَرْضِ مُضْطَجِعَا

كُلٌّ إِلَى أَصْلِهِ قَدْ عَادَ مُنْقَلِباً (٢) * فَانْحَطَّ هَذَا وَهَذَا طَارَ مُرْتَفِعَا

٦ ـ السيد محمد صالح مجدى بك (٣)

كتب إلى المرحوم سعيد باشا والى مصر يشكو إليه ظلم رئيسه :

أَنُظْلَمُ فِي زَمَانِكَ يَا سَعِيدُ * وَأَنْتَ العَادِلُ المَلِكُ الرَّشِيدُ

وَيَسْطُو الذِّئْبُ مِنْ شَرِهٍ عَلَيْنَا * وَأَنْتَ اللَّيْثُ وَالبَطَلُ المَجِيدُ

وَيَرْقَى غَيْرُنَا رُتَبَ المَعَالِي * وَيَخْفِضُنَا بِلا سَبَبٍ عَنِيدُ

وَيَظْفَرُ بِالأَمَانِي كُلُّ رَاجٍ * وَنُحْرَمُ مِنْ جَنَابِكَ مَا نُرِيدُ

فَرُدَّ نَوَائِبَ المَلَوَيْنِ عَنَّا (٤) * فَرَأْيُكَ دَائِماً رَأْيٌ سَدِيدُ

وَجُودُ يَدَيْكَ فَاضَ عَلَى الرَّعَايَا (٥) * فَسُرَّ قَرِيبُهُمْ، وَكَذَا البَعِيدُ

دُمْ فِي نِعْمَةٍ وَثَبَاتِ مُلْكٍ * فَفِيكَ الشُّكْرُ، مَا دُمْنَا، يَزِيدُ

---

(١) انصدع : انشق . وهذا كناية عن شدة وقع المصيبة عليه . (٢) يقول : قد رجع جسمه وروحه إلى أصلهما بعد موته ، فالروح ارتفع إلى الله فى السماء والجسم عاد إلى تراب الأرض الذى خلق منه فى الأصل . (٣) هو محمد بن صالح بن أحمد بن الشريف مجد الدين ، عالم مترجم ، وأصل آبائه من مكة ، وقد ولد بالقاهرة وتعلم فى مدارسها وأتقن الفرنسية وترجم عنها بعض الكتب ، ندبه إسماعيل باشا لترجمة القوانين الفرنسية ، واشترك فى وضع الخطط التوفيقية ، وتوفى بمصر سنة ١٢٩٨ هـ .

(٤) الملوان : الليل والنهار . (٥) جود يدك : كرمك وعطاؤك .

٧ - السيد على أبو النصر[1]

قال يتحسر على فراق أحبابه :

لَقَدْ ذَهَبَ النَّوَى بِجَمِيلِ صَبْرِى • وَأَوْدَعَ فِى حُشَاشَتِيَ الوُلُوعا[2]

وَأَلْبَسَنِي الأَسَى خِلَعَ التَّمَنِّى • وَأَلْزَمَنِي التَّذَلُّلَ وَالخُضُوعَا[3]

وَنَارُ الشَّوْقِ أَغْرَاهَا غَرَامِي • عَلَى كَبِدِى فَقَوَّمَتِ الضُّلُوعَا[4]

وَلِي قَلْبٌ تُقَلِّبُهُ شُجُونِي • وَتَمْنَعُهُ السَّكِينَةَ وَالهُجُوعَا[5]

يَبِيتُ مَعَ الأَحِبَّةِ حَيْثُ كَانُوا • وَيُصْبِحُ رَاجِيًا مِنْهُمْ رُجُوعَا

يَرَى أَضْغَاثَ أَحْلَامِ الأَمَانِي • حَقَائِقَ لَا يَزَالُ بِهَا وَلُوعَا[6]

تَطُوفُ بِهِ الحَوَادِثُ وَهْوَ لَاهٍ • كَأَنَّ الوَهْمَ أَلْبَسَهُ دُرُوعَا

وَرُبَّ مُكَايِدٍ عَانَى خُطُوبًا • وَمُفْرَدُ عَزْمِهِ عَزَّا الجُمُوعَا[7]

وَقَائِلَةٍ : إِلَامَ تَحِنُّ شَوْقًا • إِلَى حَيٍّ أَحَلَّ بِكَ الهُلُوعَا[8]

فَقُلْتُ لَهَا : وُقِيتِ البَأْسَ ؛ إِنِّى • أَوَدُّ بِحَيِّهِمْ أَدْعَى هَلُوعَا[9]

---

(١) هو الشريف العالم الشاعر الزجال ، أصله من منفلوط بأسيوط ، درس بالأزهر وبرع فى الأدب ، واتصل بالبيت الخديوى من عهد محمد على باشا الكبير إلى عهد توفيق باشا ويعد شعره متوسطا ، وله ولع بالتاريخ الشعرى ، وقد توفى سنة ١٢٩٨ هـ .

(٢) النوى : البعد والفرقة ، والحشاشة بضم الحاء : بقية الروح . والولوع بفتح الواو : شدة العشق .

(٣) الأسى : الحزن والهم . خلع : جمع خلعة بكسر فسكون ، وهى الثوب الذى يعطى منحة .

(٤) يريد أن نار الشوق لشدتها جعلت أضلاعه مستقيمة بعد أن كانت منحنية .

(٥) الهجوع : النوم فى الليل .

(٦) أضغاث الأحلام : المخلطة الملتبسة . والولوع بفتح الواو : الشديد الولع ، وهو الحب .

(٧) عز الجموع : غلبها .

(٨) الحى : منازل القوم . والهلوع بضم الهاء : الجزع .

(٩) البأس : الشدة . الهلوع بفتح الهاء الشديد الجزع .

أَبَعْدَ فِرَاقِهِمْ تَرْتَاحُ رُوحِي * وَتَرْجُو سَاعَةً أَنْ لَا تَلُوعَا (١)

فَهُمْ رُوحِي وَرَيْحَانِي وَرَاحِي * فَكَيْفَ أَرَى إِلَى السُّلْوَى نُزُوعَا؟ (٢)

وقال رحمه الله :

نَوْرُ زَاهِي الرَّوْضِ أَمْ نُورُ الصَّبَاحْ * وَابْتِسَامُ الثَّغْرِ أَمْ زَهْرُ الْأَقَاحْ

وَنُجُومٌ تَزْدَهِي فِي أُفْقِهَا * يُومِضُ الْبَرْقِ أَمْ كَاسَاتُ رَاحْ (٣)

لَا وَلَا بَلْ بَدْرُ تَمٍّ يَنْجَلِي * لِلنَّدَامَى فِي اغْتِبَاقٍ وَاصْطِبَاحْ (٤)

يُمْحِيًا يَزْدَرِي شَمْسَ الضُّحَى * فِي مَعَانِي حُسْنِهِ تَعْيَا الفِصَاحْ

وقال رحمه الله متغزلا :

رِسَالَةٌ مِنْ كَلِفٍ عَنِيدِ * حَيَاتُهُ فِي قَبْضَةِ الصُّدُودِ (٥)

بَلَّغَهُ الشَّوْقُ مَدَى الْمَجْهُودِ * مَا فَوْقَ مَا يَلْقَاهُ مِنْ مَزِيدِ (٦)

* وَاهًا عَلَيْهِ كَمْ بِهِ مِنْ وَجْدِ *

جَارَ عَلَيْهِ حَاكِمُ الغَرَامِ * فَدَقَّ أَنْ يُدْرَكَ بِالْأَفْهَامِ (٧)

فَلَوْ أَتَاهُ طَارِقُ الْحِمَامِ * لَمْ يَرَهُ مِنْ شِدَّةِ السَّقَامِ (٨)

* إِلَّا إِذَا صَدَّرَهُ فِي الْبُرْدِ *

---

(١) تلوع : تمسها حرقة الحزن .

(٢) الراح : الخمر . ونزوعا : ميلا .

(٣) الندامى : جمع نديم ، وهم القوم يجتمعون للشراب . الاغتباق : الشرب بالعشى . والاصطباح : الشرب فى الصباح .

(٤) المحيا : الوجه . يزدرى : يحتقر . تعيا : تعجز .

(٥) كلف : مشتاق .

(٦) مدى المجهود : نهاية الجهد ، يقول إن الشوق بلغ به غاية لا يستطيع احتماله بعدها .

(٧) الأفهام : العقول .

(٨) الحمام بكسر الحاء : الموت .

* * *

له اهْـــتِزَازٌ وَارْتِيَـاحٌ وَطَـرَبْ * لوجهِهِ من أُورِثَهُ طولَ الكُرَبْ[1]

فهل سَمِعْتُمْ فِي الأحاديثِ العَجَبْ * بمن مُناه قـربُ مَن منه العَطَبْ

* ومن رأى الغَيَّ بديلَ الرُّشْدِ *

* * *

ما العُـذْرُ فى السُّلُوِّ عَنْ غَزَالِ * منقطعِ الأقْرَانِ وَالأشْكَالِ

تَسْتَخْلِفُ الشمْسُ لَدَى الزَّوالِ * ضِـيَاءَ خَـدَّيْهِ عَلَى اللَّيَالِي[2]

* فَصَارَ نُورُ البَدْرِ غَيْرَ مُجْدِي[3] *

وكتب إلى بعض أصحابه :

حُـرُوفُ وُدِّى وَسَائِلْ * وَالدَّمْـعُ جَارٍ وَسَائِلْ[4]

وَلَـوْعَـتِي وَشُجُـونِي * تَضِـيقُ عَنْهَا الرَّسَائِلْ[5]

لِي فِي هَوَاكُمْ غَرَامٌ * ـ طُولَ المَدَى ـ غَيْرُ زَائِلْ

لَمَّـا هَجَـرْتُمْ وَبِنْتُمْ * صَـبَابَتِي لِلْعَـوَاذِلْ[6]

دَخَلْتُ دَارَ اصْـطِبَارِي * خَرَجْتُ مِنْ غَـيْرِ طَائِلْ[7]

فَقُلْتُ لِلْعَيْنِ : جُودِي * بِالْمُرْسَلَاتِ الْهَـوَامِلْ[8]

---

(١) الكرب بضم ففتح : المصائب التى تكرب النفس . (٢) نور خدّيه يخلف الشمس بعد المغيب فيطلع على الليالى ساطعا فينيرها . (٣) غير مجد : غير نافع . (٤) وسائل (الأولى) جمع وسيلة . أما الثانية فالواو حرف عطف ، و «سائل» اسم فاعل من : سال يسيل .

(٥) اللوعة : حرقة الهوى . والشجون : جمع شجن بفتحتين ، وهو الهم والحزن

(٦) الصبابة : شدة العشق (٧) جعل للاصطبار دارا دخل فيها ثم خرج لم يستفد شيئا .

(٨) المرسلات : أى الدموع المرسلات ، أى الجاريات . والهوامل : الفائضات بالدموع .

وَقَدْ أَمَرْتُ يَرَاعِي (١) • نَخَطَّ مَا أَنَا قَائِلْ
وَحُبُّكُمْ فِي ضَمِيرِي • سِوَاهُ زُورٌ وَبَاطِلْ
وَمَدْحُكُمْ — كُلَّ وَقْتٍ — • فَرَائِضٌ لَا نَوَافِلْ (٢)
وَإِنْ مَأَلْتُمْ فَإِنِّي • بِشُكْرِكُمْ لَا أُمَاطِلْ (٣)
أَوَاخِرُ الشَّوْقِ عِنْدِي • إِلَى لِقَاكُمْ أَوَائِلْ

٨ — صفوت الساعاتي (٤)

قال رحمه الله يرثي الأديب الشيخ حسن قويدر :

يَا شَمْسَ فَضْلٍ فَدَتْكَ الشُّهْبُ قَاطِبَةً • إِذْ عَنْكَ لَا أَنْجُمٌ تُغْنِي وَلَا شُهُبُ
لَمَّا أَصَابَكَ لَا قَوْسٌ وَلَا وَتَرٌ • سَهْمُ الْمَنِيَّةِ كَادَ الْكَوْنُ يَنْقَلِبُ
مَا حِيلَةُ الْعَبْدِ وَالْأَقْدَارُ جَارِيَةٌ • الْعُمْرُ يُوهَبُ وَالْأَيَّامُ تَنْتَهِبُ
لَوِ افْتَدَتْكَ الْمَنَايَا عِنْدَ مَا فَتَكَتْ • بِخَيْرِنَا لَفَدَتْكَ الْعُجْمُ وَالْعَرَبُ
مَتَى ضَرِيحَكَ غَيْثُ الْعَفْوِ مُنْسَكِبٌ • وَلَا ارْتَوَتْ بَعْدَكَ الْأَغْصَانُ وَالْعَذَبُ (٥)
وَلَا اسْتَهَلَّتْ عُيُونُ الْقَطْرِ بَاكِيَةً • إِلَّا عَلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بِنَا النُّوَبُ (٦)

(١) اليراع — فى الأصل — : القصب ، والمزمار ينفخ فيه راعى الإبل أو الغنم ، ثم استعير للا قلام .

(٢) الفرائض : ما يجب على الإنسان القيام به حتما . والنوافل : ما يقوم به الانسان طلبا للثواب وليس مجتوما عليه فعله ، وأكثر ما تستعمل فى الصلاة .

(٣) أماطل : أتراخى وأسوف .

(٤) هو محمود صفوت بن مصطفى أغا ، شاعر مصرى ، ولد بالقاهرة وتعلم بها ، واتصل بشريف مكة فلازمه فى بعض وقائع وصفها فى شعره ، ثم استخدم فى المعية ثم فى مجلس أحكام الجيزة والقليوبية . واشتهر بالساعاتى لبراعته فى فن الساعات ، ولكن لم يحترفه . وكان حلو الحسن المحاضرة . مات سنة ١٢٩٨

(٥) الغيث : المطر . العذب بفتحتين : الأغصان أيضا .

(٦) القطر بفتح القاف : المطر . والنوب بضم النون وفتح الواو المصائب ، واحدتها نوبة .

أَمْسَتْ لِفَقْـدِكَ عَيْنُ الْعِـلْمِ سَائِلَةً * تَرْجُو الشِّـفَاءَ وَأَنَّى يَنْجَحُ الطَّلَبُ (١)

بَكَتْ عَلَيْكَ السَّمَا وَالْأَرْضُ وَاضْطَرَبَتْ * كَأَنَّمَا نَالَهَا مِنْ حُزْنِهَا طَـرَبُ

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَنَّ لَدَى * نِصْفِ النَّهَارِ ضِيَاءَ الشَّمْسِ يَحْتَجِبُ

لَوْ كَانَ يَدْرِى فُـؤَادِى يَوْمَ نَكْبَتِـهِ * كَانَ الْفِـدَاءَ وَهٰـذَا بَعْضُ مَا يَجِبُ

بِالرَّغْـمِ مِنِّى حَيَـاتِى بَعْـدَ مَصْرَعِهِ * سِيَّانِ فُـرْقَةُ مَنْ أَحْبَبْتُ وَالعَطَبُ (٢)

٩ - عبد الله باشا فكرى (٣)

كتب إلى أحمد فارس الشِّدياق ردّا على قصيدة له :

تَفْـدِيكَ نَفْسُ شَجٍ عَلِيـلٍ آسِى * عَزَّ الدَّوَاءُ لَهُ وَحَارَ الآسِى (٤)

أَضْنَاهُ طُـولُ أَسَاهُ حَتَّى إِنَّهُ * يَحْكِى لِفَرْطِ ضَنَاهُ ذَاوِى الآسِ (٥)

هَزَّتْهُ سَارِيَةُ النَّسِيمِ، وَقَدْ جَرَتْ * بِشَـذَا فَرُوقَ أَرِيجَـةَ الأَنْفَاسِ (٦)

فَكَأَنَّ فِى طَىِّ الشَّمَالِ، إِذَا انْثَنَى * مِنْ نَشْرِهَا طَرَبًا، شَمُولَ الكَاسِ (٧)

---

(١) فى هـذا البيت استخدام، فان (سائلة) بمعنى فائضة بالدمع، وفى قوله ترجو أعاد عليها الضمير بمعنى السؤال .

(٢) بعد مصرعه : بعد موته . العطب : الهلاك .

(٣) هو الكاتب الشاعر المترجم عبد الله باشا فكرى بن محمد افندى بليغ، ولد بمكة ودرس بالأزهر، وأجاد التركية والعربية . وقد ترقى فى المناصب حتى وصل إلى معية المغفور له سعيد باشا فاسماعيل باشا . وكان يكتب عنهما فكاتبات كانت تعد نموذجا متبعا فى المكاتبات الديوانية، وكان كاتبا بليغا يتأثر البديع والحوارزمى بالتزام السجع القصير والمحسنات البديعية . وقد توفى سنة ١٣٠٧ هـ .

(٤) الشجى : المهموم، الحزين . والآسى : كذلك . عز الشىء : ندر وصعب الحصول عليه . الآسى : الطبيب .

(٥) أضناه : أسقمه وأهزله . أساه : حزنه . ذاوى : ذابل . الآس : نوع من الزهر .

(٦) الشذا : قوة طيب الرائحة . فروق بفتح الفاء : من أسماء القسطنطينية . وأريجة : طيبة الريح .

(٧) الشمال : يريد بها ريح الشمال . والشمول بفتح الشين : من أسماء الخمر .

وكأنها حملت إلىّ رسالة * غراء جاءت من أغر مواسى (١)

كمليحة عذراء وافت صبها * من بعد طول تعذر وشماس (٢)

يفتر مبسمها بحسن حديثها * عن سحر فاتن جفنها النعاس (٣)

تدنو فيطمع عاشقيها أنسها * ويشير عز دلالها بإياس (٤)

أو روضة فيحاء حياها الحيا * من صوب محلول العرى رجاس (٥)

وكتب إلى المرحوم توفيق باشا الخديو الأسبق يستعطفه ويستمنحه العفو :

يكتابى توجه وجهة الساحة الكبرى * وكبر إذا وافيت ، واجتنب الكبرا

وقف خاضعا ، واستوهب الإذن ، والتمس * قبولا ، وقبل سدة الباب لى عشرا (٦)

وبلغ لدى الباب الخديوى حاجة * لذى أمل يرجو له البشر والبشرى

لدى باب سمح الراحتين مؤمل * صفوح عن الزلات يلتمس العذرا (٧)

تنوء الجبال الراسيات بحلمه * إذا طاش ذو جهل لدى غيظه قهرا (٨)

يراقب رحمن السموات قلبه * فيرحم من فى الأرض رفقا بهم طرا (٩)

(١) الغراء : الحسناء . والأغر : السيد الشريف . والمواسى : المساعد المعاون .

(٢) صبها : عاشقها . والتعذر : التمنع . والشماس بكسر الشين . النفور والإباء .

(٣) يفتر : ينكشف . والمبسم : الفم . والنعاس : الشديد الفتور .

(٤) الإياس : اليأس . أى ييأس من أن تواصلهم .

(٥) الحيا : المطر . ويريد بمحلول العرى : المطر الغزير الذى لا يحجبه شىء . والرجاس : الشديد الصوت .

(٦) استوهب الإذن : اطلب هبة الاذن . السدة بضم السين : عتبة الدار .

(٧) السمح : الكريم . والراحتان : مثنى الراحة ، وهى باطن الكف .

(٨) يقال : ناء به الحمل ينوء به : أى أثقله وأتعبه . يقول : إذا شط الجاهل عن عقله عند الغيظ من شدة القهر فان حلم الممدوح فى مثل هذه المواقف تعجز الجبال الراسيات عن احتماله .

(٩) يشير إلى الحديث الشريف : «الراحمون يرحمهم الرحمن . ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» . طرا : جميعا .

مَليكي وَمَـوْلَاىَ العَـزِيزُ وَسَـيِّدِي * وَمَنْ أَرْتَجِي آلاءَ مَعْـرُوفِهِ العُمْرَا (١)

لَئِنْ كَانَ أَقْـوَامٌ عَـلَيَّ تَقَـوَّلُوا * بِأَمْرٍ فَقَـدْ جاءُوا بِمَا زَوَّرُوا نُكْرَا

وَإِنَّ سُـعَاةَ السُّـوءِ أَنْزَلَ فِيهِـمُ * عَلَيْنَـا إِلٰهُ العَـرْشِ فِي ذِكْرِهِ ذِكْرَا (٢)

وَعَلَّمَنَـا أَنْ نَسْـتَبِينَ مَقَـالَهُـمْ * وَنَأْخُذَ مِنْهُـمْ فِي مَسَاعِيهِـمُ الحِـذْرَا (٣)

حَلَفْتُ بِمَـا بَيْنَ الحَطِيمِ وَزَمْزَمٍ * وَبِالْبَـابِ وَالمِـيزَابِ وَالْكَعْبَةِ الْغَـرَّا (٤)

وَبِالزَّائِرِيهَـا يَرْتَجُونَ مَلِيكَهُـمْ * لِمَـا فَرَّطُوا فِي العَمْـدِ وَالخَطَإِ الغَفْـرَا (٥)

وَبِالصَّـلَوَاتِ الخَمْسِ يُرْجَى ثَوَابُهَـا * وَبِالصَّـوْمِ يُولِيـهِ الحَفِيُّ بِهِ شَهْرَا (٦)

لَمَـا كَانَ لِي فِي الشَّـرِّ بَاعٌ وَلَا يَدٌ * وَلَا كُنْتُ مَن يَبْـغِي مَدَى عُمْرِهِ الشَّرَّا (٧)

وَلٰكِنَّ مَحْتُـومَ المَقَـادِيرِ قَـدْ جَرَى * بِمَـا اللهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَهُ أَجْـرَى (٨)

وَفِي عِلْمِ مَـوْلَاىَ الكَرِيمِ خَلَائِـقِي * قَـدِيمًـا وَحَسْـبِي عِلْمُـهُ شَاهِدًا بَرَّا (٩)

فَعَفْـوًا أَبَا العَبَّـاسِ لَا زِلْتَ قَادِرًا * عَلَى الْأَمْرِ إِنَّ العَفْوَ مِنْ قَادِرٍ أَحْرَى! (١٠)

« مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ » وَامْنَحِ العَفْوَ تَبْتَغِي * زَكَاةً لِمَـا أَوْلَاكَ رَبُّـكَ أَوْ شُـكْرَا (١١)

---

(١) لا : النعم ، والعمر هنا ظرف زمان ، والمعنى مدى العمر . (٢) الذكر : القرآن الكريم . يقول : إن الذين يمشون بالسوء بين الناس ذكرهم الله فى كتابه العزيز ، يشير إلى قوله تعالى : « هماز مشاء بنميم » . (٣) الحذر بكسر الحاء وسكون الذال : الحذر بفتحها . يشير إلى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .

(٤) الحطيم : موضع من الحرم المكى . والميزاب : مسيل المطر . والمراد ميزاب الكعبة .

(٥) مليكهم : ربهم . والغفر : الغفران . (٦) حفى بالشىء من باب علم واحتفى به : أكرمه ، وأظهر الفرح به . (٧) الباع : قدر مد اليدين ، والمراد أنه لم يحدث الشر ولم يدخل فيه مطلقا .

(٨) أم الكتاب : اللوح المحفوظ . (٩) الخلائق : جمع خليقة ، وهى السجية والطبيعة . بر بفتح الباء : رحيما شفيقا . (١٠) أحرى : أحق وأجدر . (١١) ملكت فأسجح : مثل مضروب . والاسجاح : أحسن العفو .

أَيَحْمِلُ فِي دِينِ المُرُوءَةِ أَنَّنِي * أُكَابِدُ فِي أَيَّامِكَ البُؤْسَ وَالعُسْرَا ؟
وَلِي فِيكَ آمَالٌ ضَمِينِي بِنُجْحِهَا * وَفَاؤُكَ، لَا أَرْجُو سِوَاكَ لَهَا ذُخْرَا (١)
فَمُنَّ فَقَدْ أَلْفَيْتَ مَوْضِعَ مِنَّةٍ * وَرَبُّكَ لَا يَنْسَى لِذِي مِنَّةٍ أَجْرَا (٢)

وقال يتغزل :

كَتَبْتُ وَلَوْلَا دَمْعُ عَيْنِيَ سَائِلٌ * تَلَظَّى جَوَابِي مِن تَلَهُّبِ أَنْفَاسِي (٣)
وَعِنْدِي مِنَ الأَشْوَاقِ مَالَمْ يَبُحْ بِهِ * لِسَانُ يَرَاعٍ فِي مَسَامِعِ قِرْطَاسِ (٤)
وَلِي مِنْ تَبَارِيحِ الهَوَى وَشُجُونِهِ * أَحَادِيثُ تُلْهِي الشَّرْبَ عَنْ لَذَّةِ الكَاسِ (٥)
وَلَوْ كُنْتُ مِنْ دَهْرِي أَنَالُ مَآرِبِي * لَسِرْتُ لَكُمْ سَعْيًا عَلَى العَيْنِ وَالرَّاسِ

وكتب إلى السيد عبد الهادى نجا الأبيارى يعتذر عن عدم إجابة دعوة لم تصل إليه :

يَا مَنْ بَدِيعُ حُلَاهُ * تُزْرِي البَدِيعَ وَتُنْسِي (٦)

* * *

وَافَتْ عَقِيلَةُ نَظْمٍ * تَتْلُو فَصَاحَةَ قُسِّ (٧)
كَالبَدْرِ لَاحَ سَنَاهُ * مِنْ بَعْدِ مَغْرِبِ شَمْسِ

---

(١) النجح بضم النون : النجاح . والذخر بضم الذال والذخيرة : ما يستبق لوقت الحاجة .
(٢) فمن : فأحسن . المنة بكسر الميم : الإحسان . (٣) تلظى : التهب واحترق . ويريد بالجواب الصحيفة التى ضمنها خطابه . (٤) اليراع : يريد القلم . والقرطاس الصحيفة التى يكتب فيها .
(٥) تباريح الهوى : حرقته . والشجون جمع شجن بفتح الشين والجيم : وهو الهم والحزن والشرب بفتح الشين : الشاربون . (٦) البديع فى الشطر الثانى هو بديع الزمان الهمذانى صاحب المقامات المشهورة والأسلوب المسجع ، من كتاب القرن الرابع الهجرى . (٧) قس بن ساعدة الأيادى الخطيب الجاهلى .

فَغَادَرَتْنِي صَرِيعًا * نَشْوَانَ من غير كأس
فَمُنَّ بالعفو إنِّى * مِنْهُ على غَيْرِ يَأْس
وَإِنْ عَتَبْتَ فَحَقٌّ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِى

وله يشكر الخديو توفيق على إجابة ملتمس له :

بِعَلِيِّ مَجْدِكَ تَفْخَرُ العَلْيَاءُ * وَبِجُودِ كَفِّكَ تَقْتَدِى الْأَنْوَاءُ (١)
وَإِلَيْكَ يَنْتَسِبُ الْكَمَالُ وَيَنْتَهِى * كَرَمُ الْخِلَالِ وَيَنْتَمِى الْكُرَمَاءُ (٢)
وَعَلَيْكَ مِنْ نُورِ الْإِلٰهِ جَلَالَةٌ * تَعْنُو لَدَيْكَ لِعِزِّهَا الْعُظَمَاءُ (٣)
وَمَحَبَّةٌ غَدَتِ الْقُلُوبُ بِأَسْرِهَا * أَسْرَى لَهَا وَانْقَادَتِ الْأَهْوَاءُ (٤)
فَلْتَفْخَرِ الدُّنْيَا بِمَجْدِكَ وَالْعُلَا * وَالْمُلْكُ وَالْوُزَرَاءُ وَالْكُبَرَاءُ
مَوْلَاىَ! دَعْوَةَ عَبْدِ رِقٍّ مُخْلِص * نَاءٍ يُقَرِّبُهُ إِلَيْكَ وَلَاءُ (٥)
أَوْلَيْتَنِى مِنْ جُودِ كَفِّكَ نِعْمَةً * غَرَّاءَ كَانَتْ قَبْلَهَا آلَاءُ (٦)
فَلَأَشْكُرَنَّ نَدَاكَ مَا صَحِبَتْ يَدِى * قَلَمًا ، وَصَاحَبَ مَنْطِقِى إِصْغَاءُ (٧)

---

(١) العلى : العالى . والعلياء : السماء . والأنواء : جمع نوء بفتح النون وسكون الواو ، وهو المطر .
(٢) تعنو : تذل وتخضع . (٣) انتهى الكرم إليه : اتصل به . وانتمى : انتسب .
(٤) بأسرها : أى جميعها . والأهواء : الميول . (٥) ناء : بعيد المكان .
(٦) النعمة الغراء : الحسنة . وكانت — هنا — تامة . والآلاء : النعم ، أى : سلفت الى نعم منك قبل هذه النعمة . (٧) الندى : الجود والعطاء . والإصغاء : الاستماع ، والمعنى أنه سيظل شاكرا ما بقى قادرا على الكتابة ، وما بقى الممدوح مستمعا له .

١٠ - الشيخ على الليثى (١)

قال يرثى محمود باشا الفلكى وقد صادف أن تهاوت نيازك ليلة وفاته :

أَرَى النَّيَازِكَ عَنْ سَامٍ مِنَ الْفَلَكِ * مَذْعُورَةً أَصْبَحَتْ تَصْبُو إِلَى الدَّرَكِ (٢)

كَالطَّيْرِ فَاجَأَهَا الْبَازِى وَأَذْهَلَهَا * فَخَاكَتِ الْبَرْقَ وَانْقَضَّتْ عَنِ الْحُبُكِ (٣)

نَعَتْ إِلَيْنَا الرَّئِيسَ الْجَهْبِذِىَّ ، وَقَدْ * قَالَتْ : تَعَزَّوْا فَمَا حَىٌّ بِمُتْرَكِ (٤)

يَا نَفْسُ هٰذَا مُصَابٌ قَدْ أَصَابَ فَمَا * أَبْقَى فُؤَادَ صَبُورٍ غَيْرَ مُرْتَبِكِ

* * *

أَلَيْسَ نَسْرُ سَمَاءِ الْعِلْمِ قَدْ عَلِقَتْ * كَفُّ الْمَنُونِ بِهِ فَانْحَازَ فِى الشَّرَكِ (٥)

الصَّبْرَ يَا نَفْسُ ، وَاسْتَبْقِى مَنَايِحَهُ * أَوْ فَالتَّصَبُّرَ إِنْ تَبْغِى الْهُدَى فَلَكِ (٦)

حَلَّ الْقَضَاءُ وَنَاعِى الْمَجْدِ أَرَّخَنَا * قَدْ مَاتَ مَحْمُودُ بَاشَا الْمُسْنَدُ الْفَلَكِى

١٣٠٣ ١٠٤ ٤٤ ٩٨ ٣٠٤ ١٨٥ ١٧١

---

(١) هو الشاعر الكاتب المحاضر المنادر ، شاعر الخديو إسماعيل باشا فتوفيق باشا . ظهر بالشعر والأدب وصار فى معية إسماعيل باشا . ولما خلفه توفيق أبقى عليه فأخلص له الشيخ ، وخاصة أيام الثورة ، وشعره متوسط . وتوفى سنة ١٣١٣ هـ . (٢) النيازك : جمع نيزك بفتح النون : شعلة ترى على شكل الرمح ، وهو من الشهب المتساقطة . والدرك : أسفل السفل . (٣) البازى : نوع من الصقور . ويريد بالحبك السماء . (٤) الجهبذ : الناقد العارف بتمييز الجيد من الردىء . ومترك بتشديد التاء وفتح الراء : متروك . (٥) علقت به : تعلقت . والمنون : الموت . والشرك : حبائل الصائد . (٦) المنايح : يريد بها جمع منحة ، . موضع البكاء على الميت ، والمراد بها هنا البكاء نفسه .

وقال فى عقب الثورة العرابية . من قصيدة طويلة :

كُلُّ حَالٍ لِضِـــدِّهِ يَتَحَـــوَّلْ * فَٱلْزَمِ الصَّبْرَ إِذْ عَلَيْهِ الْمُعَوَّلْ (١)

يَا فُؤَادِى ٱسْتَرِحْ فَمَا الشَّأْنُ إِلَّا * مَا بِهِ مَظْهَـرُ الْقَضَاءِ تَنَزَّلْ

رُبَّ سَاعٍ لِحَتْفِهِ وَهْوَ مِمَّنْ * ظَنَّ بِالسَّعْىِ لِلْعُلَا يَتَوَصَّلْ (٢)

قَـدَرٌ غَالِبٌ وَسِـرُّ الْخَفَايَا * فَوْقَ عَقْلِ الْأَرِيبِ مَهْمَا تَكَمَّلْ

غَايَةُ الْعَقْـلِ حَسْـرَةٌ وَعِقَالٌ * وَاللَّبِيبُ الذَّكِىُّ مَنْ قَدْ تَأَمَّلْ

كَيْفَ نَنْسَى وَحَادِثَاتُ اللَّيَالِى * فَاجَأَتْنَا بِكَارِثٍ لَيْسَ يُحْمَلْ

أَذْهَبَتْ أَنْفُسًا وَغَالَتْ نَفِيسًا * وَذَوَى مَرْبَعُ الْحُظُوظِ وَأَمْحَلْ (٣)

* * *

وَإِذَا الْمَرْءُ كَانَ بِالْوَهْمِ يَبْنِى * فَخَيَالُ الظُّنُونِ مَا قَدْ تَمَثَّلْ

وَيْحَ قَـوْمٍ سَعَوْا لِإِدْرَاكِ أَمْرٍ * دُونَ إِدْرَاكِهِ الْجِبَالُ تُزَلْزَلْ

مَا أَصَرُّوا عَلَيْـهِ إِلَّا أَضَـرُّوا * بِأُنَاسٍ مِنْ نَابِهٍ أَوْ مُغَفَّلْ (٤)

ذَاكَ يَسْعَى عَلَى التُّقَيَّـةِ خَوْفًا * وَسِـوَاهُ سَعَى لِكَيْمَا يُجَمَّلْ (٥)

لَوْ أَصَابُوا الرَّشَادَ عِنْـدَ ٱبْتِـدَاءٍ * كَانَتِ الْغَايَةُ الْجَمِيلَةُ أَمْثَلْ

---

(١) عليه المعول : عليه المعتمد فى الشدة .

(٢) الحتف : الهلاك .

(٣) أمحل : أجدب . يريد أن حادثات الثورة أضاعت الأرواح والنفائس من مال ومتاع ، فأصبحت الحظوظ لا يرجى منها خير ولا أمل .

(٤) أصروا عليه : عزموا وثبتوا على عزمهم .

(٥) التقية : التقى ، وهو الخشية والحذر .

وقال يصف السفينة وهو عائد من برلين :

أَصْبَحَ الوَقْتُ بَاسِمًا بالسُّرُورِ * كَابْتِسَامِ الرَّبِيعِ وَقْتَ الزُّهُورِ
أَيْنَ أَلْقَى ظَرِيفَ طَبْعٍ لَطِيفًا * كَيْ نُدِيرَ الحَدِيثَ مِثْلَ الخُمُورِ
فَوْقَ ظَهْرِ السَّفِينِ نُحْسِنُ وَصْفًا * حَيْثُ يَجْرِي عَلَى صَفَاءِ البُحُورِ

* * *

وَتَرَاهُ يَخْتَالُ وَهُوَ مُعَنًّى (١) * وَيْحَهُ كَمْ يَجُرُّ ذَيْلَ الفَخُورِ
ذَيْلُهُ يَرْسُمُ المَجَرَّةَ (٢) عُجْبًا * بَيْنَ مَوْجٍ يُضِيءُ مِثْلَ البُدُورِ

١١ - السيد عبد الله نديم (٣)

قال يتغزل :

سَلُوهُ عَنِ الأَرْوَاحِ فَهْيَ مَلَاعِبُهْ * وَكُفُّوا إِذَا سَلَّ المُهَنَّدَ حَاجِبُهْ
وَعُودُوا إِذَا نَامَتْ أَرَاقِمُ شَعْرِهِ (٤) * وَوَلُّوا إِذَا دَبَّتْ إِلَيْكُمْ عَقَارِبُهْ
وَلَا تَذْكُرُوا الأَشْبَاحَ، بِاللهِ، عِنْدَهُ * فَلَوْ أَتْلَفَ الأَرْوَاحَ مَنْ ذَا يُطَالِبُهْ؟
أُرَاهُ بِعَيْنِي وَالدُّمُوعُ تُكَاتِبُهْ * وَيُحْجَبُ عَنِّي وَالفُؤَادُ يُرَاقِبُهْ

---

(١) المعنى بضم الميم وفتح العين وتشديد النون المفتوحة : المتعب المكدود . ويحه : رحمة له . والفخور بفتح الفاء : الكثير التفاخر . (٢) المجرة بفتح الميم وتشديد الراء المفتوحة : نجوم كثيرة لا يميزها البصر بل يراها كقطعة بيضاء . (٣) يعد السيد عبد الله نديم فى مقدمة الخطباء العرابيين ، وكان لا يجارى فى سرعة البديهة وشدة التأثير فى سامعيه بالعامية وغيرها ، ويعد متأثرا بجمال الدين الأفغانى كالشيخ محمد عبده ، وله مع ذلك شعر ونثر جيدان . توفى بالقسطنطينية سنة ١٨٩٦ م .
(٤) الأراقم : أخبث الحيات ، واحدها : أرقم . والعقارب هنا شعر الأصداغ . شبه بها لانعطافه ، كأذنابها على العين .

فَهَـلْ حَاجَةٌ تُدْنِي الحَبِيبَ لِصَبِّهِ • سِوَى زَفْرَةٍ تَثْنِي الحَشَا وَتُجَاذِبُهْ ؟
فَـلَا أَنَا مِمَّنْ يَتَّقِيـهِ حَبِيبُهُ • وَلَا أَنَا مِمَّنْ بِالصُّـدُودِ يُعَاتِبُـهْ
فَـلَوْ أَنَّ طَرْفِي أَرْسَلَ الدَّمْعَ مَرَّةً • سَفِيرًا لِقَلْبِي مَا تَوَالَتْ كَتَائِبُـهْ (١)

١٢ - الشيخ نجيب الحدّاد (٢)

وقال الشيخ نجيب الحدّاد يمدح مصر والمصريين :

يَا أَرْضَ مِصْرَ تَحِيَّـةٌ وَسَـلَامُ • وَسَقَاكِ مِنْ صَوْبِ الْغَمَامِ رُكَامُ (٣)
بَلْ أَنْتِ غَانِيَةٌ عَنِ الْمَطَرِ الَّذِي • يَهْمِي ؛ فَإِنَّ النِّيلَ فِيكِ غَمَامُ (٤)
نَهْـرٌ تَبَارَكَ مَاؤُهُ ، فَتَـكَادُ أَنْ • تُمْحَى بِطُهْـرِ مِيَاهِـهِ الآثَامُ (٥)
وَيَكَادُ لَوْ رَشَفَ الْعَلِيـلُ زُلَالَهُ • يُشْفَى الْعَلِيلُ وَتَذْهَبُ الْأَسْـقَامُ (٦)
يُحْيِي الْبِـلَادَ بِمَائِهِ ؛ فَكَأَنَّهُ الرُّ • وحُ الَّتِي تَحْيَا بِهَا الْأَجْسَامُ (٧)

---

(١) الكتائب : جمع كتيبة بفتح الكاف ، وهى القطعة من الجيش .

(٢) نشأ الشيخ نجيب الحداد نشأة أدبية ، فصار شاعرا رقيقا وكاتبا بليغا ؛ له روايات شتى تأليفا وترجمة . توفى سنة ١٨٩٩م .

(٣) وسقاك : الخبر هنا للدعاء ، فهو يتمنى لأرض مصر الرى والسقيا من الغمام . صوب الغمام : نزوله . والغمام : السحاب . والركام (بضم الراء) : المتراكب بعضه فوق بعض .

(٤) الغانية : الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة ، أو ذات المال الذى تستغنى به عن الغير . والمراد هنا أنها غنيت بوفر مائها الذى يتدفق من النيل عن المطر . ويهمى : يسقط غزيرا .

(٥) تبارك ماؤه : خصه الله بالبركة والخير . تمحى : تزال . الآثام : الذنوب .

(٦) رشف : امتص الماء بشفتيه قليلا قليلا . والعليل : المريض . والماء الزلال (بضم الزاى) : العذب الصافى .

(٧) يحيى البلاد : يبعث الحياة فى أهلها وزرعها وطيرها وساعتها بفضل مائه الذى لا ينقطع . والروح : سر الحياة فى الجسم . يريد أن النيل روح مصر وسر حياتها ، ولولاه لأصبحت صحراء يابسة .

إنَّ شَابَهُ كَدَرٌ فَفِي أَكْدَارِهِ * صَفْوٌ وَفِي فَيْضَانِهِ إِنْعَامُ (١)

أَرْضٌ إِذَا لَمْ يَعْلُ فِي أَرْجَائِهَا * عَلَمٌ فَإِنَّ كِرَامَهَا أَعْلَامُ (٢)

لَبِسَتْ مِنَ الْمَجْدِ التَّلِيدِ مَطَارِفًا * وَلَهَا مِنَ الْمَجْدِ الطَّرِيفِ وِسَامُ (٣)

وَتَعَانَقَتْ وَالْفَخْرَ مِنْ قِدَمٍ كَمَا * قَدْ عَانَقَتْ أَلِفُ الْكِتَابَةِ لَامُ (٤)

مَجْدٌ بِهِ هَرِمَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَزَلْ * غَضًّا وَقَدْ شَهِدَتْ بِهِ الْأَهْرَامُ (٥)

هَرَمَانِ زَانَا صَدْرَ مِصْرَ فَأَشْبَهَا * نَهْدَيْنِ زَانَهُمَا سَنًى وَتَمَامُ (٦)

نَهْدَانِ كَانَ الدَّهْرُ يَرْضَعُ مِنْهُمَا * إِنَّ الزَّمَانَ لِمَجْدِ مِصْرَ غُلَامُ (٧)

أَرْضُ الْفَرَاعِنَةِ الَّذِينَ بَنَوْا لَهَا * فِي الدَّهْرِ مَا لَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ

بُنْيَانَ عِزٍّ فِي السُّطُورِ مُخَلَّدٍ * وَبِنَاءَ مَجْدٍ فِي الصُّخُورِ يُقَامُ

لَا بِدْعَ إِنْ بَقِيَتْ مَآثِرُهُمْ فَقَدْ * بَقِيَتْ جُسُومُهُمُ وَهُنَّ رِمَامُ (٨)

---

(١) شابه : خالطه . ويريد بأكداره ما يحمله من الغرين (الطمى) إبان الفيضان ، فان فيه زيادة فى خصب الأرض ونمائها : وهذا ما عبر عنه بالصفو ليقابل به الأكدار . إنعام : أى وفى فيضانه نعمة وخير للوطن .

(٢) العلم بفتحتين : الجبل الطويل . والأعلام : جمع علم بفتحتين وهو سيد القوم . يريد أن مصر إذا خلت أرضها من الجبال الضخمة العظيمة فان فيها السادة العظماء من رجالها . (٣) التليد : القديم . المطارف : جمع مطرف بكسر الميم وفتح الراء ، وهو الثوب من الحرير . والطريف : الجديد . والوسام : شارة الفخر . وقد صرف (مطارف) لضرورة الشعر . (٤) يريد أن الفخر لازمها من قديم الزمان لما فاض به تاريخها من حضارة سبقت بها الأمم . (٥) هرم : شاب وكبرت سنه . غضا : ناضرا . والمراد أن مجد مصر مرت عليه الأزمان الطويلة فأهرمها وهو ما زال فى عنفوان شبابه ونضرته .

(٦) النهد (بفتح النون) : الثدى وجمعه نهود . والسنى (بفتح السين والنون) : الضوء . والتمام (بتثليث التاء) : الكمال . (٧) يقول إن هرمى مصر كانا فى العصور الغابرة بمثابة نهدين يرضع منهما الزمن . يكنى بذلك عما كانت عليه مصر من حضارة وعظمة فى الوقت الذى كان فيه العالم كالطفل لجهالته وتأخره .

(٨) لا بدع : لا غرابة ولا عجب . ورمام : جمع رمة بكسر الراء وتشديد الميم المفتوحة وهى الجسم البالى . يقول لا غرابة فى بقاء آثارهم من أهرامات ومعابد ، فهذه جسومهم وهى رهن البلى ، مازالت باقية لم تندثر بفضل نبوغهم وتقدمهم فى فن التحنيط .

١٣ - مصطفى بك نجيب[1]

قال يشكر بعض الأدباء على ساعة أهداها إليه :

مَتَّعَنَا أَخٌ كَرِيمٌ حَسَبَا * وَحَاتِمِيٌّ مَحْتِدًا وَنَسَبَا[2]
بِسَاعَةٍ مِنْ خَيْرِ مَا قَدْ جَلَبَا * مَا إِنْ رَأَتْ عَيْنٌ لَهَا مُضْطَرِبَا[3]
تَمْشِي مَعَ الزَّمَانِ سَيْرًا عَجَبَا * لَا تُخْطِئُ الْوَقْتَ وَلَوْ تَذَبْذَبَا[4]
كَأَنَّ بِالنَّجْمِ لَهَا مُنْتَسَبَا * وَبِذَكَاءَ لُحْمَةٌ وَنَسَبَا[5]
حَتَّى إِذَا وَقْتُ الزَّوَالِ وَجَبَا * وَرَامَتِ الشَّمْسُ لَهَا مُنْقَلَبَا[6]
* رَأَيْتَ فِيهَا الْعَقْرَبَيْنِ عَقْرَبَا *

وكتب على يد مروحة :

إِذَا يَدٌ لَعِبَتْ بِي * قَابَلْتُهَا بِهَوَاهَا
مَزَجْتُ لُطْفَ نَسِيمِي * بِلُطْفِ رَيَّا مُنَاهَا[7]
فَزَادَهَا الرِّيحُ وَجْدًا * وَزَادَهَا الْوَجْدُ آهَا[8]
جَاءَتْ لِتَبْرُدَ شَوْقًا * فَزِدْتُ مِنْهَا جَوَاهَا[9]

---

(١) هو ابن محمد نجيب، أديب إدارى، وكاتب شاعر مقل، صاحب كتاب (حماة الإسلام) ومقالات (أحلام الأحلام) . توفى سنة ١٣٢٠ هـ . (٢) حاتمى : نسبة إلى (حاتم الطائى) الذى ضرب به المثل فى الكرم، وهو من أجواد العرب . والمحتد : الأصل . (٣) مضطربا : تقدما أو تأخرا عن السير الطبيعى للزمن . (٤) تذبذب : اضطرب وخرج عن حركته الطبيعية فى السير . (٥) ذكاء (بضم الذال) : الشمس . ولحمة (بضم اللام) : قرابة . (٦) وقت الزوال : هو الوقت الذى يزول فيه الظل حين تصل الشمس إلى كبد السماء، أى فى الساعة الثانية عشرة تماما . (٧) الريا (بفتح الراء وتشديد الياء) : الريح الطيبة، كأنما رويت من الطيب والعطور فى مسراها، مؤنث ريان . والمنى : جمع منية بضم الميم وتسكين النون، وهى ما تتمناه النفس من خير . (٨) وجدا : صبابة وشوقا . وآها : تأوها من فرط الحنين . (٩) لتبرد : لتلتمس بردا من شدة حرارتها . والجوى : شدة الوجد .

١٤ - محمود باشا سامى البارودى (١)

قال فى الفخر وهو من قصيدة طويلة :

سِوَاىَ بِتَحْنَانِ الأَغَارِيدِ يَطْرَبُ (٢) • وَغَيْرِى بِاللَّذَّاتِ يَلْهُو وَيُعْجَبُ

وَمَا أَنَا مِمَّنْ تَأْسِرُ الخَمْرُ لُبَّهُ (٣) • وَيَمْلِكُ سَمْعَيْهِ الْيَرَاعُ الْمُثَقَّبُ

وَلَكِنْ أَخُو هَمٍّ إِذَا مَا تَرَجَّحَتْ (٤) • بِهِ سَوْرَةٌ نَحْوَ الْعُلَا رَاحَ يَذْأَبُ

قَفَى النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهِ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ (٥) • لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الأَسِنَّةِ مَطْلَبُ

وَمَنْ تَكُنِ الْعَلْيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ • فَكُلُّ الَّذِى يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبُ

إِذَا انَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا • فَلَا عَزَّنِى خَالٌ وَلَا ضَمَّنِى أَبُ

* * *

خُلِقْتُ عُيُوفًا لَا أَرَى لِابْنِ حُرَّةٍ (٦) • عَلَىَّ يَدًا أُغْضِى لَهَا حِينَ يَغْضَبُ

فَلَسْتُ لِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقَّعًا (٧) • وَلَسْتُ عَلَى شَىْءٍ مَضَى أَتَعَتَّبُ

---

(١) هو محمود سامى باشا بن حسن حسنى بك البارودى . أحد زعماء الثورة العرابية . ولد سنة ١٢٥٦ هـ . وتعلم بالمدرسة الحربية ، وترقى فى مناصب الجيش وغيرها حتى رأس النظار فيصل الثورة العرابية ، ونفى بعدها إلى سرنديب ، ثم عاد إلى مصر ، وبها مات سنة ١٣٢٢ هـ . والبارودى عصامى فى نشأته الأدبية الشاعرة ، يعد شعره صورة مقاربة للفحول السابقين : جزل الأسلوب ، ضخم المعانى ، متنوع الفنون . له ديوان ومختارات .

(٢) التحنان بفتح التاء : الحنين . والأغاريد : جمع أغرودة بضم الهمزة ، غناء الطائر . ويعجب بالشىء بالبناء للمجهول : يسر منه .

(٣) يريد بسمعيه أذنيه . واليراع : القصب الذى يزمر به الراعى ، واحدته يراعة . والمثقب : ذو الثقوب التى تعين النافخ على الصفير ، وتنوع الألحان .

(٤) الهم — هنا : الهمة . وترجحت به : مالت به . ويريد بالسورة النزعة القوية .

(٥) الأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح .

(٦) العيوف بفتح العين : الشديد الأنفة . واليد : النعمة . أغضى لها : أطبق جفنى ذلا وندما .

(٧) أتعتب : أغضب .

سيرُ عَلَى نَهْجٍ يَرَى النَّاسُ غَيْرَهُ • لِكُلِّ أَمْرِئٍ فِيمَا يُحَاوِلُ مَذْهَبُ (١)

وَإِنِّي إِذَا مَا الشَّكُّ أَظْلَمَ لَيْلُهُ • وَأَمْسَتْ بِهِ الْأَحْلَامُ حَيْرَى تَشَعَّبُ (٢)

صَدَعْتُ حِفَافَيْ طُرَّتَيْهِ بِكَوْكَبٍ • مِنَ الرَّأْيِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ الْمُغَيَّبُ (٣)

وقال يتشوق وهو فى المنفى :

رُدُّوا عَلَيَّ الصِّبَا مِنْ عَصْرِيَ الْخَالِي • وَهَلْ يَعُودُ سَوَادُ اللِّمَّةِ الْبَالِي؟ (٤)

لَمْ يَدْرِ مَنْ بَاتَ مَسْرُورًا بِلَذَّتِهِ • أَنِّي بِنَارِ الْأَسَى مِنْ هَجْرِهِ صَالِي (٥)

يَا غَاضِبِينَ عَلَيْنَا هَلْ إِلَى عِدَةٍ • بِالْوَصْلِ يَوْمٌ أُنَاغِي فِيهِ إِقْبَالِي (٦)

غِبْتُمْ فَأَظْلَمَ يَوْمِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ • وَسَاءَ صُنْعُ اللَّيَالِي بَعْدَ إِجْمَالِ (٧)

فَالْيَوْمَ لَا رَسَنِي طَوْعُ الْقِيَادِ وَلَا • قَلْبِي إِلَى زَهْرَةِ الدُّنْيَا بِمَيَّالِ (٨)

أَبِيتُ مُنْفَرِدًا فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ • مِثْلَ الْقَطَامِيِّ فَوْقَ الْمَرْبَإِ الْعَالِي (٩)

وقال يرثى أباه لما ناهز العشرين :

لَا فَارِسَ الْيَوْمَ يَحْمِي سَرْحَةَ الْوَادِي • طَاحَ الرَّدَى بِشِهَابِ الْحَرْبِ وَالنَّادِي (١٠)

---

(١) المذهب : الطريقة . (٢) الأحلام : العقول . وتشعب : تتشعب أى تختلف وتتفرق .

(٣) حفافا الشىء : جانباه . الطرة : الناصية ، يقول إنه اذا أشكل الأمر وتحيرت فيه العقول أتاه برأى كالكوكب فى وضوحه وإشراقه . (٤) اللة بكسر اللام وتشديد الميم : الشعر المجاوز لحمة الأذن ، وهو يريد شعر الرأس على الإطلاق . ويريد بالبالى الذى تغير لونه فيبضه المشيب .

(٥) الأسى : الحزن . يصلى النار من باب علم ، وصلى بها فهو صال : قاسى حرها أو احترق بها .

(٦) العِدَةُ بكسر العين وفتح الدال : الوعد . وناغى الصبى : كلمة بما يعجبه ويسره . (٧) الإجمال : الاحسان . (٨) الرسن بفتحتين : الحبل الذى تقاد به الدابة . (٩) يريد بالشاهقة الجبل المرتفع . والقطامى بفتح القاف وضمها : الصقر . والمربأ : المكان الذى يقف فيه من يرقب .

(١٠) السرحة بفتح السين : الشجرة العظيمة يستظل فيها . والمراد : يحمى حرمه . وطاح به : أهلكه . والردى بفتح الدال : الموت . والشهاب : الكوكب . يريد أنه كان كالكوكب فى انقضاضه على مجازيه ، كما كان فى مجتمع القوم زينتهم كالكوكب أيضا فى تألقه .

مَاتَ الذِى تَرْهَبُ الأَقْرَانُ صَوْلَتَهُ * وَيَتَّقِى بَأْسَهُ الضِّرْغَامَةُ العَادِى (١)

مَضَى وخلَّفَنِى فى سِنٍّ سَابِعَةٍ * لَا يَرْهَبُ الخَصْمُ إِبْرَاقِى وَإِرْعَادِى (٢)

فَإِنْ أَكُنْ عِشْتُ فَرْدًا بَيْنَ آصِرَتِى * فَهَأَنَا اليَوْمَ فَرْدٌ بَيْنَ أَنْدَادِى (٣)

ومن قصيدة له يرثى بها زوجته، وقد ماتت فى مصر وهو لا يزال فى منفاه :

لَا لَوْعَتِى تَدَعُ الفُؤَادَ، وَلَا يَدِى * تَقْوَى عَلَى رَدِّ الحَبِيبِ الغَادِى (٤)

يَا دَهْرُ! فِيمَ فَجَعْتَنِى بِحَلِيلَةٍ * كَانَتْ خُلَاصَةَ عُدَّتِى وَعَتَادِى (٥)

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَاىَ لِبُعْدِهَا * أَفَلَا رَحِمْتَ مِنَ الأَسَى أَوْلَادِى؟ (٦)

وَمِنَ البَلِيَّةِ أَنْ يُسَامَ أَخُو الأَسَى * رَعْىَ التَّجَلُّدِ، وَهْوَ غَيْرُ جَمَادِ (٧)

هَيْهَاتَ بَعْدَكِ أَنْ تَقَرَّ جَوَانِحِى * أَسَفًا لِبُعْدِكِ، أَوْ يَلِينَ مِهَادِى (٨)

وَلَهِى عَلَيْكِ مُصَاحِبٌ لِمَسِيرَتِى * وَالدَّمْعُ فِيكِ مُلَازِمٌ لِوِسَادِى (٩)

فَإِذَا انْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذِكْرَتِى * وَإِذَا أَوَيْتُ فَأَنْتِ آخِرُ زَادِى (١٠)

---

(١) الأقران : جمع قرن بكسر القاف، وهو المناظر فى الشجاعة وغيرها . صولته : سطوته وبطشه فى النضال . والضرغامة : الأسد . والعادى : الصائل . (٢) إبراقه وإرعاده : تهديده ووعيده . (٣) يريد بآصرته : أهل قرابته وأصحاب مودّته . (٤) اللوعة : ألم الفراق . والغادى : الذاهب، من : غدا يغدو إذا ذهب فى الصباح، والمراد هنا من الغادى : الذاهب عن الدنيا .

(٥) العدّة، والعتاد : ما يعده المرء لشأنه . يريد أنها كانت سنده فى الحياة وعونه .

(٦) الضنا : الضعف والسقم . والأسى : الحزن . (٧) سامه الأمر : كلفه إياه . والرعى : المراعاة . (٨) تقرّ : تهدأ . والجوانح : الأضلاع، مفردها : جانحة . والمهاد : الفراش . (٩) الوله : أشدّ الحزن . والمسيرة : السير، والمراد بها هنا العمر والحياة، أى أن حزنه سيصاحب أيام حياته . والوساد : المخدّة والمتكأ . (١٠) انتبهت : استيقظت . والذكرة : الذكر . وأويت : دخلت فى فراشى . والزاد : ما يتزوّد به .

وقال يصف الحرب :

وَلَمَّا تَدَاعَى الْقَوْمُ وَاشْتَبَكَ الْقَنَا (١) * وَدَارَتْ، كَمَا تَهْوَى عَلَى قُطْبِهَا الْحَرْبُ

وَزُيِّنَ لِلنَّاسِ الْفِرَارُ مِنَ الرَّدَى (٢) * وَمَاجَتْ صُدُورُ الْخَيْلِ وَالْتَهَبَ الضَّرْبُ

وَدَارَتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءُ كَأَنَّنَا (٣) * سُقِينَا بِكَأْسٍ لَا يُفِيقُ لَهَا شَرْبُ

صَبَرْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ سَمَاؤُهَا (٤) * وَإِنِّي صَبُورٌ إِنْ أَلَمَّ بِيَ الْخَطْبُ

وقال يصف الفراق :

مَحَا الْبَيْنُ مَا أَبْقَتْ عُيُونُ الْمَهَا مِنِّي (٥) * وَشَيَّبْتُ وَلَمْ أَقْضِ اللُّبَانَةَ مِنْ سِنِّي

عَنَاءٌ وَيَأْسٌ وَاشْتِيَاقٌ وَغُرْبَةٌ (٦) * أَلَا شَدَّ مَا أَلْقَاهُ فِي الدَّهْرِ مِنْ غَبْنِ

فَإِنْ أَكُ فَارَقْتُ الدِّيَارَ فَلِي بِهَا (٧) * فُؤَادٌ أَضَلَّتْهُ عُيُونُ الْمَهَا عَنِّي

بَعَثْتُ بِهِ يَوْمَ النَّوَى إِثْرَ لَحْظَةٍ (٨) * فَأَوْقَعَهُ الْمِقْدَارُ فِي شَرَكِ الْحُسْنِ

فَهَلْ مِنْ فَتًى فِي الدَّهْرِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا * فَلَيْسَ كِلَانَا عَنْ أَخِيهِ بِمُسْتَغْنِ

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَأَسْبَلَتْ (٩) * مَدَامِعُنَا فَوْقَ التَّرَائِبِ كَالْمُزْنِ

---

(١) تداعى القوم : دعا بعضهم بعضا للقتال . والقنا : جمع قناة ، وهى الرمح . وشبه الحرب بالرحا فى دورانها على قطبها . وكما تهوى : لا تبالى من تقتل ، ولا من تهزم . (٢) زين إليه الشىء : تراءى له أنه حسن وخير . والردى : الموت . وماجت : اضطربت . (٣) الشرب بفتح الشين : الشاربون . (٤) تجلت سماؤها : يريد ذهبت شدتها . وصبور : كثير الصبر . وألم بتشديد الميم : نزل . والخطب : الشدة والأمر العظيم . (٥) البين : البعد والفرقة . والمها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية يضرب بها المثل فى جمال العيون . واللبانة : الحاجة فى غير فاقة . والسن : العمر . ولبانة الشباب : ما يقتضيه من لهو ومرح . (٦) العناء : التعب والمشقة . وألا شد : ما أشد والغبن : يريد به الظلم . (٧) أضلته : يريد شغلته . (٨) النوى : البعد . وإثر لحظة : عقب لحظة . واللحظة : النظرة بمؤخر العين . والمقدار : قدر الله . والشرك : حبالة الصيد . (٩) أسبلت الدموع : أرسلت وهملت . والترائب : جمع تريبة ، وهى عظمة الصدر ، والمراد بها هنا الصدر . والمزن : المطر .

أَهَبْتُ بِصَبْرِي أَنْ يَعُودَ فَعَزَّنِي * وَنَادَيْتُ حِلْمِي أَنْ يَثُوبَ فَلَمْ يُغَنِ (١)

وَمَا هِيَ إِلَّا خَطْرَةٌ ، ثُمَّ أَقْلَعَتْ * بِنَا عَنْ شُطُوطِ الحَيِّ أَجْنِحَةُ السُّفُنِ (٢)

فَكَمْ مُهْجَةٍ مِنْ زَفْرَةِ الوَجْدِ فِي لَظًى * وَكَمْ مُقْلَةٍ مِنْ غَزْرَةِ الدَّمْعِ فِي دَجَنِ (٣)

وَمَا كُنْتُ جَرَّبْتُ النَّوَى قَبْلَ هَذِهِ * فَلَمَّا دَهَتْنِي كِدْتُ أَقْضِي مِنَ الحُزْنِ (٤)

وَلَكِنَّنِي رَاجَعْتُ حِلْمِي وَرَدَّنِي * إِلَى الحَزْمِ رَأْيٌ لَا يَحُومُ عَلَى أَفْنِ (٥)

وَلَوْلَا بُنَيَّاتٌ وَشَيْبٌ عَوَاطِلٌ * لَمَا قَرَعَتْ نَفْسِي عَلَى فَائِتٍ سِنِّي (٦)

١٥ - حفنى بك ناصف (٧)

قال يخاطب ناظر الحقانية وقد نقله إلى قنا :

رَقَّيْتَنِي حِسًّا وَمَعْنًى * فَلِصُنْعِكَ الشُّكْرُ المُثَنَّى

وَجَعَلْتَ رَأْسَ الحَاسِدِ * يْنَ بِمِصْرَ مِنْ قَدَمَيَّ أَدْنَى

---

(١) أهاب به : دعاه . وعزنى : غلبنى . والحلم : العقل . ويثوب : يرجع . ويغنى : يفيد .

(٢) أقلع عن المكان : تحوّل عنه . وشطوط : جمع شط ، وهو جانب البحر . والحى : منازل القوم . وأجنحة السفن : أشرعتها .

(٣) المهجة : دم القلب ، ويراد بها هنا القلب . الزفرة : النفس الشديد الحارّ . واللظى : لهب النار . والمقلة : العين . وغزرة الدمع : كثرته . والدجن : الظلمة .

(٤) دهتنى : أصابتنى . وأقضى : أموت ، من قضى الرجل يقضى .

(٥) راجعت : استردت . والحلم : العقل . وحام على الشىء : داربه . والأفن سوء الرأى .

(٦) البنيات : جمع بنية ، وهى البنت الصغيرة . والفائت : ما لم يدركه الانسان . وقرع السن : كناية عن الندم . يقول : لولا بناته الصغار ، ولولا من يعولهم من أهله المسنين الذين لا كسب لهم ما ندم على شىء .

(٧) هو القاضى الفاضل والشاعر الكاتب الأستاذ محمد حفنى ناصف ؛ ولد ببركة الحج من أعمال القليوبية ، ودرس بالأزهر ودار العلوم ، فخرج نابغة تابها ، شغل مناصب القضاء والتدريس بالمدارس والجامعة ، فكان مثال الفضل والبراعة وحسن الفكاهة وسرعة البديهة . يمتاز أسلوبه بالجزالة فى النثر والسهولة فى الشعر . توفى سنة ١٩١٩ م .

وجعلتَ سُدَّةَ مَنزِلي • من أسْقُفِ الهَرَمَينِ أسْنَى (١)

أسكَنْتَني في بُقعةٍ • فيها غَدَوتُ أعزَّ شأنا

أرِدُ المشارعَ سابِقًا • والسَّبْقُ عند الوِرْدِ أهْنا (٢)

وأزورُ آثارَ المُلو • كِ، وكنتُ قَبلُ بها مُعَنَّى (٣)

بَلَدٌ إذا حَلَّتْ به • قَدَماكَ قُلْتَ حَلَلْتُ حِصْنا

جَبَلُ المقطَّم حَوْلَهُ • مُتَعَطِّفٌ كالنُّون حُسْنا (٤)

هَيْهاتَ أن يَصِل العدُوُّ • له، ويُدرِكَ ما تَمَنَّى

⁂

قالوا: شَخَصْتَ إلى قِنا • يا مَرحَبًا «بقِنا» و «إسنا»

قالوا: سَكَنتَ السَّفحَ قلـ • ـتُ وحَبَّذا بالسفحِ سُكنَى

قالوا: قِنا حَرٌّ، فقلـ • ـتُ: وهل يَرُدُّ الحُرَّ قِنًّا؟ (٥)

سِرُّ الحَياةِ حَرارةٌ • لَوْلاهُ ما طَيرٌ تَغَنَّى

كَلا! ولا زَهْرٌ تبسَّـ • ـمَ، لا ولا غُصنٌ تَثَنَّى!

تَتَدفَّقُ الأنهارُ مِن • حَرٍّ، وتُزجِي الريحُ مُزْنا! (٦)

ها قد أمِنتُ البَرْدَ والـ • ـبُرَداءَ، والقلبُ اطمأنَّا (٧)

---

(١) سدة المنزل (بتشديد الدال): عتبة بابه. (٢) أرد المشارع: آتيها للارتواء. والمشارع: جمع مشرع وهو المنهل يرده الظماء. (٣) معنى: كلفا (بكسر اللام) مشتاقا. (٤) متعطف: منحن كالقوس. (٥) القن: العبد الرقيق. وفاعل يرد يعود على (حر) بفتح الحاء. يقول وهل يصير حر قنا الرجل عبدا رقيقا. (٦) المزن: المطر. واحدته مزنة بضم الميم وسكون الزاى. (٧) البرداء: الثقلاء، جمع بارد وهو الإنسان المتبلد الإحساس.

ووُقِيتُ أمراضَ الرُّطو * بةِ، واسترَقَّ الرِيح وَهْنا (١)

ألقَى الهَواءَ فلا أَها * بُ لِقاءَه : ظَهْرا وبَطْنا

وأنامُ غَيرَ مُدَثَّرٍ * شيئا إذا ما الليلُ جَنّا

قد خَفّتِ النفَقَاتُ إذْ * لا أَشترِى صُوفاً وقُطنا

وَفَّرتُ من ثَمَنِ الوَقو * دِ النصْفَ أو نِصْفاً وثُمنا

فالشمسُ تَكْفُل راحَتى؛ * فكأنها أمِّى وأَحْنَى

فإذَا بَدَتْ لى حاجةٌ * فى الغُسلِ أَلقَى الماءَ سُخْنَا

أَوْ رُمْتُ طَبْخًا او عِلا * جَ الخُبزِ أَلقَى الجَوَّ فُرْنا

سُكْنَى القُرى تَدَعُ السفيـ * ـهَ مُوَكَّلًا بالمالِ مُضْنَى

أَىُّ الملاهِى فيه يَصـ * ـرِفُ مالَه ومَتَى وأَنَّى؟

كلُّ امرِئٍ تلقاه من * بعدِ الظهيرة مُسْتَكِنًّا (٢)

ويَرى الغريبُ السِّعرَ أيـ * ـسَرَ حالةً، وأخَفَّ غَبْنا

يَجِد الحَلِيبَ بعينِهِ * لَبَنا، ويُلفِى السَّمْنَ سَمْنا

عِشْ فى القُرى رأسًا، ولا * تَسكُنْ مع الأَذنابِ مُدْنا

ودَعِ الجزيرةَ وَالمَهَا * والجسرَ والظَّبىَ الأَغَنَّا (٣)

واسْلُ الأغانى والغَوا * نىَ، وَأَسْأَلِ الرحمنَ عَدْنا! (٤)

---

(١) استرق الريح : سرى رقيقا ناعما . الوهن : بسكون الهاء الضعف . (٢) مستكنا : مختبئا .

(٣) الظبى الأغن : الذى فى صوته غنة بضم الغين وتشديد النون المفتوحة . (٤) اسل : فعل أمر من سلا بمعنى ترك ونسى . الغوانى : جمع غانية وهى الحسناء التى غنيت بجمالها عن غيره . وعدن بسكون الدال : جنة عدن .

ولما أشرف على الإحالة على المعاش ببلوغ الستين، كتب إلى المرحوم حسين رشدى باشا، وكان يومئذ رئيسًا للوزارة، يسأله أن يمد فى أجل خدمته، فى مفاكهة غاية فى الظرف والرقة :

صَاحِبَ الدَّوْلَة يا شَيْخَ الْوِزَارَهْ * حَاجَتِي إنْ شِئْتَ تُقْضَى بإشَارَهْ
قَالَهَا قَبْلِي أُلُوفٌ لَمْ أَكُنْ * دُونَهُمْ عِلْمًا وَلَا أَدْنَى إدَارَهْ
فَاهْزَ السِّتِّينَ عُمْرِي إنما * لَمْ أَزَلْ جَمَّ الْقُوَى جَمَّ الجَدَارَهْ (١)
وَإذَا لَمْ يَشْكُ مِنْلِي عِلَّةً * هَلْ مِنَ الحِكْمَةِ أَنْ يَلْزَمَ دَارَهْ
إنَّ تَرْكِي خِدْمَةَ الْأَوْطَانِ مَعْ * طولِ مَا مَارَسْتُ فِي الدُّنْيَا خَسَارَهْ
وَحَيَاتِي كُلُّهَا قَضَّيْتُهَا * تَارَةً فِي الْعَدْلِ وَالتَّعْلِيمِ تَارَهْ (٢)

وقال يتحسر على ضياع علمه بموته :

أَتَقْضِي مَعِي إنْ حَانَ حِينِي تَجَارِبِي * وَمَا نِلْتُهَا إلَّا بِطُولِ عَنَاءِ (٣)
وَأَبْذُلُ جُهْدِي فِي اكْتِسَابِ مَعَارِفٍ * وَيَفْنَى الَّذِي حَصَّلْتُهُ بِفَنَائِي (٤)
وَيَحْزُنُنِي أَلَّا أَرَى لِي حِيلَةً * لِإعْطَائِهَا مَنْ يَسْتَحِقُّ عَطَائِي (٥)
إذَا وَرَّثَ الْجُهَّالُ أَبْنَاءَهُمْ غِنًى * وَجَاهًا، فَمَا أَشْقَى بَنِي الْعُلَمَاءِ (٦)

(١) ناهز : قارب . والجم بتشديد الميم : الكثير . والجدارة : الأهلية والاستحقاق .

(٢) وإن كانت نشأة الشاعر الأولى فى الأزهر ثم فى دار العلوم فقد ولى القضاء فى المحاكم الأهلية مدة ليست بالقصيرة .

(٣) تقضى : تموت وتفنى . وحان حينى : جاء أجلى . والتجارب : ما يستفيده المرء من خبرة فى ممارسته لشؤون الحياة، مفردها : تجربة . والعناء : الجهد والمشقة .

(٤) حصلته : جمعته .

(٥) العطاء : ما يجود به المرء على غيره . ويريد أن ما حصله من العلم لا يستطيع أن يهبه لمن يستحقه كما يوهب المال مثلا .

(٦) الجاه : علو المنزلة، ورفعة القدر

١٦ – ولىّ الدين يكن (١)

وَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ

يُرِيدُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا هَنَاءً * وَيَأْبَى أَنْ يَجُودَ بِهِ الزَّمَانُ

حَيَاةٌ حَارَبَتْهُمْ مُنْذُ كَانَتْ * وَحَظٌّ حَارَبُوهُ مُنْذُ كَانُوا

وَآمَالٌ تَغُرُّهُمُ عِجَافٌ (٢) * وَأَحْدَاثٌ تُكَذِّبُهَا سِمَانُ

وَكَمْ مِنْ مُسْتَنِيلٍ لَيْسَ يُعْطَى (٣) * وَكَمْ مِنْ مُسْتَعِينٍ لا يُعَانُ

تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ فَلَا يَرَاعٌ (٤) * تُوَفِّيهَا الشَّكَاةُ وَلا لِسَانُ

أَمَانًا أَيُّهَا الْخَصْمُ الْمُعَادِي * إِذَا دَانَ الْعِدَا وَجَبَ الأَمَانُ

أَإِنْ رَغِبُوا إِلَيْكَ رَغِبْتَ عَنْهُمْ * لَقَدْ هَانَتْ رَغَائِبُهُمْ وَهَانُوا

يُمَنِّي النَّاسُ بَعْضُهُمُ بِخَيْرٍ (٥) * أَلا كَذَبُوا عَلَى بَعْضٍ وَمَانُوا

وَدَاعٍ جَاءَ يَدْعُونِي لِنُصْحٍ (٦) * وَقَدْ وَهَنَ النُّهَى وَوَهَى الْبَنَانُ

تَعِبْتُ مِنَ الْكَلامِ فَلَيْسَ يُجْدِي * – كَمَا أَمَّلْتُ – نَظْمٌ أَوْ بَيَانُ

وَكَانَتْ صَبْوَةٌ وَنَزَعْتُ عَنْهَا (٧) * فَهَأَنَا لا أَدِينُ وَلا أُدَانُ

---

(١) ولىّ الدين بن حسن مرى بن ابراهيم باشا يكن ، ولد بالآستانة وجاء القاهرة طفلا وتعلم بها ومال الى الأدب واشتهر به ، ثم سافر الى الآستانة وعين فى مجلس معارفها ، ثم نفاه السلطان عبد الحميد الى ولاية سيواس ، وبعد إعلان الدستور العثمانى عاد إلى مصر وأخذ ينشر كتبه ومقالاته . وله شعر رقيق وكتابة جيدة . مات سنة ١٣٣٩ هـ .

(٢) عجاف : جمع عجفاء أى هزيلة ضامرة . وسمان : جمع سمينة .

(٣) مستنيل : طالب نوالا أى عطاء . مستعين : طالب عونا .

(٤) اليراع : الأقلام ، المفرد يراعة .

(٥) مانوا : من المين بسكون الياء وهو الكذب .

(٦) وهن : ضعف . النهى : العقول جمع نهية بضم النون وسكون الهاء . ووهى : ضعف . البنان : أطراف الأصابع جمع بنانة .

(٧) صبوة : من صبا بمعنى مال وأحب .

وَمَا أَسَفِي عَلَى عَهْدٍ تَقَضَّى * وَلَكِنْ صُنْتُ عَهْدًا لا يُصَانُ
ظَلِلْتُ أَمِيتُهُ دَهْرًا طَوِيلًا * وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي لا أُخَانُ

❖ ❖ ❖

وَدَارٍ لا يَزُولُ الْقَتْلُ عَنْهَا * كَأَنَّ الْحَرْبَ فِيهَا مِهْرَجَانُ
أَهَابَ بِهَا الْيَرَاعُ فَلَمْ تُجِبْهُ * وَنَادَاهَا فَجَاوَبَتِ السِّنَانُ (١)
تَظَلُّ بِهَا السَّوَاعِدُ عَامِلَاتٍ * يُصَرِّفُهَا ضِرَابٌ أَوْ طِعَانُ
بَكَتْ عَيْنِي الشَّبَابَ وَحِينَ جَفَّتْ * مَدَامِعُهَا غَدَا يَبْكِي الْجَنَانُ (٢)
لَعَمْرُكَ مَا لِذِي نُصْحٍ مَكَانٌ * وَلَا لِلنُّصْحِ فِي الدُّنْيَا مَكَانُ
فَدَعْنِي إِنَّ آمَالِي اسْتَكَفَّتْ * فَلِي شَانٌ وَلِلْآمَالِ شَانُ (٣)

معارضته قصيدة الحصرى

« يا لَيْلُ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ »

أَحْسَنُ مَكَانُكِ مَعْبَدُهُ * وَاللَّحْظُ فُؤَادِي مَغْمَدُهُ (٤)
يَا سَيِّدَتِي هَذَا حُرٌّ * لَمْ يُعْرَفْ قَبْلَكِ سَيِّدُهُ
اللَّيْلُ وَطَيْفُكِ يَعْرِفُهُ * إِنْ كَانَ فُؤَادُكِ يَجْحَدُهُ
كَمْ يُوحِي طَرْفُكِ لِي غَزَلًا * وَأَنَا فِي شِعْرِي أُنْشِدُهُ
وَتُسَاجِلُنِي الْأَطْيَارُ هَوًى * فِي الدَّوْحِ أَبِيتُ أُرَدِّدُهُ (٥)

(١) السنان : نصل الرمح . (٢) الجنان بفتح الجيم : القلب . (٣) استكفت : انقطعت وانتهت . (٤) مغمده : مكان غمده شبه اللحظ بالسيف ، والفؤاد بالغمد الذى يحتويه . (٥) تساجلنى : تباريه . والدوح : الشجر ، واحدته دوحة بسكون الواو .

لِلصُّبْحِ سَنَاؤُكِ أَبْيَضُهُ * لِلَّيْلِ غَرَامِي أَسْوَدُهُ
أَحْبَبْتُ قِلَاكِ فَمُطْلَقُهُ * عِنْدِي عَذْبٌ وَمُقَيَّدُهُ (١)
إِنْ ضَلَّ حَنَانُكِ عَنْ قَلْبِي * فَأَنَا بِوُلُوعِي أَرْشِدُهُ
قَدْ بَاتَ دَلَالُكِ يَخْذُلُهُ * وَجَمَالُكِ كَانَ يُؤَيِّدُهُ
زِيدِي تِيهًا أَزْدَدْ كَلَفًا * كَلَفِي إِنْ رَثَّ أَجَدِّدُهُ (٢)
(شَوْقِي) إِنْ بِنْتُ يُضَاعِفُهُ * (صَبْرِي) إِنْ جُرْتُ يُؤَكِّدُهُ (٣)
خِلَّانِ هُمَا شَمْسَا فَلَكٍ * طَرْفِي مَعَ طَرْفِكِ يَرْصُدُهُ
فَصِلِي بِاللهِ وَلَوْ حُلُمًا * (مُضْنَاكِ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ)
وَعِدِيهِ الْيَوْمَ وَلَوْ كَذِبًا * الصَّبُّ يُمَاطِلُهُ غَدُهُ (٤)

١٧ - إسماعيل صبرى باشا (٦)

قال :

إِنْ سَئِمْتَ الْحَيَاةَ فَارْجِعْ إِلَى الْأَرْ * ضِ تَنَمْ آمِنًا مِنَ الْأَوْصَابِ (٧)

(١) قلاك : هجرك . (٢) كلفا : ولوعا وشوقا . يقول : كلما زدت تيها ودلالا ازداد بك هياما وحبا . رث : تقادم وبلى . (٣) شوقى : من الشوق ، وهو المعنى الظاهر من السياق ، والمراد الحقيقى بلفظه المرحوم (شوقى بك) أمير الشعراء فى العصر الحديث . بنت : بعدت . صبرى : من الصبر ، وهو المعنى الظاهر ، والمراد بلفظه المرحوم (إسماعيل باشا صبرى) الشاعر المعروف . جرت : ظلمت ، والجور هنا يراد به الهجر وادعاء النسيان . (٤) يقول إن (شوقى) و (صبرى) الشاعرين صديقان هما كشمسى فلك يرصدهما طرفى وطرفك . إيماء إلى سطوع شهرتهما فى الشعر وتعلقه بهما . (٥) يماطله : يسوفه و يباعده . (٦) ولد إسماعيل باشا صبرى سنة ١٨٥٤ م . وتعلم بالمبتديان والتجهيزية والادارة ، ثم أرسل إلى فرنسا ، فدرس الحقوق هناك وشغل فى مصر مناصب القضاء ، وجعل يترقى فيها إلى أن صار وكيل الحقانية . وقد شغف بالأدب لذاته ، وكان لرقة طبعه وظهوره على الأدب الفرنسى أثر فى رقة شعره وحسن ابتكاره و جمال نقده . له أسلوب عذب وحسن بصيرة و جمال قنى . مات سنة ١٩٢٣ م .
(٧) الأوصاب : جمع وصب بفتحتين ، المرض والوجع الدائم . ورجوعه إلى الأرض . لأنه خلق من ترابها .

تِلْكَ أُمٌّ أَحْنَى عَلَيْكَ مِنَ الْأُمِّ • الَّتِي خَلَّفَتْكَ لِلْأَتْعَابِ (١)

لَا تَخَفْ ؛ فَالْمَمَاتُ لَيْسَ بِمَاحٍ • مِنْكَ إِلَّا مَا تَشْتَكِي مِنْ عَذَابِ

كُلُّ مَيْتٍ بَاقٍ، وَإِنْ خَالَفَ الْعُنْـ • ـوَانُ مَا نُصَّ فِي غُضُونِ الْكِتَابِ (٢)

وَحَيَاةُ الْمَرْءِ اغْتِرَابٌ فَإِنْ مَا • تَ فَقَدْ عَادَ سَالِمًا لِلتُّرَابِ (٣)

وقال يناجي الدَّواة :

يَا دَوَاةُ اجْعَلِي مِدَادَكِ وِرْدًا • لِوُفُودِ الْأَقْلَامِ حِينًا فَحِينَا (٤)

وَلْيَكُنْ كَالزَّمَانِ حَالًا وَحَالًا • تَارَةً آسِنًا وَأُخْرَى مَعِينَا (٥)

أَكْرِمِي الْعِلْمَ وَامْنَحِي خَادِمِيهِ • مَاءَكِ الْغَالِيَ النَّفِيسَ الثَّمِينَا

وَابْذُلِي الصَّافِيَ الْمُطَهَّرَ مِنْهُ • لِمُدَاةِ السَّرَائِرِ الْمُرْشِدِينَا

وَإِذَا الظُّلْمُ وَالظَّلَامُ اسْتَعَانَا • يَوْمَ نَحْسٍ بِأَجْهَلِ الْجَاهِلِينَا

وَاسْتَمَدَّا مِنَ الشُّرُورِ مِدَادًا • فَاجْعَلِيهِ مِنْ قِسْمَةِ الظَّالِمِينَا

---

(١) أحنى : أعطف وأرفق ، والأم الأولى : الأرض . والثانية : الأم الحقيقية ذات الولد . والأتعاب : جمع تعب .

(٢) فى غضون الكتاب : فى أثنائه . هذا البيت بمثابة التدليل على البيت الذى قبله ؛ فانه قرر فى ذلك البيت أن الموت لا يمحو من الانسان شيئا ، اللهم إلا آلامه وأوجاعه . وفى هذا البيت يقول : إن كل ميت هو فى الواقع حى ، وإن كان الموت معروفا بأنه عدم الحياة ، وذلك كشأن العنوان إذا خالف فى الواقع ما نص عليه فى صلب الكتاب .

(٣) هذا البيت جار مجرى البيت الذى قبله ، وهو من أخر الشعر وأروعه .

(٤) الورد بكسر الواو : الماء الذى يورد .

(٥) الآسن : الراكد المتغير . والمعين بفتح الميم : الماء الجارى . يطلب إلى المداد أن تكون حاله كحال الزمان فى سعده ونحسه ، وفى صفوه وكدره .

* * *

وَإِذَا مُهْجَةُ الْحَمَائِمِ أَسْدَتْ * نُقْطَةً سِرُّهَا الزَّكِيُّ الْمَصُونَا (١)

فَاجْعَلِيهَا عَلَى الْمَوَدَّاتِ وَقْفًا * وَهَبِيهَا رَسَائِلَ الشِّيقِينَا (٢)

فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِقَلْبِكِ إِلَّا * مَا أَعَدَّ الإِخْلَاصُ لِلْمُخْلِصِينَا

فَاجْعَلِيهِ حَظِّي لِأَكْتُبَ مِنْهُ * شَرْحَ حَالِي لِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَا (٣)

وقال رحمه الله :

يَا مَوْتُ خُذْ مَا أَبْقَتِ الْـ * ـأَيَّامُ وَالسَّاعَاتُ مِنِّي

بَيْنِي وَبَيْنَكَ خَطْوَةٌ * إِنْ تَخْطُهَا فَرَّجْتَ عَنِّي

وقال :

وَلَمَّا الْتَقَيْنَا قَرَّبَ الشَّوْقُ جُهْدَهُ * شَجِيَّيْنِ فَاضَا لَوْعَةً وَعِتَابَا (٤)

كَأَنَّ صَدِيقًا فِي خِلَالِ صَدِيقِهِ * تَسَرَّبَ أَثْنَاءَ الْعِنَاقِ وَغَابَا

وقال فى ساعة التوديع :

أَتُرَى أَنْتَ خَاذِلِي سَاعَةَ التَّوْـ * ـدِيعِ يَا قَلْبُ فِي غَدٍ أَمْ نَصِيرِي؟

وَيْكَ! قُلْ لِي ، مَتَى أَرَاكَ يَحُنِّي * رَاضِيًا عَنْ مَكَانِكَ الْمَهْجُورِ؟

لَسْتَ بَعْضَ الْحُدَاةِ بَلْ أَنْتَ بَعْضِي * قِفْ قَلِيلًا ؛ فَلَسْتَ بِالْمَأْجُورِ (٥)

---

(١) المهجة : دم القلب . والحمائم : جمع حمامة . وأسدت هنا بمعنى استودعت . وذلك لأن الحمام معروف بالوداعة واللطف وطهر القلب . (٢) المودات بفتح الميم والواو وتشديد الدال ؛ جمع مودة . الشيقين : المشتاقين . (٣) حظى : نصيبى . (٤) شجيين : حزينين من شدة الشوق ، مثنى شجى (بتشديد الياء) . اللوعة : حرقة الوجد . (٥) الحداة بضم الحاء ، جمع حاد ؛ الذى يسوق الإبل و يغنى لها . يريد من قلبه أن يثبت فى مكانه الذى شجره ليسير فى ركاب الأحبة و يغنيهم ؛ وذلك كناية عن دوام خفقانه . وهو من المبالغات البديعة .

سَاعَةَ الْبَيْنِ قِطْعَةٌ أَنْتِ قُدَّتْ * لِلْمُحِبِّينَ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ؟ (١)

لَا تَحِينِي ! رُوحِي الفِدَاءُ لِمَا حِيـ * ـكِ غَدًا مِن صَحِيفَةِ الْمَقْدُورِ (٢)

وقال يتغزّل :

أَبْثُكِ مَا بِي فَإِنْ تَرْحَمِي * رَحِمْتِ أَخَا لَوْعَةٍ مَاتَ حُبَّا (٣)

وَأَشْكُو النَّوَى مَا أَمَرَّ النَّوَى * عَلَى هَائِمٍ إِنْ دَعَا الشَّوْقُ لَبَّا (٤)

وَأَخْشَى عَلَيْكِ هُبُوبَ النَّسِيـ * ـمِ وَإِنْ هُوَ مِنْ جَانِبِ الرَّوْضِ هَبَّا

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ بُرْهَةٍ * مِنَ الْعُمْرِ لَمْ تَلْقَنِي فِيكِ صَبَّا (٥)

تَعَالَيْ نُجَدِّدْ زَمَانَ الْهَنَاءِ * وَنَنْهَبْ لَيَالِيَهُ الْغُرَّ نَهْبَا (٦)

تَعَالَيْ أَذُقْ بِكِ طَعْمَ السَّلَامِ * وَحَسْبِي وَحَسْبُكِ مَا كَانَ حَرْبَا (٧)

وقال يتغزّل :

يَا رَاحَةَ الْقَلْبِ يَا شُغْلَ الْفُؤَادِ صِلِي * مُتَيَّمًا أَنْتِ فِي الْحَالَيْنِ دُنْيَاهُ (٨)

زِينِي النَّدِيَّ وَسِيلِي فِي جَوَانِبِهِ * لُطْفًا يَعُمُّ رَعَايَا اللُّطْفِ رَيَّاهُ (٩)

---

(١) البين : البعد والفراق . وقدت : قطعت .

(٢) حان الشيء يحين : قرب وقته . يقول : لا تقتربي يا ساعة الفراق ، روحي فداء لمن يمحوك غدا من الزمن .

(٣) اللوعة : حرقة الحزن والهوى . وأخوها : صاحبها .

(٤) النوى : البعد والفرقة . والهائم : العاشق . ولبى : أجاب . ودعا : دعاه .

(٥) البرهة : بضم الباء وفتحها القطعة من الزمن . ويريد بها هنا القطعة القصيرة . والصب : العاشق الشديد العشق .

(٦) الغر : جمع غراء بتشديد الراء : يريد الحسان .

(٧) السلام : ضد الحرب . ويريد بالسلام القرب والتواصل ، وبالحرب البعد والتنافر . وهذا شبيه بقول العباس بن الأحنف :

تعالى نجدد دارس العهد بيننا * كلانا على طول الجفاء ملوم

(٨) المتيم : الذى استذله الحب . وفى الحالين : أى فى حالى الوصل والهجر .

(٩) الندى : بتشديد الياء ، النادى . والريا بفتح الراء وتشديد الياء : الريح الطيبة الزكية .

رَيْحَانَةٌ أَنْتِ فِي صَحْرَاءَ مُجْدِبَةٍ * مِنَ الرَّيَاحِينِ حَيَّانَا بِهَا اللهُ

إِنْ غَابَ سَاقِي الطِّلَا (١) أَوْصَدَّ، لَا حَرَجٌ * هَذَا جَمَالُكِ يُغْنِينَا مُحَيَّاهُ

وقال متغزلًا :

أَقْصِرْ فُؤَادِي فَمَا الذِّكْرَى (٢) بِنَافِعَةٍ * وَلَا بِشَافِعَةٍ فِي رَدِّ مَا كَانَا

سَلَا الفُؤَادُ (٣) الَّذِي شَاطَرْتُهُ زَمَنًا * حَمْلَ الصَّبَابَةِ فَاخْفِقْ وَحْدَكَ الآنَا

هَلَّا أَخَذْتَ (٤) لِهَذَا اليَوْمِ أُهْبَتَهُ * مِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْبِحَ الأَشْوَاقُ أَشْجَانَا؟

لَهْفِي عَلَيْكَ قَضَيْتَ العُمْرَ مُقْتَحِمًا (٥) * فِي الوَصْلِ نَارًا وَفِي الهِجْرَانِ نِيرَانَا

ومن قوله فى التصوف :

يَا رَبِّ : أَيْنَ تُرَى تُقَامُ جَهَنَّمُ * لِلظَّالِمِينَ غَدًا وَلِلفُجَّارِ؟

لَمْ يَبْقَ عَفْوُكَ فِي السَّمَوَاتِ العُلَى * وَالأَرْضِ شِبْرًا خَالِيًا لِلنَّارِ

يَا رَبِّ : أَهْلِنِي لِفَضْلِكَ وَاكْفِنِي * شَطَطَ العُقُولِ وَفِتْنَةَ الأَفْكَارِ

وَمُرِ الوُجُودَ (٦) يَشِفُّ عَنْكَ لِكَيْ أَرَى * غَضَبَ اللَّطِيفِ وَرَحْمَةَ الجَبَّارِ

---

(١) الطلا بكسر الطاء : الخمر . والمحيا بضم الميم وتشديد الياء المفتوحة : الوجه .

(٢) أقصر : كف وأقلع .

(٣) سلا : هجر ونسى . يريد بالفؤاد فؤاد التى كانت تبادله الحب . والصبابة بفتح الصاد : العشق .

(٤) الأهبة بضم الهمزة وسكون الهاء : العدة . تقول : اتخذت للامر أهبته أى هيأت له أسبابه .

(٥) الأشجان : الهموم والأحزان ، واحدها شجن . يقول : هلا حسبت حساب هذا اليوم يوم القطيعة والهجران ، فأعددت له عدته قبل أن تندفع فى تيار العشق ، فلا ينقلب ما كنت تجده من الشوق هموما وأحزانا بما تعانى من القطيعة . (٥) اقتحم النار : أى رمى بنفسه فيها ، وهجم عليها .

(٦) شف الشيء يشف من باب ضرب : رق فظهر ما وراءه . اللطيف : المراد به هنا الذات الإلهية وكذلك الجبار .

يَا عَالِمَ الأَسْرَارِ حَسْبِي مِحْنَةً • عِلْمِي بِأَنَّكَ عَالِمُ الأَسْرَارِ (١)
لأُخَلِّقَنْ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي تَسَعُ الوَرَى • أَلَّا تُضَيِّقَ بِأَعْظَمِ الأَوْزَارِ (٢)

وقال يرثى (عمر) ابن المرحوم الشيخ على يوسف . وقد مات صغيرا :

يَا مَالِئَ العَيْنِ نُورًا وَالفُؤَادِ هَوًى • وَالبَيْتِ أُنْسًا ، تَمَهَّلْ أَيُّهَا القَمَرُ! (٣)
لَا تُخْلِ أُفْقَكَ ، يَخْلُفْكَ الظَّلَامُ بِهِ • وَالْزَمْ مَكَانَكَ ، لَا يَحْلُلْ بِهِ الكَدَرُ (٤)
فِي الحَيِّ قَلْبَانِ بَاتَا ، يَا نَعِيمَهُمَا ، • وَفِيهِمَا ، إِذْ قَضَيْتَ ، النَّارُ تَسْتَعِرُ (٥)
وَأَعْيُنٌ أَرْبَعٌ تَبْكِي عَلَيْكَ أَسًى • وَمِنْ بُكَاءِ الثَّكَالَى : السَّيْلُ وَالمَطَرُ (٦)
قَدْ كُنْتَ رَيْحَانَةً فِي البَيْتِ وَاحِدَةً • يَرُوحُ فِيهِ وَيَغْدُو نَفْحُهَا العَطِرُ (٧)
مَا كَانَ عَيْشُكَ فِي الأَحْيَاءِ مُخْتَصَرًا • إِلَّا كَمَا عَاشَ فِي أَكْمَامِهِ الزَّهَرُ (٨)
فَارْحَلْ تُشَيِّعُكَ الأَرْوَاحُ جَازِعَةً • فِي ذِمَّةِ اللهِ بَعْدَ القَبْرِ يَا عُمَرُ (٩)

---

(١) المحنة : البلية والمصيبة . يقول : يكفينى مصيبة علمى بأنك تعلم السر وما يخفى ، لأنك إذا مطلع على آثامى وأوزارى .

(٢) أخلق به أن يفعل كذا : أى ما أحقه بفعله . الأوزار : جمع وزر بكسر الواو وهو الإثم .

(٣) الهوى : الحب .

(٤) يخلفك : يحل محلك . ولا يحلل : لا يحل ، وقد فك الادغام لضرورة الشعر .

(٥) الحى : منازل القوم ، ويريد به بيت أبيه . والقلبان : قلب والده وقلب والدته . وبانعيمهما : أى فى حال حياة ولدهما . وقضيت : مت . وتستعر : تلتهب .

(٦) الأعين الأربع : عينا أبيه ، وعينا أمه . والأسى : الحزن . والثكالى : جمع ثاكل وهو الذى يفقد ولده . والمعنى أن أعين والديك تبكى من الحزن لفقدك ، ودموع الفاقدين أولادهم تشبه السيل والمطر فى تدفقه وانهماره .

(٧) كان ريحانة واحدة ، لأنه لم يكن لوالديه غيره . النفح : الرائحة . والعطر بفتح العين وكسر الطاء : الطيب الرائحة .

(٨) مختصرا : أى قصيرا . والأكمام : جمع كم بكسر الكاف . وهو الغلاف الذى يحيط بالزهرة . وهو لا يلبث أن ينشق ، فتخرج الزهرة . ويضرب بالزهر المثل فى قصر العمر .

(٩) تشيعك : تودعك . وجازعة : شديدة الحزن .

وله يحمس المصريين على لسان فرعون :

لَا القَوْمُ قَوْمِي، وَلَا الْأَعْوَانُ أَعْوَانِي • إِذَا وَنَى يَوْمَ تَحْصِيلِ العُلَا وَانِي (١)

وَلَسْتُ إِنْ لَمْ تُؤَيِّدْنِي فَرَاعِنَةٌ • مِنكُم، بِفِرْعَوْنَ عَالِي العَرْشِ وَالشَّانِ (٢)

* * *

لا تَقْرَبُوا النِّيلَ إِنْ لَمْ تَعْمَلُوا عَمَلًا • فَمَاؤُهُ العَذْبُ لَمْ يُخْلَقْ لِكَسْلَانِ

وقال فى مسامحة الصديق :

إِذَا خَانَنِي خِلٌّ قَدِيمٌ وَعَقَّنِي • وَفَوَّقْتُ يَوْمًا فِي مَقَاتِلِهِ سَهْمِي (٣)

تَعَرَّضَ طَيْفُ الوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ • فَكَسَّرَ سَهْمِي فَانْثَنَيْتُ وَلَمْ أَرْمِ

١٨ - الشيخ محمد عبد المطلب (٤)

قال فى احتفال الأمة المصرية بعيد النيروز سنة ١٩١٩ م، يفخر بمصر ويعدد مآثرها من قصيدة طويلة :

لَنَا ذِرْوَةُ المَجْدِ الَّذِي تَحْتَ ظِلِّهِ • تَنَاسَلَتِ الأَحْقَابُ وَاعْتَمَلَ الدَّهْرُ (٥)

---

(١) الأعوان : جمع عون وهو النصير . ووانى : قتر وضعف . وتحصيل العلا : نيل محامد الأمور .

(٢) الشان : الأمر، والمراد الذى عظم أمره، وسمت منزلته . (٣) عقه : عصاه ولم يبر به، وفوق السهم بتشديد الواو المفتوحة : جعل الوتر فى فوقه عند الرمى . والفوق بضم الفاء : هو رأس السهم، يريد أنه إذا عصاه ولم يبر به سدد إلى مقاتله السهم، كناية عن إيذائه والكيد له .

(٤) هو محمد بن عبد المطلب بن واصل، ولد ببلدة (باصونة) إحدى قرى مديرية جرجا، وأبواه عربيان ينتميان إلى أسرة تتصل بعشيرة من عشائر جهينة التى هى إحدى بطون قضاعة . تعلم فى الأزهر، وتخرج فى دار العلوم، وقد كان مدرسا للعلوم العربية بها . وكان واسع الاطلاع والمحفوظ من قصائد العرب المطولة، محيط العصبية لسلف هذه الأمة وتقاليدها وعلمائها وشعرائها، شديد الغيرة على العربية والاسلام، وتميز شعره بجزالة الألفاظ، ومتانة التراكيب، وقوة القافية . وقد تغنى فى شعره بأعلام البادية ومعالمها حتى لقب بالشاعر البدوى، على أن شعره قد حوى موضوعات عصرية شتى كوصف الحرب الكبرى وحديث السياسة المصرية وغيرها . ومات سنة ١٩٣١ م . عن ستين عاما . وله ديوان مطبوع . (٥) اعتمل الدهر : اضطرب .

لَنَا آيَةُ الْأَهْرَامِ يَتْلُو قَدِيمَهَا • حَدِيثُ اللَّيَالِي فَهْيَ فِي فَمِهَا ذِكْرُ
مَلَأْنَا بِهَا لَوْحَ الْوُجُودِ مَنَاقِبًا • إِذَا مَا خَلَا عَصْرٌ تَلَاهُ بِهَا عَصْرُ (١)
وَلِلْعِلْمِ مِنْ آثَارِنَا فِي جِبَالِنَا • عَلَى الدَّهْرِ آيَاتٌ بِهَا يَنْطِقُ الصَّخْرُ
وَلِلْمُلْكِ مِنَّا كُلُّ أَرْوَعَ نُظِّمَتْ • عَلَى تَاجِهِ الْأَفْلَاكُ وَالْأَنْجُمُ الزُّهْرُ (٢)
وَمِنَّا الَّذِي سَاقَ الْأَسَاطِيلَ شُرَّعًا • عَلَى الْبَحْرِ يَسْتَحْيِي لِصَوْلَتِهَا الْبَحْرُ (٣)
لَنَا كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَدَنِيَّةٍ • بِهَا تَعْمُرُ الْأَمْصَارُ وَالْبَلَدُ الْقَفْرُ (٤)
لَنَا فِي الْوَرَى حَقُّ الْمُعَلِّمِ لَوْ رَعَوْا • لَنَا ذِمَّةً وَالدَّهْرُ شِيمَتُهُ الْغَدْرُ
إِذَا اعْتَزَّ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ سَمَتْ بِنَا • مَكَارِمُ فِي طَيِّ الزَّمَانِ لَهَا نَشْرُ (٥)
بَنَيْنَا عَلَى آدَابِ عِيسَى وَأَحْمَدٍ • مَنَازِلَ عِزٍّ دُونَهَا يَقَعُ النَّسْرُ (٦)
كِلَانَا عَلَى دِينٍ بِهِ هُوَ مُؤْمِنٌ • وَلَكِنَّ خِذْلَانَ الْبِلَادِ هُوَ الْكُفْرُ
فَلَا يَحْسَبَنَّ النَّاسُ أَنَّا تَزَلْزَلَتْ • بِنَا قَدَمٌ أَوْ مَسَّ وَحْدَتَنَا الضُّرُّ

وقال من قصيدة له في المعلم :

بَنِي مِصْرَ مَا بَالُ الْمُعَلِّمِ كَاسِفًا • يُرَى النَّاسُ فِيهَا يَكْبُرُونَ وَيَصْغُرُ (٧)
سَبِيلُ النَّبِيئِينَ الْكِرَامِ سَبِيلُهُ • يَعُمُّ بِهِ الدُّنْيَا صَبَاحًا فَتُقْمِرُ (٨)

---

(١) مناقب : جمع منقبة أي مفخرة. (٢) الأروع : السيد الشهم .
(٣) شرعا : ضاربات بأشرعتها في الجو . الصولة : البطش . (٤) البلد القفر : الخالي من النبات . (٥) يريد أن لنا تاريخا مجيدا مطويا في السنين الخالية تنشر أخباره على الأيام . وهو مبعث العزة فينا كما يعتز غيرنا بالمخترعات الحديثة . (٦) النسر : طائر جارح لا يقع إلا على القمم العالية . (٧) كاسفا : حزينا . (٨) النبئين : جمع نبيء مهموز نبي . فتقمر : يريد فتضيء .

سَلُوا عَنْهُ جُنْحَ اللَّيْلِ كَمْ بَاتَ مُتْعِبًا • تَنَامُ حَوَالَيْهِ النُّجُومُ وَيَسْهَرُ (١)

سَلُوا عَنْهُ عَيْنًا قَرَّحَ السُّهْدُ جَفْنَهَا • يَخُطُّ عَلَيْهَا فِي الظَّلَامِ وَيَسْطُرُ

سَلُوا عَنْهُ جِسْمًا بَاتَ بِالسُّقْمِ نَاحِلًا • فَلَا الْبُرْءُ مَأْمُولٌ وَلَا هُوَ يُعْذَرُ

سَلُوا عَنْهُ أَسْفَارًا (٢) قَضَى اللَّيْلَ بَيْنَهَا • غَرِيبًا عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلُوهُ حُضَّرُ (٣)

سَلُوا عَنْهُ قَلْبًا بَاتَ يَخْفِقُ رَحْمَةً • عَلَى فِتْيَةٍ مِنْ حَوْلِهِ تَتَضَوَّرُ (٤)

فَإِنْ مَدَّ لِلدُّنْيَا يَدًا يَسْتَمِدُّهَا • لَهُمْ، عَنْهُ وَلَّتْ وَهْيَ غَضْبَى تَشَزَّرُ (٥)

فَيَا وَيْحَهُ كَمْ يَشْتَكِي فِي حَيَاتِهِ • وَكَمْ يَتَلَقَّى مِنْ بَلَاءٍ فَيَصْبِرُ

وَلَمْ تَحْيَ إِلَّا بِالْمُعَلِّمِ أُمَّةٌ • وَلَا سَادَ إِلَّا بِالْمُعَلِّمِ مَعْشَرُ

فَإِنْ لَمْ يَطِبْ بِالْعَيْشِ نَفْسًا وَلَمْ يَكُنْ • لَهُ بَيْنَ أَهْلِيهِ الْمَقَامُ الْمُوَقَّرُ

رَأَيْتَ شَبَابًا يُطْفِئُ الْجَهْلُ نُورَهُ • وَنَشْأً إِذَا هَمُّوا إِلَى الْمَجْدِ قَصَّرُوا (٥)

١٩ - حافظ إبراهيم (٦)

قال يصف الشمس :

لَاحَ مِنْهَا حَاجِبٌ لِلنَّاظِرِينْ • فَنَسُوا بِاللَّيْلِ وَضَّاحَ الْجَبِينْ (٧)

وَتَحَتْ آيَتُهَا آيَتَهُ • وَتَبَدَّتْ فِتْنَةً لِلْعَالَمِينْ

---

(١) جنح الليل : ظلامه • تنام النجوم : يريد تغيب • (٢) أسفارا : كتبا ، جمع سفر بكسر السين • حضر : جمع حاضر • (٣) تتضور : تتلوى من الجوع • (٤) يستمدها : يطلب منها المدد أى المعونة • تشزر بحذف إحدى التاءين : تنظر إليه بغضب وزراية • (٥) النشء : جمع ناشئ وهو الصغير • (٦) هو المرحوم حافظ بك إبراهيم ، وله حوالى سنة ١٨٧٢ م ؛ وتعلم فى المدرسة الحربية ، ثم تخرج ملازما وسافر إلى السودان ، ثم أحيل إلى المعاش ، ثم عين رئيسا للقسم الأدبى بدار الكتب ، وتوفى سنة ١٩٣٢ م • وكان شاعرا جيد الأسلوب ، قوى اللفظ ، موفقا فى الاجتماعيات ، ملهما الشعور الوطنى بما ينشئ من قصائده السياسية • (٧) وضاح الجبين : القمر •

نظرَ ابراهامُ فيها نظرةً • فأرى الشكَّ وما ضلَّ اليقينْ (١)

قالَ : ذا ربِّى ، فلمّا أفلتْ • (قالَ : إنّى لا أحبُّ الآفلينْ) (٢)

ودعا القومَ إلى خالقها • وأتى القومَ بسلطانٍ مبينْ (٣)

ربِّ إنّ الناسَ ضلّوا وغووا • ورأوا فى الشمسِ رأىَ الخاسرينْ

خشعتْ أبصارُهم لمّا بدتْ • وإلى الأذقانِ خرّوا ساجدينْ

نظروا آياتها مبصرةً .. • فعصوا فيها كلامَ المرسلينْ .

نظروا بدرَ الدجى مرآتها • تتجلّى فيه حينًا بعدَ حينْ .

ثمّ قالوا : كيفَ لا نعبدُها • هلْ لها فيما ترى العينُ قرينْ ؟

هى أمُّ الأرضِ فى نسبتها • هى أمُّ الكونِ والكونُ جنينْ (٤)

هى أمُّ النارِ والنورِ معًا • هى أمُّ الريحِ والماءِ المعينْ (٥) .

هى طلعُ الروضِ نورًا وجنًى • هى نشرُ الوردِ ، طيبُ الياسمينْ (٦)

هى موتٌ وحياةٌ للورى • وضلالٌ وهدًى للغابرينْ

صدقوا لكنّهم ما علموا • أنّها خلقٌ سيبلى بالسنينْ .

---

(١) ابراهام : لغة فى إبراهيم ، وهو نبى الله إبراهيم الخليل عليه السلام . ويشير بذلك إلى ما قصه الله تعالى فى القرآن فى سورة الأنعام عن إبراهيم عليه السلام ؛ قال تعالى : "فلما رأى الشمس بازغة" الآية . وقوله : "فأرى الشك" ... الخ ، أى أظهر لقومه أنه شاك فى الإله لكى يهديهم اليه وهو متيقن وجوده .

(٢) أفلت : غابت . (٣) السلطان : الحجة .

(٤) يشير بقوله : « هى أم الأرض » ، الى ما يقال من أن الأرض كانت جزءا من الشمس ثم انفصلت وبرد ظاهرها بتطاول الزمن . (٥) المعين : النابع من العيون .

(٦) يريد « بالطلع » : ما يبدو من الثمرة فى أول ظهورها . ونور النبات بفتح النون : زهره . والجنى ، ما يجنى من الشجر . ونشر الورد . رائحته المنتشرة منه .

أَإِلٰهٌ لم يُنَزِّهْ ذَاتَهُ • عن كُسُوفٍ؟ بِئْسَ زَعْمُ الجاهِلِينْ
إنَّما الشمسُ وَمَا فِي آيِهَا • مِنْ مَعَانٍ لَمَعَتْ لِلْعَارِفِينْ :
حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ قَدْ مَثَّلَتْ • قُدْرَةَ اللهِ لِقَوْمٍ عَاقِلِينْ

وقال على لسان اللغة العربية تنعى حظّها بين أهلها :

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي • وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي (١)
رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي • عَقُمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي (٢)
وَلَدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسٍ • رِجَالًا وَأَكْفَاءً وَأَدَتْ بَنَاتِي (٣)
وَسِعَتْ كِتَابَ اللهِ لَفْظًا وَغَايَةً • وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ (٤)
فَكَيْفَ أَضِيقُ اليَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ • وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ
أَنَا البَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ • فَهَلْ سَاءَلُوا الغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتِي
فَيَا وَيْحَكُمْ أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِنِي • وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أَسَاتِي (٥)
فَلَا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنَّنِي • أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي (٦)

---

(١) رجعت لنفسى : أى تأملت . والحصاة : الرأى والعقل . واحتسبت حياتى : عددتها عند الله فيما يدخر . يقول على لسان اللغة العربية : إننى عدت إلى نفسى وفكرت فيما آل إليه أمرى ، فأسأت الظن بمقدرتى ، وكدت أصدق ما رمونى به من القصور ، وناديت الناطقين بى أن ينصرونى فلم أجد منهم سميعا ، فادخرت حياتى عند الله .

(٢) العداة : الأعداء . يقول : اتهمونى بأنى لا ألد على حين أنى فى ريعان شبابى . وليتنى كنت كما قالوا فلا يحزننى قولهم . ويكنى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجمودها .

(٣) يريد «بالعرائس» الألفاظ المجلوة الحسنة . ووأد البنت : دفنها حية .

(٤) الآى : جمع آية .

(٥) الأساة : جمع الآسى ، وهو الطبيب .

(٦) تكلونى ، تتركونى . وتحين : تحل .

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة • وكم عز أقوام بعز لغات (١)

أتوا أهلهم بالمعجزات تفننا • فيالبتكم تأتون بالكلمات

أيطربكم من جانب الغرب ناعب • ينادي بوأدي في ربيع حياتي (٢)

ولو تزجرون الطير يوما علمتم • بما تحته من عثرة وشتات (٣)

سقى الله في بطن الجزيرة أعظما • يعز عليها أن تلين قناتي (٤)

حفظن ودادي في البلى وحفظته • لهن بقلب دائم الحسرات

وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرقا • حياء بتلك الأعظم النخرات (٥)

أرى كل يوم بالجرائد مزلقا • من القبر يدنيني بغير أناة (٦)

وأسمع للكتاب في مصر ضجة • فأعلم أن الصائحين نعاتي (٧)

أيهجرني قومي — عفا الله عنهم — • إلى لغة لم تتصل برواة (٨)

---

(١) يقال : هو في منعة ، أي في قوم يمنعونه ويحمونه .

(٢) الناعب : الصوت بما هو مستكره . وربيع الحياة : أيام الشباب والقوة .

(٣) زجر الطير ، هو أن ترمي الطائر بحصاة أو تصيح به ، فإن ولاك في طيرانه ميامنه تفاءلت به خيرا ، وإن ولاك مياسره تطيرت منه . والعثرة : السقوط . والشتات : التفرق . يقول : لو استنبأتم الغيب بزجر الطير ، كما كان يفعل العرب ، لعلمتم ما يجر دقى عليكم من السقوط والانحلال .

(٤) القناة الرمح . ولينها : كناية عن الضعف . ويريد «بالأعظم» من دفن في الجزيرة من العرب الأولين .

(٥) النخرات : البالية المتفتتة .

(٦) المزلق : مكان الازلاق ، أي السقوط والزلل . والأناة : التأني والابطاء . ويريد وصف لغة الجرائد إذ ذاك بالضعف .

(٧) النعاة : جمع ناع ، وهو المخبر بالموت .

(٨) لم تتصل برواة ، أي لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية التي تحفظها من الغير كما هو الشأن في العربية . ويشير إلى تلك اللغة المرقعة التي كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة ، وكان ذلك في سنة ١٩٠٣ .

صرَتْ لُوثَةُ الأَفْرَنْجِ فيها كما سَرَى * لُعَابُ الأَفَاعِي فى مَسِيلِ فُرَاتِ (١)

فجاءَتْ كثوبٍ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً * مُشَكَّلَةَ الأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتِ

إلى مَعْشَرِ الكُتَّابِ وَالجَمْعُ حَافِلٌ * بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شِكَاتِي (٢)

فإمَّا حَيَاةٌ تَبْعَثُ المَيْتَ فى البِلَى * وَتُنْبِتُ فى تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَاتِي (٣)

وإمَّا مَمَاتٌ لا قِيَامَةَ بَعْدَهُ * مَمَاتٌ لَعَمْرِي لَمْ يُقَسْ بِمَمَاتِ

ومن قصيدة له دعاها « غادة اليابان » ضمّنها غرامه بغادة يابانية ، وأشاد بالشجاعة التى ظهرت بها أمة اليابان فى الحرب بينها وبين روسيا :

لَا تَلُمْ كَفِّي إذَا السَّيْفُ نَبَا * صَحَّ مِنِّي العَزْمُ وَالدَّهْرُ أَبَى (٤)

رُبَّ سَاعٍ مُبْصِرٍ فِي سَعْيِهِ * أَخْطَأَ التَّوْفِيقَ فِيمَا طَلَبَا

مَرْحَبًا بِالخَطْبِ يَبْلُونِي إذَا * كَانَتِ العَلْيَاءُ فِيهِ السَّبَبَا (٥)

عَقَّنِي الدَّهْرُ وَلَوْلَا أَنَّنِي * أُوثِرُ الحُسْنَى عَقَقْتُ الأَدَبَا (٦)

لِيهِ يَا دُنْيَا اعْبِسِي أَوْ فَابْسِمِي * لَا أَرَى بَرْقَكِ إِلَّا خُلَّبَا (٧)

أَنَا لَوْلَا أَنَّ لِي مِنْ أُمَّتِي * خَاذِلًا مَا بِتُّ أَشْكُو النُّوَبَا

أُمَّةٌ قَدْ فَتَّ فِي سَاعِدِهَا * بُغْضُهَا الأَهْلَ وَحُبُّ الغُرَبَا (٨)

(١) اللوثة (بالضم) : عدم الإبانة . ولعاب الأفاعى : سمها . والفرات : الماء العذب .

(٢) الشكاة : الشكوى . (٣) تبعث الميت : تحييه . والرموس : القبور ، الواحد رمس . والرفات : كل ما تكسر وبلى ؛ يريد ما بقى من الجسد بعد الموت . (٤) نبا السيف ؛ كل وارتد . (٥) يبلونى : يختبرنى . (٦) عقه : ترك الإحسان إليه ولم يبر به . يقول إن الدهر لم ينصفنى ، والجانى على هو أدبى ، ولولا أننى أوثر الإحسان لهجرت الأدب الذى كان حبيبا فى شقائى . (٧) البرق الخلب : الذى يطمع الناس فى مطره ويخلفهم .

(٨) فت فى ساعده . عبارة يكنى بها عن الإضعاف وإبهان القوى .

تَعْشَقُ الْأَلْقَابَ فِي غَيْرِ الْعُلَا • وَتُفَدِّي بِالنُّفُوسِ الرُّتَبَا

وَهْيَ وَالْأَحْدَاثُ تَسْتَهْدِفُهَا • تَعْشَقُ اللَّهْوَ وَتَهْوَى الطَّرَبَا (١)

لَا تُبَالِي لَعِبَ الْقَوْمُ بِهَا • أَمْ بِهَا صَرْفُ اللَّيَالِي لَعِبَا (٢)

لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّي قِصَّةً • ذَاتَ شَجْوٍ وَحَدِيثًا عَجَبَا (٣)

كُنْتُ أَهْوَى فِي زَمَانِي غَادَةً • وَهَبَ اللهُ لَهَا مَا وَهَبَا (٤)

ذَاتَ وَجْهٍ مَزَجَ الْحُسْنُ بِهِ • صُفْرَةً تُنْسِي الْيَهُودَ الذَّهَبَا

حَمَلَتْ لِي ذَاتَ يَوْمٍ نَبَأً • لَا رَعَاكَ اللهُ يَا ذَاكَ النَّبَا

وَأَتَتْ تَخْطِرُ وَاللَّيْلُ فَتِيٌّ • وَهِلَالُ الْأُفْقِ فِي الْأُفْقِ حَبَا (٥)

ثُمَّ قَالَتْ لِي بِثَغْرٍ بَاسِمٍ • نَظَمَ الدُّرَّ بِهِ وَالْحَبَبَا: (٦)

نَبِّئُونِي بِرَحِيلٍ عَاجِلٍ • لَا أَرَى لِي بَعْدَهُ مُنْقَلَبَا (٧)

وَدَعَانِي مَوْطِنِي أَنْ أَغْتَدِي • عَلَّنِي أَقْضِي لَهُ مَا وَجَبَا (٨)

نَذْبَحُ الدُّبَّ وَنَفْرِي جِلْدَهُ • أَيَظُنُّ الدُّبُّ أَلَّا يُغْلَبَا؟ (٩)

---

(١) والأحداث تستهدفها : أى أن حوادث الدهر تجعلها هدفا لها ترميه .

(٢) يريد « بالقوم » : الإنجليز . وصروف الليالى : غيرها ونوائبها ، أى أنها لا تعبأ بحوادث الزمان تصيبها من المحتلين أو من الدهر . (٣) يقال شجاه شجوا ، إذا هيج أحزانه وشوقه .

(٤) الغادة : المرأة الناعمة الليّنة . (٥) والليل فتى : أى فى أوله . وشبه الهلال فى أول طلوعه بالطفل الذى يحبو فى مهده . (٦) الحبب : الفقاقيع التى تعلو سطح الماء ، شبه بها الأسنان فى بياضها . (٧) المنقلب : العودة والرجوع . (٨) أغتدى : أى أبادر مبكرة للدفاع عنه .

(٩) الدب : رمز تعرف به روسيا ، كما تعرف انجلترا بالأسد ، واليابان بالتنين ، وألمانيا بالنسر ؛ وقرى : نشق . ويشير بهذا البيت الى الحرب التى نشبت بين اليابان وروسيا فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م . وانتهت بالصلح فى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٥ م .

قُلْتُ وَالآلامُ تَفْرِي مُهْجَتِي • وَيْكِ! مَا نَصْنَعُ فِي الحَرْبِ الظِّبَا؟ (١)

مَا عَهِدْنَاهَا لِظَبْيٍ مَسْرَحًا • يَبْتَغِي مَلْهًى بِهِ أَوْ مَلْعَبَا

لَيْسَتِ الحربُ نُفُوسًا تُشْتَرَى • بِالتَّمَنِّي أَوْ عُقُولًا تُسْتَبَى (٢)

أَحَسِبْتِ القَدَّ مِنْ عُدَّتِهَا • أَمْ ظَنَنْتِ اللَّحْظَ فِيهَا كَالشَّبَا؟ (٣)

فَسَلِينِي، إِنَّنِي مَارَسْتُهَا • وَرَكِبْتُ الهَوْلَ فِيهَا مَرْكَبَا (٤)

وَتَقَحَّمْتُ الرَّدَى فِي غَارَةٍ • أَسْدَلَ النَّقْعُ عَلَيْهَا هَيْدَبَا (٥)

قَطَّبَتْ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا لَنَا • فَرَأَيْتُ المَوْتَ فِيهَا قَطَّبَا (٦)

جَالَ عِزْرَائِيلُ فِي أَنْحَائِهَا • تَحْتَ ذَاكَ النَّقْعِ يَمْشِي الهَيْدَبَى (٧)

فَدَعِيهَا لِلَّذِي يَعْرِفُهَا • وَالْزَمِي يَا ظَبْيَةَ البَانِ الخِبَا (٨)

فَأَجَابَتْنِي بِصَوْتٍ رَاعِبِي • وَأَرَتْنِي الظَّبْيَ لَيْثًا أَغْلَبَا: (٩)

إِنَّ قَوْمِي اسْتَعْذَبُوا وِرْدَ الرَّدَى • كَيْفَ تَدْعُونِي أَلَّا أَشْرَبَا؟

---

(١) الظبا : الظباء ، وقصر للشعر . (٢) تسبى : تؤسر بالحب .

(٣) القد : القامة . والشبا : جمع شباة ، وهي حد السنان . (٤) مارستها : أي اشتركت فيها .

(٥) تقحمت الردى : رميت بنفسي في غمرته . والنقع : الغبار . والهيدب : السحاب المتدلي من أسافله . وإثارة الغبار وكثرته وارتفاعه في الحرب ، كناية عن شدتها وكثرة الكر والفر فيها .

(٦) التقطيب : العبوس . والضمير في (قطب) للغارة . (٧) الهيدبى (بالمعجمة والمهملة) : نوع من المشي فيه جد . ويشير بهذا البيت إلى كثرة ما تخطفه عزرائيل من الأرواح في هذه الحرب .

(٨) البان : شجر سبط القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، تألفه الظباء . والخبا (بالقصر) : الخباء (بالمد) وقصر للشعر . وهو في الأصل : البيت من وبر أو صوف ، ويريد به البيت عامة .

(٩) راعني : أفزعني . والأغلب من السباع : الغليظ الرقبة ، وهي علامة للقوة . يقول : إنها عجبت من تنقصه لها ، وأنها لا تفضل الحرب فأجابته بصوت أفزعه لشدته وقسوته ، وأضحالت من ظبي وادع إلى أسد قوي .

أَنَا يَابَانِيَّةٌ لَا أَنْثَنِي * عَنْ مُرَادِي أَوْ أَذُوقَ الْعَطَبَا (١)

أَنَا إِنْ لَمْ أَحْمِ نِيرَ الرُّمْحِ وَلَمْ * تَسْتَطِعْ كَفَّايَ تَقْلِيبَ الظُّبَا (٢)

أَخْدُمُ الْجَرْحَى وَأَقْضِي حَقَّهُمْ * وَأُوَارِي فِي الْوَغَى مَنْ نُكِبَا (٣)

هَكَذَا (الْمِيكَادُ) قَدْ عَلَّمَنَا * أَنْ نَرَى الْأَوْطَانَ أُمًّا وَأَبَا (٤)

مَلِكٌ يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ * أَنْهَضَ الشَّرْقَ فَهَزَّ الْمَغْرِبَا

وَإِذَا مَارَسْتَهُ أَلْفَيْتَهُ * حُوَّلًا فِي كُلِّ أَمْرٍ قُلَّبَا (٥)

كَانَ وَالتَّاجُ صَغِيرَيْنِ مَعًا * وَجَلَالُ الْمُلْكِ فِي مَهْدِ الصِّبَا

فَغَدَا هَذَا سَمَاءً لِلْعُلَا * وَغَدَا ذَاكَ فِيهَا كَوْكَبَا

بَعَثَ الْأُمَّةَ مِنْ مَرْقَدِهَا * وَدَعَاهَا لِلْعُلَا أَنْ تَدْأَبَا (٦)

فَسَمَتْ لِلْمَجْدِ تَبْغِي شَأْوَهُ * وَقَضَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَأْرَبَا (٧)

---

(١) العطب : الهلاك .

(٢) الظبا : جمع ظبة (بضم الأول) وهي حد السيف أو السنان .

(٣) الوغى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة .

(٤) الميكادو : لقب لملك اليابان .

(٥) الحول : الشديد الاحتيال ، لا تؤخذ عليه طريق الا نفذ في أخرى . والقلب : البصير بتقلب الأمور .

(٦) تدأب : تجد في طلبها .

(٧) المأرب : الغاية .

٢٠ - شـــوقي (١)

قال من قصيدة له يصف فيها دِمَشق :

آمنتُ بالله واستثنيتُ جنّتَهُ • دِمَشْقُ رَوْحٌ وجَنّاتٌ وَرَيْحانُ

قالَ الرِّفاقُ وقد هبّتْ خمائلُها • الأرضُ دارٌ، لها (الفيحاءُ) بُسْتانُ (٢)

جَرَى وَصَفّقَ يَلْقانا بِها (بَرَدَى) • كما تلقّاكَ دُونَ الخُلْدِ رِضْوانُ (٣)

دَخَلْتُهَا وحَواشيها زُمُرُّدَةٌ • والشمسُ فَوْقَ لُجَيْنِ الماءِ عِقْيانُ (٤)

والحُورُ فى (دُمّرٍ) أو حول (هامَتِها) • حُورٌ كَواشِفُ عَنْ ساقٍ وولْدانُ (٥)

و(رَبْوَةُ) الوادِ فى جِلبابِ رَاقِصَةٍ • السـاقُ كاسِيَةٌ والنحرُ عُرْيانُ

والطّيرُ تَصْدَحُ مِنْ خَلْفِ العُيونِ بها • وَللعيُون كما لِلطّيرِ الحانُ

وَأَقْبلتْ بالنباتِ الأرضُ مُخْتَلِفًا • أَنْوَاعُه فَهْو أَصْباغٌ وَأَلْوانُ (٦)

---

(١) هو أحمد شوقي بك ابن أحمد شوقي بك ولد بالقاهرة ونشأ فيها . على أن أصله ، كما يحدث هو عن نفسه ، عربي ، تركي ، يوناني ، جركسي . وكانت نشأته في كنف بيت الملك . وقد تقدم في التعلم حتى دخل مدرسة الحقوق صغير السن . فلبث فيها سنتين ، ثم أنشئ بها قسم للترجمة فلبث فيه سنتين أخريين . وحصل على الاجازة النهائية . ثم أوفده المرحوم الخديو توفيق على نفقته إلى فرنسا ليدرس الحقوق والآداب . فلما عاد ألحقه بمعيته ، فلبث في المعية الخديوية حتى نشبت الحرب العظمى في سنة ١٩١٤ فترك مصر وعاش في أسبانيا . ثم عاد إلى مصر .

وهو أشهر شعراء هذا العصر . ومن أطولهم نفسا ، وأكثرهم تصرفا في فنون الشعر حتى لقد اصطلح جمهور الأدباء في العالم العربي على تلقيبه (بأمير الشعراء) . توفي إلى رحمة الله في سنة ١٩٣٢ م .

(٢) الفيحاء : دمشق . (٣) بردى : نهر دمشق . (٤) اللجين بضم اللام وفتح الجيم : الفضة . والعقيان : الذهب الخالص . (٥) دمر ضاحية دمشق . الحور (الأولى) : شجر عظيم يشبه السرو . والحور (الثانية) : جمع حوراء . وهي المرأة في عينها حور ، أي شدة بياضها مع شدة سوادها ، والمراد بالحور : الحسان . (٦) أنوافه : جمع نوف بالضم ، نوع من النبات . والمراد هنا الزهر .

وَقد صَفَى (بَرَدَى) للرِّيح فابتَرَدَت • لَدَى مُسَتَوِرِ حَوَاشِيهِنَّ أَفنَانُ (١)

ثم انثنَت لم يَزُل عنها البِلَالُ ولا • جَفَّتْ مِنَ الماءِ أَذيالٌ وأَردَانُ (٢)

وقال يتغـــزل :

تَأتِي الدَّلالَ سَجِيَّـــةً وتَصَنُّعًا • وأراكَ فى حالَىْ دَلالِكَ مُبْـــدِعا

نَهْ كَيْفَ شِئْتَ فما الجَمَالُ بحاكِمٍ • حتى يُطَاعَ على الدَّلالِ ويُسمَعا

لكَ أن يُرَوِّعَكَ الوُشَاةُ من الهَوَى • وعلىَّ أن أهْـوَى الغـزالَ مُرَوَّعا

قالوا : لقد سَمِعَ الغزالُ لمن وَشَى • واقول : ما سَمِعَ الغَزَالُ ولا وَعَى

أنا مَن يُحِبُّـــكَ فى نِفارِكَ مُؤنِسًا • ويُحِب تِيهَكَ فى نِفـارِكَ مُطمِعَا

قدمتُ بين يَدَىَّ أيامَ الهوَى • وجعلتُها أَمَلًا عليـــكَ مُضَيَّعَا

وصَدَقتُ فى حبِّى فلستُ مُبالِيًا • ان أَمْنَعَ الدنيا به او أَمْنَعَا

وقال يتغزل أيضا :

رُدَّتِ الرُّوحُ على المُضْنَى مَعَكْ • أحسنُ الأيامِ يومٌ أَرْجَعَكْ (٣)

مَرْ من بُعدِكَ ما رَوَّعَنى • أتُرَى يا حُلْوُ بُعدِى رَوَّعَكْ؟

كم شَكَوْتُ البَيْنَ بالليل إلى • مَطْلَعِ الفَجْرِ عسى أن يُطْلِعَكْ

وبَعَثتُ الشوقَ فى ريحِ الصَّبا • فشكا الحُرْقَةَ مِمَّا استودَعَكْ

يا نَعيمى وعَذَابى فى الهَوَى • بَعْـذُولى فى الهوَى ما جَمَّعَكْ؟

أنتَ رُوحِى، ظَلَمَ الواشى الذى • زَعَمَ القلبَ سَلَا أو ضَيَّعَكْ (٤)

---

(١) ابتردت : اغتسلت . (٢) البلال : أى البلل . أردان : جمع ردن (بضم الراء وسكون الدال) وهو الكم . (٣) ضنى الرجل على وزن علم : مرض فتمكن منه الضعف والهزال .

(٤) سلا : سلاك أى نسيك .

مَوقِعى عندك لا أعلَمُه • آهِ لو تَعلم عندى موقِعَك
أرجَفُوا أنَّك شاكٍ مُوجَعٌ • لَيتَ لى فوقَ الضَّنا ما أوجَعَك
نامتِ الأعيُنُ إلّا مُقْلةً • تَسكُب الدَّمعَ وتَرْعَى مَضْجَعَك

وقال يصف الطبيعة فى طريقه إلى الآستانة قادما من أوربا :

تلك الطَّبيعةُ قِفْ بنا يا سارِى • حتى أُريكَ بَدِيعَ صُنْعِ البارِى
الأرضُ حَوْلَك والسماء اهتزَّتا • لروائعِ الآياتِ والآثارِ
من كلِّ ناطقةِ الجَلالِ كأنَّها • أمُّ الكتابِ على لسانِ القارِى (١)
دَلَّت على مَلِكِ الملوك فلم تَدَعْ • لأدلَّةِ الفُقَهاءِ والأحْبارِ (٢)
مَنْ شَكَّ فيه فنظرةٌ فى صُنْعِه • تَمْحو أثيمَ الشكِّ والإنكارِ

* * *

كُشِفَ الغِطاءُ على (الطرول) وأشرقَتْ • منه الطبيعةُ غيرَ ذاتِ سِتارِ
شبهتُها (بِلْقِيسَ) فوق سَرِيرِها • فى نَضرةٍ ومواكبٍ وجَوارِى
أو (بابن داودٍ) وواسعِ مُلكِهِ • ومَعالِمٍ للعزِّ فيه كبارِ (٣)
هُوجُ الرياحِ خَواشِعٌ فى بابه • والطيرُ فيه نَواكِسُ المِنْقارِ (٤)

* * *

قامت على ضاحى الجِنانِ كأنَّها • رِضْوانُ يُزجِى الخُلدَ للأبْرارِ (٥)
كم فى الخمائلِ، وهْى بعضُ إمائِها، • من ذاتِ خَلْخالٍ وذاتِ سِوارِ (٦)

(١) أم الكتاب : فاتحته . (٢) الأحبار : جمع حبر وهو العالم وقيل الصالح من العلماء .
(٣) المعالم : جمع معلم وهو مايستدل به على الطريق من أثر ونحوه . (٤) هوج : جمع هوجاء ، والريح الهوجاء التى لا تستوى فى هبوبها وتقلع البيوت . (٥) الضاحى : المكان البارز . يزجى : يسوق ، يستحث . (٦) الإماء : الجوارى .

وحَسِيرةٍ عنها الثيابُ وبَضَّةٍ * فى النَّاعِماتِ تَجُرُّ فَضْلَ إزارِ (١)

وضَحُوكِ سِنٍّ تملأ الدنيا سَنًى * وغَرِيقةٍ فى دَمعِها المِدْرَارِ

ووحيدةٍ بالنَّجدِ تشكو وَحْشَةً * وكثيرةِ الأترابِ بالأغْوارِ (٢)

* * *

ولقد تَمُرُّ عَلَى الغَدِيرِ تَخَالُهُ * وَالنَّبْتَ مرآةً زَهَتْ بِإطَارِ (٣)

حُلْوُ التَّسَلْسُلِ موْجُهُ وَخَرِيرُهُ * كَأَنَامِلٍ مَرَّتْ عَلَى أَوْتَارِ

مَدَّتْ سَوَاعِدَ مائه وتألَّقتْ * فيها الجواهِرُ مِنْ حَصًى وَجِمَارِ (٤)

يَنْسَابُ فى مُخْضَلَّةٍ مُبْتَلَّةٍ * مَنسوجةٍ مِنْ سُنْدُسٍ وَنُضَارِ (٥)

زَهْراءَ عَوْنَ العَاشِقِينَ عَلَى الهَوَى * مُخْتَارَةَ الشعراءِ فِى آذارِ

نَامَ الجَلِيدُ بِهَا وَسَالَ كَأَنَّهُ * دَمْعُ الصَّبَابَةِ بَلَّ غُصْنَ عِذَارِ

وَتَرَى السَّمَاءَ ضُحًى وَفِى جُنْحِ الدُّجَى * مُنْشَقَّةً عَنْ أَنْهُرٍ وَبِحَارِ (٦)

فِى كُلِّ نَاحِيَةٍ سَلَكْتَ وَمَذْهَبٍ * جَبَلَانِ مِنْ صَخْرٍ وَمَاءٍ جارِى

وقال فى وصف الطيارة، وهذا من أبرع الكلام :

نِصْفُهُ طَيْرٌ وَنِصْفُ بَشَرٌ * يَا لَهَا إحْدَى أَعَاجِيبِ القَضَاءْ!

حَمَلَ الفولاذُ رِيشًا وَجَرَى * فى عِنَانَيْنِ لَهُ : نَارٍ وَمَاءْ

وَجَنَاحٍ غَيْرِ ذِى قَادِمَةٍ * كَجَنَاحِ النَّحْلِ مَصْقُولٍ سَوَاءْ

---

(١) الإزار : الملحفة وكل ما ستر . (٢) النجد : ما ارتفع من الأرض . الغور : القعر من كل شىء . (٣) إطار الشىء : كل ما أحاط به . والمعنى أن الغدير بما استدار على حافته من الزهر كأنه مرآة لها إطار . (٤) جمار : جمع جمرة وهى الحصى . (٥) أخضل الشىء : صار ندياً بليلا . نضار : الذهب . (٦) الدجى : الظلمة أو سواد الليل .

وَذُنابَى ، كُلُّ ريحٍ مَسَّتْهَا * مَسَّهُ صَاعِقَةٌ من كَهْرَبَاهْ

يَتَرَاءَى كَوْكَبًا ذَا ذَنَبٍ * فَإِذَا جَدَّ فَسَهْمًا ذَا مَضَاهْ

فَإِذَا جَازَ الثُّرَيَّا لِلثَّرَى * جَرَّ كَالطَّاوُوسِ فِي ذَيْلِ الخُيَلَاهْ

ومن قصيدة له دعاها : (الأندلس الجديدة) :

يا أُخْتَ أَنْدَلُسٍ عَلَيْكِ سَلَامُ (١) * هَوَتِ الخِلَافَةُ عَنْكِ وَالإِسْلَامُ

نَزَلَ الهِلَالُ عَنِ السَّمَاءِ فَلَيْتَهَا * طُوِيَتْ وَعَمَّ العَالَمِينَ ظَلَامُ

أَزْرَى بِهِ (٢) وَأَزَالَهُ عَنْ أُوجِهِ * قَدَرٌ يَحُطُّ البَدْرَ وَهْوَ تَمَامُ

جُرْحَانِ (٣) تَمْضِي الأُمَّتَانِ عَلَيْهِمَا : * هَذَا يَسِيلُ وَذَاكَ لَا يَلْتَامُ

بِكُمَا أُصِيبَ المُسْلِمُونَ وَفِيكُمَا * دُفِنَ اليَرَاعُ (٤) وَغُيِّبَ الصَّمْصَامُ

لَمْ يُبْطِ مَأْتَمَهَا (٥) ، وَهَذَا مَأْتَمٌ * لَبِسُوا السَّوَادَ عَلَيْكِ فِيهِ وَقَامُوا

مَا بَيْنَ مَضْرَعِهَا وَمَصْرَعِكِ انْقَضَتْ * فِيمَا يُحِبُّ وَنَكْرُهُ الأَيَّامُ

خَلَتِ القُرُونُ كَلَيْلَةٍ وَتَصَرَّمَتْ * دُوَلُ الفُتُوحِ (٦) كَأَنَّهَا أَحْلَامُ

وَالدَّهْرُ لَا يَأْلُو (٧) المَمَالِكَ مُنْذِرًا * فَإِذَا غَفَلْنَ فَمَا عَلَيْهِ مَلَامُ

---

(١) يا أخت أندلس : يخاطب مدينة أدرنة وقد كانت من أمهات المدن العثمانية فى مقدونية وبها مقابر كثيرين من سلاطين آل عثمان ، جاءت الأنباء بغلبة البلغار عليها فى الحرب سنة ١٩١٢ بعد أن أبلت حامياتها فى الدفاع عنها بلاء حسنا .

(٢) أزرى به : وضع من شأنه . الأوج : البعد .

(٣) جرحان : أحدهما خروج أدرنة من أيدى المسلمين ، والثانى خروج الأندلس من أيديهم الأولى : هما للعرب أيام نكبة الأندلس ، والترك أيام ضياع أدرنة .

(٤) اليراع : يريد القلم ، والصمصام السيف .

(٥) لم يبطئ مأتمها : أى مأتم الأندلس .

(٦) خلت : مضت . تصرمت : انقضت .

(٧) لا يألو : لا يقصر ولا يبطئ .

* * *

مقدونيا، والمسلمون عشيرةٌ، * كيف الخؤولة فيك والأعمامُ! (١)

أترينهم هانوا، وكان بعزهم * وعلوهم يتخايل الإسلامُ (٢)

إذ أنت ناب الليث، كل كتيبة * طلعت عليك فريسةٌ وطعامُ (٣)

ما زالت الأيامُ حتى بدلت * وتغيرَ الساقي، وحال الجامُ (٤)

أرأيت كيف أديل من أسد الشرى * وشهدت كيف أبيحت الآجامُ؟ (٥)

زعموك همًا لخلافة ناصبًا * وهل المماليكُ راحةٌ ومنامُ؟ (٦)

ويقولُ قومٌ: كنتِ أشأمَ موردٍ * وأراكِ سائغةً عليك زحامُ

ويراك داءَ الملكِ ناسُ جهالةٍ * بالملكِ منهم علةٌ وسقامُ

لو آثروا الإصلاحَ كنت لعرشهم * ركنًا على هام النجوم يُقامُ (٧)

وهم يقيدُ بعضُهم بعضًا به * وقيودُ هذا العالمِ الأوهامُ

صُوَرُ العمى شتى، وأقبحُها إذا * نظرتْ بغيرِ عيونِهنَّ الهامُ

ولقد يُقامُ من السيوفِ، وليس من * مرآتِ أخلاقِ الشعوبِ قيامُ

---

(١) مقدونيا: اسم الإقليم الذى تقع فيه أدرنة. العشيرة: قبيلة الرجل. الخؤولة: للنسبة للخال كالعمومة وهى النسبة الى العم. (٢) يتخايل: يتبختر. (٣) إذ أنت ناب الليث: أى مثل الليث فى أنه مخوف لا يمكن الوصول إليه. الكتيبة: الجيش وقيل القطعة منه. والمعنى أن الاسلام كان يتخايل بعز أبنائه فى مقدونيا حينما كانت ممتنعة على العدو كامتناع ناب الليث على من يريده وحينما كانت تفنى دونها جيوش الأعداء. (٤) حال: تحول من حال الى حال. الجام: إناء من فضة تسق فيه الخمر. (٥) أديل منها: صارت مغلوبة بعد أن كانت غالبة. والشرى: مكان تكثر فيه الاسود. الآجام: جمع أجم وهو الشجر الملتف تألفه الأسود أيضا. (٦) الهم الناصب: التعب. (٧) لو آثروا الاصلاح: أى لو اختاروه. الهام: جمع هامة، وهى رأس كل شىء.

ومن روائع حكمه، وما جرى من شعره مجرى الأمثال، قوله :

وإنّما الأمَمُ الأخلاقُ ما بَقِيَتْ * فإنْ هُمُو ذَهَبَتْ أخلاقُهُمْ ذَهَبُوا

* * *

وإذا أُصِيبَ القومُ في أخلاقِهِمْ * فأقِمْ عليهِمْ مأتَماً وعَوِيلا

* * *

وما السِّلاحُ لِقَومٍ كُلُّ عُدَّتِهِمْ * حتّى يكونُوا مِنَ الأخلاقِ في أهبِ

* * *

على الأخلاقِ خُطُّوا المُلْكَ وابْنُوا * فليسَ وراءَها للعزِّ رُكْنُ

* * *

وليسَ بعامرٍ بُنيانُ قومٍ * إذا أخلاقُهُمْ كانَتْ خَرابا

* * *

ولا المَصائبُ إذْ يُرْمَى الرِّجالُ بها * بِقاتِلاتٍ إذا الأخلاقُ لَمْ تَصِبِ

* * *

أعلِمْتَ أشْرَفَ أوْ أجلَّ من الذي * يَبْنِي ويُنشِئُ أنفُساً وعقُولا ؟

* * *

وليسَ بالفاضلِ في نفسِهِ * مَنْ يُنكِرُ الفضلَ على رَبِّهِ

* * *

ما أصْعَبَ الفضلَ لِمَنْ رامَهُ * وأسهلَ القولَ على مَنْ أرادْ

* * *

ربِّ إنْ شِئْتَ فالقضاءُ مَضيقٌ * وإذا شِئْتَ فالمضيقُ فضاءُ

* * *

• واستقيمُوا يفتحِ اللهُ لكُمْ باباً فبابا •

* * *

وَالجَهْلُ مَوْتٌ فإنْ أُوتيتَ مُعْجِزَةً * فَابْعَثْ مِنَ الجَهْلِ أَوْفَابْعَثْ مِنَ الرَّجَمِ

* * *

صَلَاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ * فَقَوِّمِ النَّفْسَ بالأخْلَاقِ تَسْتَقِمِ

وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فى خَيْرِ عَافِيَةٍ * وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فى مَرْتَعٍ وَخِمِ

* * *

* المَوْتُ بالزُّهْرِ مِثْلُ المَوْتِ بالفَحَمِ *

فهرس الكتاب

صفحة

المقدمة ... ...

صفحة

حبيب الحدّاد ١٥
ما كتبه فى إرضاء الناس ١٥
من كلامه الجارى مجرى الحكم ١٦

مصطفى بك نجيب ١٦
وصفه نظارة وشكره من أهداها ١٦

الشيخ محمد عبده ١٨
القرآن (من رسالة التوحيد) ١٨
وصفه نهج البلاغة ٣١

ابراهيم بك المويلحى ٢٣
شكواه — بلسان حاج — ما رأى فى إحدى السنين من فتك الوباء بالحجاج ٢٣
من كتاب له يشكو ناسا من معاصريه... ... ... ٢٦

الشيخ إبراهيم اليازجى ٢٦
تعزية بعض أصدقاء ٢٦
كتابه إلى صديق له يشكر له صنيعا ٢٨

مصطفى باشا كامل... ... ... ٢٨
من خطبة له فى تحميس أبناء الوطن ٢٨
من خطبة له ألقاها فى الاسكندرية فى الاعتزاز بالوطن ٣١

الشيخ أحمد مفتاح ٣٢
كتاب فى التهادى ٣٢

الشيخ على يوسف ٣٣
ما كتبه تحت عنوان "لا تعصب فى مصر" ٣٣

الشيخ حمزة فتح الله ٣٦
كتابه إلى بعض الافاضل يطلب مودّته ٣٦

صفحة

حفني بك ناصف ٣٧

كتابه إلى السيد توفيق البكري يعتب عليه إهماله إياه في مجلس ٣٧

كتاب إلى الشيخ علي الليثي يشكره على هدية عنب ٤١

كتابه يعزي به كبرا في ولده ٤٢

السيد مصطفى لطفي المنفلوطي ٤٣

نفس الشاعر ٤٣

الشاعر ٤٥

سعد زغلول باشا ٤٧

نداؤه إلى الأمة المصرية عقب عودته إلى مصر صدر سنة ١٩٢٣ م ٤٧

محمد بك المويلحي ٤٩

كتابه إلى منيف باشا وزير المعارف التركية يعزيه في ابنته ٤٩

وصف الصباح (من ج ٢ : حديث عيسى بن هشام) ٥٣

وصف الاهرام ٥٤

مصطفى صادق الرافعي ٥٥

وصف البلاغة النبوية ٥٥

(ب) الشعر ٥٧

الحساب ٥٧

ما كتبه على ظاهر ديوان صديق له من الشعراء يداعبه ٥٧

ما قاله متغزلا ٥٨

الشيخ حسن العطار ٥٨

ما قاله متغزلا ٥٨

وقوله متغزلا أيضا ٥٩

وصف بركة الأزبكية ٥٩

صفحة

السيد على الدرويش ٩٥
وثاؤه صديقه المرحوم الشيخ على الغلبان ٩٥
مدحه محمد على باشا الكبير وتاريخه مجىء الجراد عام موت البقر ٩١

الشيخ شهاب ١٣
من قصيدته التى أنشأها تكتب حول جامع القلعة ١٣

الشيخ ناصيف اليازجى ١٤
من قوله فى الغزل ١٤
وقال فى الصدة ١٥
من رثاء صديقا له ١٥
ومن رثائه أيضا ١٥
رثاؤه طبيبا من أصدقائه ١٦

السيد محمد صالح مجدى بك ١٦
ما كتبه إلى المرحوم سعيد باشا والى مصر يشكو إليه ظلم رئيسه ١٦

السيد على أبو النصر ١٧
تحسره على فراق أحبابه ١٧
ومن قوله يصف جمال الطبيعة ١٨
من قوله متغزلا ١٨
ما كتبه إلى بعض أصحابه ١٩

سكوت الساعاتى ٧٠
رثاؤه الأديب الشيخ حسن قويدر ٧٠

عبد الله باشا فكرى ٧١
رده على قصيدة لأحمد فارس الشدياق ٧١
استعطافه الخديو توفيق باشا ٧٢

صفحة

من قوله منغـزلا ٧٤
اعتذاره إلى السيد عبد الهادى نجا الإبيارى عن عدم إجابة دعوة لم تصل اليه ٧٤
شكره الخديو توفيق على إجابة ملتمس له ٧٥

الشيخ على الليثى ٧٦
رثاؤه محمود باشا الفلكى ٧٦
من قصيدة له عقب الثورة العرابية ٧٧
وصفه السفينة وهو عائد من برلين ٧٨

السيد عبد الله نديم ٧٨
من قوله منغـزلا ٧٨

الشيخ نجيب الحداد ٧٩
مدحه مصر والمصريين ٧٩

مصطفى بك نجيب ٨١
شكره بعض الأدباء على ساعة أهداها اليه ٨١
ما كتبه على يد مروحة ٨١

محمود باشا سامى البارودى ٨٢
من قصيدة طويلة فى الفخر ٨٢
تشوقه وهو فى المنفى ٨٣
رثاؤه أباه لما ناهز العشرين ٨٣
من قصيدة له يرثى بها زوجته وقد ماتت فى مصر وهو لا يزال فى منفاه ٨٤
وصفه الحرب ٨٥
وصفه الفراق ٨٥

حفنى بك ناصف ٨٦
قوله يخاطب ناظر الحقانية وقد نقله إلى قنا ٨٦

صفحة

سؤاله المرحوم حسين رشدى باشا أن يمد خدمته لما أشرف على الاحالة على المعاش ... ٨٩
قوله فى التحسر على ضياع علمه بموته ٨٩

فى الدين يكن ٩٠
ويل للناس من الناس ٩٠
عارضته قصيدة الحصرى "يا ليل الصب متى غده" ٩١

اسماعيل صبرى باشا ٩٢
من قوله فى إيثار الموت على الحياة ٩٣
حاجاته الدواة ٩٣
قوله يتمنى الموت ٩٤
قوله فى وصف لقاء صديق ٩٤
قال فى ساعة التوديع ٩٤
قال متغزلا ٩٥
قوله متغزلا أيضا ٩٥
ومن قوله متغزلا أيضا ٩٦
من قوله فى التصوف ٩٦
رثاؤه عمر (ابن) المرحوم الشيخ على يوسف وقد مات صغيرا ٩٧
قوله يحمس المصريين على لسان فرعون ٩٨
قال فى مسامحة الصديق ٩٨

الشيخ محمد عبد المطلب ٩٨
من قصيدة له بعيد النيروز سنة ١٩١٩ م يفخر بمصر ويعدد مآثرها ٩٨
من قصيدة له فى المعلم ٩٩

حافظ إبراهيم ١٠٠
وصف الشمس ١٠٠

صفحة

ما قاله على لسان اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها ١٠٢

نادة اليابان ١٠٤

شـــوقى ١٠٨

من قصيدة له يصف فيها دمشق ١٠٨

قوله متغـــزلا ١٠٩

قوله متغزلا أيضا ١٠٩

وصفه الطبيعة فى طريقه إلى الآستانة قادما من أوربا ١١٠

وصفه الطيارة ١١١

من قصيدة له دعاها "الأندلس الجديدة" ١١٢

من روائع حكمه وما جرى من شعره مجرى الأمثال ١١٤

تم طبع هذا الكتاب فى يوم ١٨ رمضان سنة ١٣٦٩
(٣ من يوليه سنة ١٩٥٠) م

مدير عام المطبعة الأميرية

محمد خضر

فهرسة ص ١٨١ - ١٩٥٠ - ٢٩٠٠٠

وزارة المعارف العمومية

المنتخب من أدب العرب

جمعه وشرحه

أحمد الاسكندري أحمد أمين بك علي الجارم بك

عبد العزيز البشري الدكتور أحمد ضيف

الجزء الثاني

للسنة الثانية الثانوية

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٤٥

فهرس

صفحة

العصر العباسى الثانى — الأدب فى خراسان والعراق :

(١) الشعر

الشريف الرضى :

قال يتغزل ١

وقال من نسيب قصيدة يمدح بها الملك بهاء الدين البويهى ٢

وقال يمدح الخليفة القادر بالله العباسى فى أحد مجالسه ٣

وقال يفتخر من قصيدة يمدح بها أهل البيت ٣

وقال فى صغره ٥

مهيار الديلمى :

قال فى الفخر بقومه فارس و بالإسلام ٦

وقال من قصيدة فى التشوق ٧

وقال من قصيدة فى الحكمة والشكوى ٧

وقال من قصيدة كتب بها إلى صديق له ٩

وقال من قصيدة يمدح بها زعيم الدين أبا الحسن و يهنئه بالمهرجان ٩

أبو سعد الكاتب :

قال فى الشوق إلى بغداد ١٠

ابن لنكك :

قال فى الهجاء ١١

التنوخى :

قال يصف الليل والنجوم ١١

وقال أيضا فى هذا المعنى ١٢

وقال فى وصف رسالة ١٢

صفحة

الدينورى :

قال يشكو ولده ١٣
وقال أيضا فى شكوى الكبر ١٣

ابن المنجم :

قال فى الشكوى والتوجع ١٤

الضبي :

قال يصف الليل والسهر ١٤

أبو الفضل الميكالى :

قال فى التوجع وشكوى الدهر ١٤
وقال فى وصف النرجس ١٥

الأبيوردى :

قال فى الشكوى ١٦
وقال أيضا يستحث على اقتفاء أثر الآباء الكرام ١٦

الطغرائى :

قال يصف الغدير ١٧
وله فى الأعداء والحساد ١٧
ومن لاميته المشهورة فى الحكم ١٨
وقال يرثى مؤيد الملك وقد مات مقتولا ١٨
وقال يرثى زوجته ١٩
وقال فى أعدائه ٢٠

السهروردى :

قال فى الفلسفة والتصوف ٢٠

الرفاعى :

من قوله فى العشق الصوفى ٢٠

صفحة

السرى الرفاء :

قال يصف مجلسا ٢١
وقال يصف الروض والجوّ فى يوم ظهر فيه قوس قزح ٢٢
وقال يعاتب صديقا أفشى له سرا ٢٢

الجرجانى :

قال يمدح الوحدة ويذم مخالطة الناس ٢٣

الصابئ :

قال يهجو ٢٣

الصاحب بن عباد :

قال يذم الشهاتة ٢٣

الخوارزمى :

قال يوصى بتخير الأصدقاء ٢٤

ابن نباتة السعدى :

قال يصف فرسا أدهم ٢٤
وقال يعزى صمصام الدولة فى أبيه ٢٥

البستى :

قال يغرى بالكرم ٢٥
وقال أيضا فى المداولة بين الراحة والتعب ٢٥
وقال فى جواب كتاب ٢٦
وقال أيضا فى هذا الغرض ٢٦

الناشئ الأصغر :

قال فى معاملة الصديق ٢٦

الأبهرى :

قال فى الحكم ٢٧

صفحة

صردر :

قال يصف كتيبة ٢٧
وقال يستهدى مدادا و يصف الدواة والقرطاس والقلم ٢٨

السلامى :

قال يصف نهرا نبتت عليه أشجار الرمان ٢٩

(ب) النثر

أولا — النثر الفنى :

ابن العميد :

من كتاب له فى التهديد واللوم ٣٠
وكتب إلى أبى عبد الله الطبرى ٣١

الصاحب بن عباد :

رقعة منه إلى القاضى أبى بشر الجرجانى ٣٢
وله ، فصل من كتاب إلى ابن العميد جوابا لكتاب إليه فى وصف البحر ٣٣

الخوارزمى :

كتب إلى قاضى سجستان حين نكبه أميرها... ... ... ٣٤

البديع الهمذانى :

كتب يعتذر من إنابته رسوله عن شخصه ٣٧
المقامة القريضية ٣٨

ثانيا — النثر العلمى التأليفى :

ابن جنى :

قطعة من كتابه الخصائص ٤٢

الجرجانى :

فصل من كتابه دلائل الإعجاز ٤٣

صفحة

الحريرى :

فصل من كتابه درة الغواص... ... ... ٤٤

المسعودى :

قطعة من مقدمة كتابه التنبيه والإشراف ٤٥

الماوردى :

فصل من أدب الوزير ٤٧

ابن حمدون :

فصل من تذكرته فى السياسة والآداب الملكية... ... ... ٤٨

الأدب فى مصر والشام :

(١) الشعر

المتنبى :

قال فى صباه من قصيدة ٥٠

وقال من قصيدة يصف حربا ٥١

وقال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر محاربته للروم ٥٣

وقال يذكر قيام شبيب العقيلى وكان خارجا على كافور ٥٦

وقال يوم عرفة وقد خرج من مصر فارا من كافور إلى الكوفة ٥٨

وقال يمدح سيف الدولة ويعاتبه عند إزماعه السفر إلى مصر ٦٠

وقال فى الحكمة ٦٣

وقال من قصيدة يمدح بها كافورا ٦٤

وقال فى وصف الحياة والناس ٦٥

أبو فراس :

قال فى الشكوى والعتاب ٦٦

وقال فى الحكم ٦٧

وقال يشكو حاسديه ويذم فعلهم ٦٧

وقال فى وصف كتاب ورد عليه من صديق له ٦٧

وقال من قصيدة يتوه فيها بشجاعته ٦٨

وكتب وهو فى أسر الروم إلى سيف الدولة ٦٩

وقال من قصيدة بعث بها إليه من الأسر يعاتبه على تباطئه فى فكاكه ٧١

صفحة

أبو العلاء المعرى

قال فى الفخر ٧٢
وقال يصف ديكا ٧٥
وقال فى وصف ليلة ٧٦
وقال يرثى فقيها حنفيا ٧٧
وقال يفتخر ٧٨
وقال من قصيدة تتضمن كثيرا من خاص آرائه ٨٠
وقال يصف الحياة الدنيا ٨٢
وقال فى هذا المعنى ٨٢
وقال فى الحكمة ٨٣
وقال يصف التدين الكاذب ٨٣
وقال فى انطباع الناس على الشر ٨٣
وقال فى مرأى الناس ومخبرهم ٨٣

كشاجم :

قال يشكو الحظ والزمن ٨٤
وقال يهجو عوّادة ٨٤
وقال يتغزل ٨٥

أبو الفرج الببغاء :

قال يصف كتيبة وقائدها ٨٥

عبد المحسن الصورى :

قال يهجو بعض من ضافه ٨٦
وقال فى وصف جميل يسبح فى ماء ٨٦

تميم بن المعز الفاطمى العبيدى :

قال يصف فوارة فى بستان ٨٧
وقال أيضا فى الفخر ٨٧
وقال فى الغزل ٨٨

صفحة

أبو الحسن التهامى :

قال يرثى ابنا له مات صغيرا ٨٨

على بن النعمان :

قال فى وصف صديق... ... ... ٩١

أبو الحسن على بن عبد الرحمن :

قال فى الهجاء ٩١

الحسن بن الزبيرى الأسوانى :

قال يشتاق إلى نهر بردى بالشام ٩١

ابن الفارض :

قال من قصيدة ٩٢

عمارة اليمنى :

قال من قصيدة يصف فيها دارا ٩٣

القاضى الفاضل :

قال من قصيدة خمرية وصف فيها بلاغته ٩٥

ابن قلاقس :

قال من قصيدة يمدح بها ياسر بن بلال ٩٧

وقال مرتجلا وقد خر السقف عليه من أثر مطر هاطل ٩٨

وقال يصف فوارة ٩٩

وقال يصف الشمس وهى غاربة فى النيل ٩٩

ابن النبيه المصرى :

قال يصف الحياة والموت ٩٩

وقال يتغزل ٩٩

صفحة

ابن مطروح :

قال يصف حسناء تسير بليل ١٠٠
وقال يتغزل ١٠٠

البهاء زهير :

قال فى الشكوى ١٠١
وقال فى عتاب الحبيب والتشوق إليه ١٠١
وقال فى التغزل ١٠٢
وقال يتغنى بأرض الوطن : مصر العزيزة ١٠٣

(ب) النثر

أولا — النثر الفنى :

أبو الفرج الببغاء :

من كتاب يهنئ فيه بولاية عمل ١٠٤
ومن كتاب له فى التهنئة بعيد ١٠٤
وله من كتاب فى التهنئة بمولودة ١٠٤

على بن خلف :

كتب فى الدعوة إلى وليمة ١٠٥

القاضى الفاضل :

قال يصف مدينة آمد ١٠٦

ابن الصيرفى :

فصل له من كتاب بشارة بالسلامة ١٠٧

ابن قادوس :

فصل له من منشور مما كان ينشر على الناس بوفاء النيل فى الدولة الفاطمية ١٠٨

صفحة

ثانيا — النثر العلمى التأليفى :

المعرى :

من قوله فى مقدمة اللزوميات ١٠٩

ابن شداد :

فصل من كتابه : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية... ... ... ١١٠

عصر المماليك والعثمانيين :

(١) الشعر

شمس الدين محمود الكوفى :

قال فى رثاء بغداد ١١١

بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى :

قال فى الصبابة والتحزن ١١٢

وقال فى الروض ١١٣

الشاب الظريف :

قال من قصيدة فى الشكوى والحكمة... ... ... ١١٣

وقال فى التغزل ١١٣

وقال فى زيارة الحبيب ١١٤

وقال فى التغزل ١١٤

وقال فيما يجد العاشق وما يصنع ١١٤

وقال من قصيدة يمدح بها ابن عبدالظاهر ١١٥

وقال فى الغزل ١١٥

سراج الدين الوراق المصرى :

قال فى شكر الله على نعمائه ١١٦

وقال فى لوم النفس على المعصية... ... ... ١١٦

وقال فى الترفع ١١٦

وقال فى الحنين إلى الأحباب ١١٧

صفحة

نصير الدين الحمامى المصرى :

قال فى داره ١١٧

عمر بن الوردى :

قال فى مدح شهاب الدين بن فضل الله ١١٨
وكتب إلى القاضى جمال الدين يوسف معاتبا له ١١٩

صفىّ الدين الحلى :

من ملحه ١٢٠
وقال يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون عند كسر الخليج ١٢٠
وقال يهنئ المؤيد بالقدوم الى الصيد ١٢٢
وقال يحرض الأمير نور الدين على ملتقى المغول وحربهم ١٢٣
وقال فى فرس أدهم محجل ١٢٤
وقال فى وصف عود طرب... ... ... ١٢٤

جمال الدين بن نباتة المصرى :

قال يرثى ولدا له مات صغيرا ١٢٤
وقال يمدح السلطان الأفضل و يعزيه فى والده ١٢٦
وقال فى الناصر حسن ١٢٨

محيي الدين بن قرناص الحموى :

قال يصف روضا ١٢٨
وقال يصف نهرا ١٢٩

على بن محمود المبارك :

قال يذم دار سكناه ١٢٩

ابن سعيد المغربى :

قال يصف الجيزة ١٣٠

محمد بن سليم المصرى :

كتب إلى السراج الوراق فى حمار له سقط فى بئر فمات ١٣٠

صفحة

ابن الجنان :

قال يصف روضا على نهر ١٣١

محمد بن الحسين :

قال فى نوح الحمام ١٣١

محمد بن الحسن الصائغ العروضى :

قال يتشوق وهو بمصر إلى دمشق ١٣٢

ابن دقيق العيد :

قال يتمنى الجمع بين الشباب والمشيب ١٣٢
وقال فى الشكوى ١٣٢
وقال فى بعض الوزراء ١٣٢

مجير الدين بن تميم :

قال يصف روضا ١٣٣
وقال فى وكيل بدار القاضى بدمشق ١٣٣
وقال فى روضة ١٣٣
وكتب الى كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال بدمشق ١٣٣
وقال فى رثاء صديق له اسمه قطب الدين ١٣٤
وقال فى التشوق ١٣٤
وقال فى الغزل ١٣٤
وقال فى ليلة سكر ١٣٤
وقال يهجو ١٣٥
وقال يمدح النرجس ١٣٥
وقال فى روضة ١٣٥

الشهاب الخفاجى :

قال يتغزل ١٣٦

صفحة

السيد عبد الرحيم العباسى :

قال يصف ضعفه ١٣٧
وقال يشكو من الأصدقاء ١٣٧
وقال يصف الصداقة الحق ١٣٧
وقال فى لئيم ابتدأه بالتحية ١٣٧
وقال فى الحكمة ١٣٨

محمد بن القاسم الحلبى :

قال يجيب الشهاب الخفاجى على قصيدته التى تقدمت ١٣٨

أحمد بن على العلقمى :

قال يتمدح ١٣٩

عبد الرحمن بن عماد الدين :

قال فى الموت وطلب الرحمة ١٤٠

الأمير محمد بن منجك :

قال متغزلا... ... ... ١٤٠

ابراهيم بن المبلط :

قال من قصيدة طويلة فى الغزل ١٤١

نور الدين العسيلى :

قال يصف دولابا ١٤٢

الأستاذ الإمام أبو المواهب البكرى :

قال يصف يوم مرح... ... ... ١٤٤

الشيخ عبد الله الشبراوى :

قال فى السيد عبد القادر نقيب الأشراف ١٤٥
وقال متشوقا إلى مصر ١٤٦

صفحة

(ب) النثر

أولا — النثر الفنى :

الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى :

قال يصف بستانا ١٤٧

القلقشندى :

من رسالة عبد الملك الناصر برقوق الى صاحب فاس ١٥٠

القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر :

من كتاب كتبه الى صاحب اليمن ١٥١

الإمام ابن حبيب الحلبى :

من كتاب نسيم الصبا ١٥٣

شهاب الدين محمود الحفاجى :

المقامة الساسانية ١٥٥

ثانيا — النثر العلمى :

الشيخ كمال الدين الدميرى :

قطعة من كتابه حياة الحيوان ١٦٠

ابن خلدون :

فصل من مقدمته ١٦٢

المقريزى :

من خطبة كتابه المواعظ والاعتبار ١٦٤

شمس الدين محمد النواجى :

من كتابه حلبة الكميت ١٦٥

ابن خلكان :

من كتابه وَفَيات الأعيان ١٦٧

الديار بكرى :

فصل من كتاب الخميس فى أحوال أنفس نفيس ١٦٨

الشيخ شهاب الدين أحمد الأبشيهى :

قطعة من كتابه المستطرف ١٨٢

العصر العباسى الثانى

الأدب فى خراسان والعراق

---

(١) الشعر

(١) الشريف الرضى[1]

قال يتغزل :

يا ظبيةَ البانِ تَرْعَى فى خمائلِه ... لَيهنِكِ اليومَ أنّ القَلْبَ مَرْعاكِ[2]

الماءُ عِندَكِ مبذُول لشاربِهِ ... وليس يُرْويك إلا مَدْمَعِى الباكى[3]

هَبَّتْ لنا من رِياح الغَوْرِ رائحةٌ ... بعدَ الرُّقادِ عَرَفْناها بِرَيّاكِ[4]

ثم آنْثَنَينا اذا ما هزّنا طَرَبٌ ... على الرِّحال تَعلّلْنا بذِكراك

سَهْمٌ أصابَ وَراميهِ بِذِى سَلَمٍ ... مَنْ بالعِراق، لقَدْ أبعدْتِ مَرماك[5]

حكَتْ لِحاظُكِ ما فى الرِّيم من مُلَحٍ ... يومَ اللقاء، وكان الفضلُ للحَاكى[6]

كأنَّ طَرْفَكِ يوم الجِزْعِ يُخبِرُنا ... بما طَوَى عنكِ من أسماء قَتّلاك[7]

---

(١) هو الحسن محمد بن الحسين الرضى العلوى نقيب أشراف بغداد وأشعر بنى هاشم توفى سنة ٤٠٦ هـ.

(٢) البان : شجر من أشجار البادية تشبه بأغصانه قامات الملاح فى الاعتدال واللين . والخمائل : جمع خميلة وهى الأشجار الملتفة الأغصان الناعمة الأوراق .

(٣) المدمع : مجرى الدمع فى العين .

(٤) الغور : البلاد المنخفضة عن نجد وجبال الحجاز . وهى المسماة تهامة على ساحل البحر الأحمر . ورائحة : أى ريح ممسية . والريا : الرائحة الطيبة .

(٥) ذو سلم : موضع بالحجاز قرب مكة .

(٦) والريم : الظبى الخالص البياض .

(٧) الجزع : موضع بالحجاز قرب الطائف .

أنت النعيمُ لقلبي والعذاب له ... فما أمَرَّكِ فى قلبي وأحلاكِ

عندى رسائلُ شوق لست أذكرها ... لولا الرقيبُ لقد بلّغتُها فاك

وقال من نسيب قصيدة يمدح بها الملك بهاءَ الدولة البُوَيهى وأنفذها إليه وهو فى البصرة، وقد فتحها فى آخر سنة ٣٩٤ هـ :

ألْهاكِ عنّا رَبةَ البُرْقُعِ ... مَرُّ الثلاثينَ الى الأربعِ (١)

أنتِ أَعَنْتِ الشيبَ فى مَفْرِقِى ... مع الليالى، فِصلِى أو دعِى (٢)

يا حاجةَ القَلْبِ ألَمْ تَرحَمِى ... جِنايةَ الدمع على مدمَعى ؟

لولا ضَلالاتُ الهوَى لم يكُنْ ... عِنانُ قلبى لكِ بالأَطوع (٣)

كيف طوَى دارَك ذُو صبوة ... عَهدى به يطرَب للمَرْبَع (٤)

كانَ يرَى ناظرُهُ سُبَّة ... أَنْ مَرَّ بالدارِ ولَمْ يَدمَع (٥)

يا حبذا منكِ خَيالٌ سَرَى ... فدَلَّهُ الشوقُ على مضجَعى

باتَ يُعاطينِى جنى ظَلمه ... وبِتُّ ظمآنَ ولم أنقَع (٦)

---

(١) أى من العمر : فيكون عمره يومئذ ٣٤ سنة .

(٢) المفرق : وسط الرأس، وهو المكان الذى يفرق عنه الشعر . أى أن حبك أهمنى فجعل الشيب يسرع فى رأسى فوق فعل الليالى به .

(٣) العنان بالكسر : سير اللجام ، أى : لولا حبى إياك لم يكن قلبى طوعا لك .

(٤) طوى دارك : مر بها وحاذاها . والمربع : المكان الذى ينزل به وقت الربيع ، ويراد به هنا الدار مطلقة . ويطرب هنا : بمعنى يحزن ويشجى .

(٥) السبة هنا : العار . والمراد بالناظر : العين .

(٦) الظلم : تلألؤ أسنان الثغر ، وجنى الظلم يريد به ريق المحبوبة . ولم أنقع : أى لم أرو ظمئى .

وقال يمدح الخليفة القادر بالله العباسى فى أحد مجالسه :

لله يوم أطلعتك به العـــلا ... عَلَمًا يُزَاوَلُ بالعيون ويُرْشَقُ (١)

لما سَمَـــت بِك غرةٌ مَرْمُوقَةٌ ... كالشَّمْسِ تَبْهَرُ بالضِّياءِ وَتُومَقُ (٢)

وبرزْتَ فى بُرْدِ النَّبِىِّ ، ولِلهُدَى ... نورٌ على أسرارِ وجهِكَ مُشرِقُ (٣)

وكأنَّ دارَكَ جنة حَصْبَاؤهَا الـ ... جادِىُّ أو أنماطها الإستبرق (٤)

فى مَوْقِفٍ تُغضِى العُيونُ جلالةً ... فيه ويَعْثُرُ بالكَلَامِ المنْطِقُ (٥)

والنَّاسُ : إما راجعٌ متهيِّبٌ ... مِما رأى ، أو طالِعٌ مُتَشَوِّقُ

مَالُوا إليْـــكَ محبَّةً ، فتَجمَّعُوا ... ورأوا عَلَيْـــكَ مَهابةً ، فتَفرَّقُوا

وقال يفخر من قصيدة يمدح بها أهل البيت :

لِغَيْرِ العُلا مِنِّى القِلَى والتجنُّبُ ... ولوْلا العُلا ما كنتُ فى الحبِّ أَرغبُ (٦)

إذا اللهُ لم يعـــذِرْكَ فيما ترومُـــهُ ... فما النـاسُ إلا عاذلٌ ومُـــؤَنِّبُ

---

(١) العلم : الجبل ، ويزاول : يطلب .

(٢) الغرة : الوجه . ومرموقة : تتجـــه الأنظار إليها . وتبهر : تغلب . وتومق : تحب وتعشق .

(٣) الأمرار : خطوط الوجه ، واحدها : سرر .

(٤) الحصباء : الحصى . والجادى : الزعفران . والأنماط : جمع نمط ، وهو البساط . والاستبرق : ثياب حريرية .

(٥) تغضى : تغمض .

(٦) القلى : البغض والكراهة والهجر . أى لولا أننى أحب المعالى لما كان لى رغبة فى أى حب .

مَلَكْتُ بِحِلمِي فُرصَةً ما استَرَقَّها ... مِنَ الدهرِ مقتولُ الذِّراعَينِ أَغْلَبُ (١)

فإنْ تَكُ سِنّي ما تُطاوِلُ باعَها ... فلي مِن وراءِ المجدِ قلبٌ مُذَرَّبُ (٢)

فَحَسْبِيَ أنّي في الأعادي مبغَّضٌ ... وأنّي الى غُرِّ المعالي محبَّبُ

وللحِلْمِ أوقاتٌ، وللجهلِ مثلُها ... ولكنّ أيّامي الى الحِلْمِ أقرَبُ (٣)

يصولُ عليَّ الجاهلونَ، وأَعْتَلي ... ويُعْجِمُ فيَّ القائلونَ، وأُعرِبُ (٤)

يَرَوْنَ احتمالي غُصَّةً، ويَزيدُهم ... لواعجَ ضِغْنٍ أنّني لستُ أغضَبُ (٥)

وأُعرِضُ عن كأسِ النديمِ كأنّها ... وَميضُ غمامٍ غائرِ المُزْنِ خُلَّبُ (٦)

وقورٌ، فلا الألحانُ تأسِرُ عَزْمَتي ... ولا تَمكُرُ الصهباءُ بي حينَ أَشْرَبُ

ولا أَعرِفُ الفَحْشاءَ إلا بوَصْفِها ... ولا أَنطِقُ العَوْراءَ والقلبُ مُغْضَبُ

---

(١) استرقها : يريد نالها وحصل عليها . والأغلب : يريد القوى الذى يغلب خصمه . أى أننى أنال بالحلم مالا يناله القوى الشجاع بقوته وشجاعته .

(٢) المذرب : المحدد الماضى .

(٣) الجهل هنا : الجفاء والغلظة والإسراع إلى المعاقبة والانتقام .

(٤) الجاهلون هنا : الحمق الذين لا عقل لهم ولا رأى . والإعجام ضد الإبانة . أى أن أولئك الجاهلين الحمق يعتدون على ولكن قدرى يرتفع ، ويقولون عنى كلاما كأنه لسخفه معجم غير بين ، ولكننى أعرب وأبين بقولى الواضح ، وفعالى الصالح .

(٥) لواعج : جمع لاعج ؛ وهو المحرق . أى أن تركى الغضب يزيدهم أضغانا محرقة فى صدورهم .

(٦) الوميض : لمعان البرق . والغمام : السحاب . والمزن الغائر : السحاب الذاهب ، والخلب : الخادع ، وهو صفة للوميض .

تَحَلَّمُ عن[1] كرِّ القوارصِ شِيمَتى ... كأنّ مُعيدَ الذَمِّ بالمدْحِ مُطنِبُ

لسانِى حَصاةٌ[2] يَقْرَعُ الجهلَ بالحجا ... إذا نال مِنِّى العاضِهُ المُتَوثِّبُ

ولسْتُ براضٍ أن تَمَسَّ عزائمى ... فُضالاتُ[3] ما يُعطِى الزمانُ ويسلُبُ

غرائبُ آدابٍ حَبَانِى بحفْظِها ... زَمَانِى، وصَرْفُ الدهرِ[4] نِعْمَ المؤدِّبُ

وقال فى صغره :

ستعلَمونَ ما يكونُ مِنِّى ... إن مَدَّ مِنْ ضَبْعَىَّ طولُ سِنِّى[5]

أَأَدَعُ الدنيا، ولم تَدَعْنى ... يلعَبُ بى عَناؤُها المُعَنِّى[6]

وَسِعْتُ أيّامى، ولم تَسعْنِى ... أفضُلُ عنها، وتَضيقُ عنِّى[7]

---

(١) تحلم، أصلها تتحلم، حذفت إحدى التاءين، والقوارص : الشتائم الشديدة . والشيمة : السجية والخصلة، أى أن كريم طبعى يأبى على إلا أن أقابل تكرار ذمى بالحلم، حتى كأن مكرر ذمى يطيل فى مدحى .

(٢) الحصاة هنا : العقل، والجهل : الحمق . والعاضه : الذى يكذب على المرء فى وجهه . أى اننى إذا آذانى متوثب على ذمى بالكذب فى وجهى، لم أقابله بالمثل، ولم أبسط فيه لسانى، بل أحلم عليه، وأجعل لسانى عقلا يفكر ولا يتكلم .

(٣) الفضالات فى الأصل : البقايا . ويريد بها هنا : الملاذ الدنيوية . أى أنها لا تثنينى عن معالى الأمور، فلا يحزننى ما أفقد من هذه الملاذ، ولا يسرنى ما أناله منها .

(٤) صرف الدهر : نوائبه وحوادثه .

(٥) الضبع : العضد . أى إن كبرت سنى، واشتد عضدى .

(٦) المعنَّى : المرهق الشاق . أى أأترك الدنيا يلعب بى عنادها وهى لم تتركنى .

(٧) وسعت أيامى : اتسعت لها واستنفدتها . وأفضل : أزيد . أى أن همتى تتسع لأيام حياتى، حتى تستنفدها ثم تزيد عليها، فالأيام تضيق عن كل ما أريد، إذ أن همتى أبعد مدى منها .

لِمْ أنا مِثْلُ العَاطِنِ المبِنِّ أَسْحَبُ بُرْدَىْ ضَرَعٍ افْنِ (١)

ولى مَضَاءُ قَطُّ لم يَخْنِى : ضميرُ قَلْبِى ، وضميرُ جَفْنِى (٢)

راضٍ بما يُضوِى الفَتى ويُضنِى أَسَّسَ آبائى وسوْفَ أَبْنِى (٣)

قد عَزَّ أصلى ويَعِزُّ غُصنى غَنِيتُ بالمجد ولم أَستَغْنِ

(٢) مهيار الدَّيْلَمِى (٤)

قال فى الفخر بقومه فارس و بالإسلام :

أَعْجِبْتَ بى بَيْنَ نادِى قومِها أمُّ سَعْدٍ ، فمضتْ تَسألُ بى

سَرَّها ما عَلِمتْ من خُلُقٍ فأَرادتْ عِلْمَها ما حَسَبى ؟

لا تَخالِى نَسَباً يَخْفِضُنِى ؛ أنا مَنْ يُرْضيك عند النَّسَبِ

قَوْمَى استَوْلَوْا على الدهر فَتىً ، ومَشَوْا فوقَ رُءوسِ الحِقَبِ

عَمَّمُوا بالشمْسِ هَامَاتِهِمُ ، وبَنَوْا أبياتَهم بالشُّهُبِ

وأبى كِسرى عَلَا إيوانُهُ أَيْنَ فى الناسِ أبٌ مثلُ أبى ؟

قد قَبَستُ المجدَ من خيرِ أبٍ ، وقبستُ الدِّينَ من خيرِ نَبِى

وضَمَمْتُ الفخرَ من أطرافه : سُؤْدُدِ الفُرْسِ ، ودِينِ العَرَبِ .

---

(١) العاطن : الجمل البارك بجانب الماء . والمبن : المقيم ، والكريه الرائحة . والضرع : الذل والضعف . والأفن : سوء الرأى ، أى لم أقيم فى دارى مثل الجمل المقيم فى المبارك الكريهة الرائحة ؟ أما آن لى أن أنشط فى طلب المجد ولا أجر ثوب استضعاف وثوب رأى غير سديد ؟

(٢) المضاء : النفوذ والإصابة ، أى إن قلبى ونظرى ثاقبان فى معرفة الأمور .

(٣) يضوى : يجعله نحيفا هزيل الجسم .

(٤) هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمى ، كان مجوسيا يتكسب بالكتابة فى الدواوين ، تخرج على الشريف الرضى فى الشعر حتى كاد يرق قوله عن قوله ، وأسلم على يده وتشيع بمذهبه وغلا فى التشيع .

وقال من قصيدة فى التشوق :

يا نَسِيمَ الصُّبحِ من كاظِمَةٍ ... شَدَّ ما هجْت الجوَى والبُرَحا(١)

الصَّبا — إن كان لابد — الصَّبا ... إنَّها كانت لقَلْبى أَرْوَحا(٢)

يا نَدامايَ بسَلْعٍ ! هلْ أَرى ... ذَلكَ المَغْبَق والمُصْطَبَحا ؟(٣)

فاذكرونا مِثْلَ ذِكرانا لَكُمْ ؛ ... رُبَّ ذِكرى قرَّبتْ مَن نَزَحا(٤)

واذكروا صَبًّا إذا غَنَّى بِكُمْ ... شَرِبَ الدمعَ وعافَ القَدَحا

وقال من قصيدة فى الحكمة والشكوى :

خَلِيلُكَ مَن صَفَا لكَ فى البِعادِ ... وجارُكَ من أَذَمَّ على الوِداد(٥)

وحظُّكَ مِن صديقِك أن تَراهُ ... عَدُوًّا فى هواكَ لمن تُعادِى

ورُبَّ أخٍ قَصِىِّ العِرْق ، فيه ... سُلُوٌّ عن أخيكَ مِن الوِلاد(٦)

فلا تَغْرُرْكَ ألْسِنَةٌ رِطابٌ ... بطائنُهُنَّ أكبادٌ صَوَادِى(٧)

وعِشْ إما قَرِينَ أخٍ وَفِىٍّ ... أمينِ الغَيْبِ ، أو عيشَ الوِحاد(٨)

فإنى بعدَ تجْرِيبى لأمرٍ ... أنِسْتُ — ولا أغُشُّكَ — بانفرادى

---

(١) كاظمة : موضع من بلاد العرب بقرب البصرة على ساحل خليج فارس . والبرحا : مقصور البرحاء بالمد ، وهى شدة الألم .

(٢) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق . وأروح : أجلب للراحة .

(٣) سلع : جبل بالمدينة والمغبق : مكان الغبوق ، أى الشرب مساء . والمصطبح : مكان الشرب صباحا

(٤) نزح : بعد .

(٥) أذم : أعطى عهدا وذمة على الوداد .

(٦) قصى العرق : أى بعيد النسب . والولاد : الولادة .

(٧) رطاب : رطبة تنطق بالكلام اللين . وصواد : عطشى ، أى ملتهبة من الحقد .

(٨) أمين الغيب : أى لا يقول فيك شرا حين يغيب عنك . والوحاد : أى التوحد والانفراد .

تُرِيدُ خَلائقَ الأيّامِ مَكْرًا ... لِتغْصِبَنِي على خُلُقٍ وعادِى (١)

وتَغْمِزُنى الخطوبُ تظنُّ أنّى ... أَلِينُ على عَرائكها الشِّداد (٢)

وما ثَهلانُ تُشرِقُ قُنَّتاهُ ... بأحمَلَ للنَّوائبِ مِن فؤادى (٣)

تُغَرِّبُ فى تَقلُّبِها الليالى ... عَلَىَّ بكُلِّ طارِقةٍ نآد (٤)

إذا قُلْتُ: أكتفتْ منِّى، وكفّتْ ... نَزَتْ بالدّاءِ ثائرةَ العِداد (٥)

رَعَى سِمَنُ الحوادثِ فى هُزالِى ... كأنَّ صلاحَهُنَّ على فَسادى

فيَوْمًا فى الذَّخيرةِ مِن صَديقٍ ... ويومًا فى الذَّخيرة من تِلادى (٦)

يذُمُّ النَّومَ دونَ الحِرْص قومٌ ... وقلتُ لرَقْدَتِى عنه: حَمادِ (٧)

وما كان الغِنَى إلا يسيرًا ... لَوَ انَّ الرزقَ يبلُغُه اجتهادى

---

(١) أى تريد خلائق الأيام أن تغلبنى على أخلاقى وعاداتى وتسلبنى إياها ، وتقهرنى على تغييرها .

(٢) العرائك جمع عريكة ، وهى الطبيعة .

(٣) ثهلان : جبل . والقنة : أعلى الجبل ، أى أن جبل ثهلان لا يتحمل ما يحمله قلبه من النوائب .

(٤) أى تأتى بالغرائب . والطارقة : الداهية . والنآد : العظيمة .

(٥) نزت : وثبت . وثائرة العداد : مهتاجة فى عودتها ورجوعها .

(٦) أى فيوما تفقدنى صديقا ، ويوما تفقدنى مالا .

(٧) حماد : كلمة مبنية على الكسر ، أى حمدا وشكرا ، أى أنه يحمد بعده عن الحرص وزهده فى الجشع ، وإن كان ذلك يذمه قوم .

وقال من قصيدة كتب بها إلى صديق له من أولاد الرؤساء يستعينه على أبيه فى حاجة :

إلى وَزَرٍ (١) أَحُطُّ به ثِقالًا ... من الامال وهْوَ لها مآلُ
رضينا — والعُداة لها غِضابٌ — ... سجايا (٢) فيك أعطاك الكمالُ (٣)
إذا اختلف الجدود فَظلْتَ يوما ... تَعُدُّهُمُ ، استوى عَمٌّ وخالُ
من النُّجَباءِ يرضَى السِّلْمُ منهم ... نفوسا ليس يأباها القِتالُ
نَمَوْك (٤) فأشبه الضِّرغام (٥) شِبْلٌ (٦) ... وقايَسَتِ (٧) اليَدَ اليمنى الشِّمالُ
وكنتَ ابنًا لِوالِدِهِ مُعينًا ... وبعضُهُمُ لِوالِدِهِ عِيالُ (٨)
ولمَّا لم تَخِبْ فيكَ الأَمانِي ... رمى بِك حيث لم تَنْبُ (٩) النِّصالُ (١٠)
وآنَسَ (١١) منك يوم بَرَقْتَ (١٢) غيثًا ... دموعُ سَحابهِ أَبَدًا سِجالُ (١٣)
شمائِلُ (١٤) طاب مَغْرِسُها فَطابت ... كما هبَّتْ عَلَى الرَّوضِ الشَّمالُ (١٥)

وقال من قصيدة يمدح بها زعيم الدين أبا الحسن ويهنئه بالمهرجان :

هلْ عند هذا الطَّلَلِ الماحِلِ ... من جَلَدٍ يُجْدى على سائِلِ (١٦)
أصمُّ ! بل يسمَعُ ! لٰكنَّه ... من البِلَى فى شُغُل شاغِلِ (١٧)

---

(١) ملجأ ومعتصم .
(٢) أخلاق ، جمع : سجية .
(٣) أى أعطاك الكمال إياها .
(٤) رفعوا نسبك إليهم
(٥) الأسد .
(٦) ابن الأسد .
(٧) ساوتها .
(٨) ثقل .
(٩) تتباعد وتتجافى .
(١٠) السيوف ، جمع نصل .
(١١) أبصر .
(١٢) لمعت ، يريد : ظهرت صغيرا .
(١٣) فائضة .
(١٤) أخلاق .
(١٥) الريح التى تهب من ناحية القطب .
(١٦) الماحل : الجدب المقفر .
(١٧) البلى : القدم والرثاثة .

وقفتُ فيه شَبَحًا مَائِلًا ... مُرْتَفِدًا من شَبَحٍ مَائِل : (١)

ولا ترَى أعجبَ من ناحِلٍ ... يشكو ضَنَى الجسم إلى ناحِل (٢)

لَهْفَكِ يادارُ ! ولَهْفِى علَى ... قطينِكِ المحتَمِل الزَّائل ! (٣)

قلبِىَ للأَحزانِ بَعْدَ النَّوى، ... وأنتِ للسافِى وللنّاخل (٤)

مثلُك فى السُّقْم ، ولى فَضْلةٌ ... بالعَقْل ، والبَلْوَى على العاقل

يأهلَ نَعْمانَ اسمَعُوا دَعوةً ... إنْ أَسْمَعَتْكُمْ مِن لِوَى عاقل (٥)

هل زَوْرَةٌ تُمْتِعُنا منكُمُ ... وَهْنًا بِمِيعادِ الكَرَى الباطل ؟ (٦)

أم هل لجسمٍ قاطِنٍ أن يَرى ... عودة قلبٍ معكم رَاحِلِ

(٣) أبو سعد الكاتب (٧)

قال فى الشوق إلى بغداد :

فِدًى لَكِ يا بغدادُ كلُّ مَدينةٍ ... مِنَ الأَرض حتَّى خِطَّتِى وديارِيا

فقد سرتُ فى شَرْقِ البلاد وغَرْبِها ... وطوَّفْتُ خَيْلِى بَيْنَها ورِكابِيا

فلم أرَ فيها مثلَ بَغدادَ منزِلًا ... ولم أرَ فيها مثلَ دِجلةَ واديا

ولا مثلَ أهليها أرَقَّ شمائلًا ... وأعذبَ ألفاظًا وأحلَى معانيا

---

(١) مرتفدا : أى طالبا للرفد ، وهو العطاء ، والمراد به هنا إفادته بأخبار أحبته .

(٢) الناحل : السقيم الهزيل .

(٣) القطين : أى من كان مقيما . والمحتمل : الذى حمل رحله وانتقل .

(٤) يريد بالسافى والناخل : الريح .

(٥) نعمان : مكان . وكذلك : لوى عاقل .

(٦) الوهن : نحو من نصف الليل .

(٧) هو أبو سعد الكاتب على بن محمد أحد كتاب بنى بويه ، توفى سنة ٤١٤ هـ .

وكم قائل : لو كان ودُّك صَادقا لبغداد لم ترحل . فكان جوابيا :

(يُقيمُ الرجالُ الموسرون بأَرضِهمْ وترمى النَّوَى بالمقترينَ المرَامِيا)

(٤) ابن لنكك[٢]

قال فى الهجاء :

وعُصْبَة لَمَّا تَوَسَّطْتهم صارَتْ علَىَّ الأرضُ كالخَاتَم

كأَنَّهُمْ من سُوءِ أَفهامِهم لم يخرجوا بَعْدُ إلى العَالَم

يَضحَكُ أبليسُ إذا رَاءهُمْ لأَنَّهُمْ عارٌ على آدَمِ

(٥) التنوخى[٤]

قال يصف الليل والنجوم :

رُبَّ لَيْلٍ قطعتُه كصُدودٍ وفِراقٍ ما كان فيه وَداعُ

مُوحِشٍ كالثّقيلِ تَقْذَى به العَـ ـيْنُ ، وتَأبَى حديثَه الأسماعُ

وكأَنَّ النجومَ بين دُجَاهُ سُنَنٌ لاحَ بَيْنَهُن ابتِداع

وكأَنَّ السماءَ خَيمةُ وَشْيٍ وكأَنَّ الجَوْزاءَ فيها شِراع

كَانَ لَيْلًا فَصَيَّرتْه نَهارًا كُتُبٌ تَكبِتُ العِدَا ورِقَاع

---

(١) المقتر : المحتاج . والمرامى : المطارح البعيدة . وهذا البيت لشاعر قديم

(٢) هو أبو الحسن محمد الشهير بابن لنكك شاعر البصرة وأهجى أهل زمانه بالمقطعات

(٣) راءهم : رآهم .

(٤) هو القاضى التنوخى أبو القاسم على بن محمد أحد قضاة بنى بويه ونديم الوزير المهلبى .

وقال أيضا فى هـذا المعنى :

وليـــلة مُشتاقٍ كأنَّ نُجـــومَها ... قد اغتصبتْ عَيْنَ الكَرى ، وهى نُوَّمُ

كأنَّ عُيونَ السَّاهِرِينَ لِطُولِها ... إذا شَخَصتْ للأنجـم الزُّهْرِ أَنْجُمُ

كأنَّ سَوادَ الليلِ ، والفَجْرُ ضاحكٌ ... يلوح ويخفى — أســودٌ يَتبسَّمُ

وقال فى وصف رسالة :

وافَى كتابُك مثلَمـا ... وافَى بمفقودٍ بَشـير

وكأنه الإقبـال جا ... ءَ أو الشفاءُ أو النُّشُور

وكأنه شَرْخ (١) الشـبا ... بِ وعيشُـه الغَضُّ النضير

وافى وعِيرُ (٢) اللَّيـل وا ... قفَـةُ الركائبِ لا تسِـير

فأضاء لِي مِن كُل فـ ... جٍّ (٣) منـه فجرٌ مستنير

وارتدَّ طَرفُ الدَّهرِ عَـنِّى وهو مطروفٌ (٤) حسِير (٥)

ورأيت أفلاك السرو ... رِ بكل ما أهوى تدُور

وَفَضَضْـتُهُ فـكأنه ... أثواب وَشْيٍ (٦) أو حَبِير (٧)

وكأنَّهُ لَيْـلٌ يَـلُو ... حُ خلالَهُ صُبحٌ مُنير

---

(١) أول .

(٢) قافلة .

(٣) طريق .

(٤) طرفت العين : أصيبت بشىء ، فهى تدمع .

(٥) كليل .

(٦) نوع من الثياب منقوش

(٧) ثياب يمنية .

٦ — الدِّينَوَرى [١]

قال يشكو ولده :

ربَّيْتُهُ وهْوَ فَرْخٌ لا نُهُوضَ لَهُ ... ولا شَكِيرٌ ولا رِيشٌ يُوارِيهِ [٢]

حتى اذَا ٱرتاشَ، وٱشتدَّتْ قَوادِمُه ... وقد رأَى أَنَّه آتت خوافيه [٣]

مدَّ الجناحَيْن مَدًّا، ثم هزَّهُما ... وطار عَنِّى؛ فَقَلْبِى فِيهِ مَا فيه

وقال أيضا فى شكْوَى الكِبَر :

عِشْتُ من الدَّهر مَا كفَانِى ... ومرَّ ما مرَّ من زمانى

وقد حَنَتْنِى وقَوَّسَتْنى ... تسعٌ وتسعون وٱثنتان

وقد سئمت الحياةَ مِمَّا ... أَلْقَى مِن الذُّل والهَوان

ومِن أخٍ كُنتُ أَرتَجِيهِ ... لِحَادِثِ الدَّهر قَدْ قَلانى [٤]

ومِن غُلام إذا يُنادَى ... تَصَامَمَ النَّذْلُ وهو دَانى [٥]

مُدَمْدِمٌ لا أَراهُ إلَّا ... مُقَطَّبَ الوجه مَا رآنى [٦]

---

(١) هو أبو القاسم الدينورى عبد الله بن عبد الرحمن أحد رؤساء الأدباء ورءوس الكتّاب بخراسان.

(٢) الشكير : الريش أول ما ينبت ، أو الزغب .

(٣) ارتاش : تمكن من النهوض . والقوادم : كبار الريش فى مقدم الجناح . والخوافى : صغار الريش ، وهى التى تختفى تحت القوادم .

(٤) قلانى : أبغضنى وكرهنى .

(٥) تصامم : تصنع الصمم ، أى أغلق أذنه عن ندائى .

(٦) الدمدمة : التكلم فى غضب . وما رآنى : كلما رآنى .

(٧) ابن المنجم [١]

قال فى الشكوى والتوجع :

هُوَ الدَّهْرُ لم تُبدِعْ علَّ صُروفُه ... ولم يأتِ شيئًا لم أكُنْ أتخيَّلُهْ [٢]

وما رَاعَنِي المكروهُ إذ هو عادتى ... لَدَيْه، ولكِنْ راعَ قلبى تعجُّلُهْ

تعجَّلَ حتى كادَ آخرُ فِعلِهِ ... يجىء، ولمَّا ينقطعْ بعدُ أوَّلُهْ

(٨) الضَّبِّى [٣]

قال يصف الليل والسهر :

رُبَّ ليلٍ سهِرتُهُ ... مُفكِرًا فى امتدادِهِ

كلَّما زِدتُ رَعْيَهُ ... زادَنِى مِنْ سَوَادِهِ

فتبيَّنْتُ أنَّهُ ... تائهٌ فى رُقادِه

أو تفانَتْ نُجُومه ... فبَدا فى حِدادِهِ

(٩) أبو الفضل الميكالى [٤]

قال فى التوجع وفى شكوى الدهر :

يا دَهْرُ ما أقساك يا دَهْرُ ... لم يَحْظَ فيكَ بِطائلٍ حُرُّ

أمَّا اللئامُ فأنتَ صاحِبُهُمْ ... ولَهُمْ عليكَ العَطْفُ والنَّصْرُ

يَبْقَى اللئيمُ مَدَى الحياة فلا ... يَرتاعُ مِنه لِحادثٍ صَدْرُ

تصفو له الدنيا بِلا كَدَرٍ ... ويُطيعُه فى عَيْشِهِ اليُسرُ

---

(١) هو أبو الحسن بن المنجم من الأدباء فى الدولة البويهية .

(٢) أبدع : أنشأ وخلق ، أى لم يأت بشىء كان مجهولا . وصروفه : حوادثه .

(٣) هو أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبى أحد وزراء بنى بويه .

(٤) هو أبو الفضل عبيد الله الميكالى بقية آل الميكال أمراء فارس .

فمَرامُهُ سَهْلٌ ، وكوكبُهُ سَعْدٌ ، وغُصْنُ سُرورِه نَضْر

وعلى الكريم يدٌ يُسَلِّطُها مِنكَ الجفاءُ المُرُّ والقَسْر

انْ نابَ خَطْبٌ فهوعُرضَتُه يَفْرِيه منه النَّابُ والظُّفْر (١)

أو يبغِ مَعْروفًا لديك غدًا يُنْحِى عَلَيه حادثٌ نُكْر (٢)

مَرْعاهُ جَدْبٌ ، والحظوظُ له حَرْبٌ ، وجانبُ عَيْشه وَعْر

وجَناهُ شَوْكٌ ، والبُحورُ لَهُ وَشَلٌ ، وحَشْوُ فُؤاده جَمْر (٣)

يادَهْرُ دَعْ ظُلْمَ الكرامِ فَهُمْ عِقْدٌ لنَحْرِك لَوْ دَرَى النَّحْر (٤)

سالمْهُمُ ، واستَبْقِ وُدَّهُمُ فهمُ نجومُ ظلامِك الزُّهْرُ

وقال فى وصف النرجس :

أهلًا بنَرجس رَوْضٍ يُزْهَى بُحُسنٍ وطِيبِ

يرنُو بِعَينِ غَزالٍ على قَضيبٍ رَطيب

وفيه مَعْنًى خَفِيٌّ يَزِينُه فى القلوب

تصحيفه ان نسقتَ الْـ حُروفَ بِرٌّ حبيب (٥)

---

(١) عرضته : هدفه ، ومرمى ضرباته .

(٢) الحادث النكر : الشديد الذى ينكر لفظاعته .

(٣) الوشل : الماء القليل .

(٤) النحر : موضع القلادة من الصدر .

(٥) التصحيف : التحريف والغلط فى قراءة الحروف ، أى أن لفظ "نرجس" لو قرئ مصحفا ولم يكن منقوطا لكان : برحبيب : أى مودته وعطفه .

١٠ — الأبيوردى[١]

قال فى الشكوى :

قالوا : هجرتَ الشعرَ . قُلتُ : ضَرورةٌ ... بابُ البواعث والدواعى مُغْلَقُ
خلَتِ البلادُ ، فلا كريمٌ يُرْتَجى ... منه النوالُ ، ولا مَليحٌ يُعشَقُ
ومن العجائب أنه لا يُشترَى ... ومع الكساد يُخانُ فيه ويُسرقُ

وقال أيضا يستحث على اقتفاء أثر الآباء الكرام :

بأَبى — وإن عظُم الفداءُ — فتًى ... لِلْهَمِّ فى جَنْبَيْهِ مُعْتَرَكُ
نَبَّهْتُه والليلُ مُعتكِرٌ ... ونجُومُه فى الأفق تَشتَبِكُ (٢)
ومَشَى على كَسَلٍ ، فقُلْتُ له ... عَثَرتْ بك الوَخَّادَةُ الرَّمِكُ (٣)
أَرَضِيتَ أمرا لا يزالُ به ... فى الذلِّ عِرْضُ أخيك يُنْتَهَكُ ؟
والدهرُ يَرْمِى بالخطوب ، وفى ... غُلَوائِها الأيّامُ تنهَمِكُ (٤)
ما نحنُ من سُوَقٍ فنُشبِهَهُمْ ... لم يُنْمِنا إلا أبٌ مَلِكُ (٥)
فانظر الى الأجداد كيف سَعَوا ... للمَكْرُماتِ وأيَّةً سَلَكوا
هلّا أخذتَ بهَدْيهم ! فهمُ ... تركُوا العُلا لك . فارعَ ما تركوا
وآطلبْ مَداهُمْ ؛ إنهم نَفَرٌ ... عاشوا بذكرهمُ ، وقد هلكوا
واذا عَجَزْتَ ولم تُلِمَّ به ... فالعجْزُ بعدَ طِلابِه دَرَكُ (٦)

---

(١) هو أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردى الأموى الشاعر المشهور . ولد بأبيورد من بلاد خراسان ومات بأصبهان سنة ٥٥٧ هـ .
(٢) اعتكر الليل : اشتد ظلامه .
(٣) الرمك : اسم جمع لرمكة ، وهى الفرس . والوخادة : السريعة الجرى .
(٤) غلواء الخطوب : شدتها وصولتها .
(٥) السوق : جمع سوقة . وهم الرعية ، أى ما دون الملك .
(٦) الدرك : بلوغ القصد . أى أنك إذا بذلت الجهد سعيا إلى شىء فلم تصبه ، فكأنك أصبته لأن على المرء أن يسعى .

(١١) الطُّغرائى[١]

وقال مؤيد الدين الطغرائى يصف الغدير :

عُجْنَا الى الجِزْع الذى مَدَّ فى ... أرجائه الغَيْمُ بِساطَ الزَّهَرْ[٢]

حَوْلَ غَدِيرٍ ماؤه المنتمى ... الى بَنات المُزْن يشكو الخَصَر[٣]

لو لاذت الريحُ سَمُوما به ... لانقلبتْ وهْى نَسِيمُ السَّحَر[٤]

حَصباؤُه دُرٌّ و رَضْراضُه ... سُحَالَةُ العَسْجد حَوْل الدُّرَرْ[٥]

وقد كَسَتْه الريحُ من نَسجِها ... دِرْعًا بها يَلْقَى نِبالَ المَطَر[٦]

وألْبسته الشمسُ من صِبْغِها ... نُورًا به يخطِفُ نُورَ البَصَر

كأنَّهُ المرآةُ مَجْلُوَّةً ... على بِساطٍ أَخْضَرٍ قد نُشِرْ

وله فى الأعداء والحساد :

جامِلْ عَدُوَّكَ ما استطعتَ ؛ فإنه ... بالرِّفْق يُطْمَعُ فى صَلاحِ الفاسِدِ

واحذرْ حَسودَكَ ما استطعتَ ؛ فإنَّه ... إن نِمْتَ عنه فليس عنكَ براقد

إن الحسودَ وإن أراكَ تَوَدُّدًا ... مِنْهُ أَضَرُّ مِنَ العَدُوِّ الحاقد

---

(١) هو مؤيد الدين الأستاذ العميد فخر الكتاب آخر فحول المشرق فى الشعر ومن شعره لامية العجم المشهورة ، وله ديوان مطبوع قتل فى فتنة سياسية سنة ٥١٣ هـ .

(٢) عجنا : ملنا ، والجزع : المتسع المنبت من الوادى أو وسطه ذو الأشجار والنبات .

(٣) المزن : السحاب ، والمراد بالبنات مطرها . والخصر : البرودة فى الماء .

(٤) لاذت الريح به : التجأت ومالت إليه . أى أنه لنداه وطيب جوه لو جاءته ريح سموم حارة لبردت وأشبهت نسيم السحر .

(٥) الحصباء : الحصى . والرضراض : صغار الحصى . والعسجد : الذهب . وسحالته : برادته .

(٦) الدرع : قميص من زرد الحديد يلبس وقاية من سلاح العدو . والنبال : جمع نبل : وهو السهم .

ولرُبَّمَا رَضِىَ العدُوُّ إذا رأى ... منكَ الجميلَ فَصارَ غَيْرَ مُعاند

ورِضَا الحَسُودِ زوالُ نِعمتك التى ... أُوتيتَها مِن طارِفٍ أو تالد[1]

فاصْبِرْ على غَيْظِ الحسود فَنَارُهُ ... تَرْمِى حَشاهُ بالعذاب الخالد

أو ما رأيتَ النارَ تَأْكُلَ نَفْسَها ... حتى تَعُودَ الى الرَّمادِ الهامِدِ

تَضْفُو على المحسودِ نعمةُ ربِّه ... ويذُوبُ من كَمَدٍ فُؤَادُ الحاسد

ومن لاميته المشهورة فى الحكم :

حُبُّ السلامةَ يثْنى هَمَّ[2] صاحبه ... عنِ المعالِى ويُغرِى[3] المرء بالكسلِ

فإن جَنحت إليه فاتخِذ نَفَقاً ... فى الأرضِ أو سُلَّماً فِى الجو فاعتزلِ

ودع غِمار[4] العلا للمقدِمين على ... ركوبها واقتنِع مِنهن بالبَلَلِ

رضا الذليلِ بِخفضِ العيش مسكنة ... والعِز عِند رسِيمِ[5] الأينق الذللِ

إن العلا حدثتنى — وهى صادِقة ... فيما تحدث — أن العِزَّ فى النُّقَلِ[6]

لو أن فِى شرف المَأْوَى بلوغ مُنًى ... لم تبرحِ الشَّمسُ يوما دارة الحَمَلِ[7]

وقال يرثى مؤيّد الملك وقد مات مقتولا و بقى بالعراء عدة أيام بغير دفن :

ما بَعْد يومِك لِلحزين الموجعِ ... غيرُ العَويلِ[8] وَأَنَّةِ[9] المتفجعِ[10]

يوم أُصِيب الدين فِيه وعطلت ... أحكامه ، فكأَنها لم تشرعِ

ومضى الذى كنا نروع[11] بِذِكرِهِ ... نُوَب[12] الزمان ، فما له من مَرْجعِ

من ذا رأى الأسد المدِلَّ[13] ببأسِه ... شِلْواً[14] طريحا بالعَراء[15] البلْقَعِ[16]

---

(١) الطارف : الجديد المستحدث ، والتالد : القديم المأثور .

(٢) عزم (٣) يولع (٤) جمع غمر . وهو الماء الكثير .

(٥) سير . (٦) جمع نقلة بمعنى الانتقال . (٧) أحد بروج الشمس .

(٨) رفع الصوت بالبكاء . (٩) التأوه من الوجع . (١٠) المتوجع للمصيبة .

(١١) نخيف . (١٢) مصائب . (١٣) المتكبر .

(١٤) الشلو هنا : بقية البدن . (١٥) الفضاء . (١٦) الأرض القفر .

اعزِزْ (١) علَيَّ بأَن أسرِّح ناظِرِى ... فِي مجمعٍ وسواكَ صَدرُ المَجْمعِ

لَهَفِى (٢) عليك لِمستجيرٍ يبتغى ... وَزَرًا (٣) لديك وما له مِن مفزعِ

جَمحَتْ (٤) بك الهِممُ التى لاتنثنِي ... عما تروم من المرامِ الأَمنعِ (٥)

ووقفتَ حيثُ السيفُ يرعدُ متنُهُ ... لم ترتعِد فَرَقًا (٦) ولم تتخشعِ

فِي موقفٍ بين الصوارِمِ والْقَنَا ... ضَنْكٍ (٧) ويومٍ للكريهةِ أشنعِ

ضاقت بِك الدنيا فعِفْت جِوارَها ... ونزعت نحو الخلدِ أكرم منزَعِ

كلٌّ إلى أَمدٍ يصيرُ، فَمُقْعَصٌ (٨) ... بالسيفِ أَروَح من مَرِيضٍ موجَعِ

وقال يرثى زوجته :

ولم أَنْسَها، والموتُ يقبِض كفَّها ... ويَبسُطُها، والعينُ تَرنُو وتُطْرِقُ

وقد دَمَعَتْ أجفانُها فوقَ خَدها ... جَنَى نَرْجِسٍ فيه النَّدَى يَتَرَقْرَقُ

وحلَّ مِنَ المَقْدور ما كنتُ أتَّقِى ... وحُمَّ مِن المحذور ما كنتُ أفْرَق (٩)

وقِيلَ : فِراقٌ لا تَلاقِى بعدَه ! ... ولا زادَ إلا حسرةٌ وتحرُّقُ!

فلو أنّ نفسًا قَبلَ مَحْتُومِ يومها ... قَضتْ حَسَراتٍ كانتْ الرُّوحُ تَزْهَق (١٠)

هِلالٌ ثَوَى مِنْ قبل أن تمَّ نُورُه ... وغُصْنٌ ذَوَى فَيْنانُهُ وهوَ مُورِق (١١)

فَوَاعَجَبًا أنَّى أُحِمَّ اجتماعُنا؟ ... ويا حَسرَتى من أين حَلَّ التفرُّقُ؟ (١٢)

---

(١) أعزز : فعل تعجب أتى على صورة الأمر ، اى ما اعزه !
(٢) حسرتى . (٣) ملجأ . (٤) أشرعت .
(٥) الصعب على مريده وطالبه . (٦) خوفا . (٧) ضنق .
(٨) المقعص : الميت من ضربة أو رمية .
(٩) حم الأمر : قضى ووقع . وافرق : أخشى .
(١٠) المحتوم : الذى لا مفر منه . يريد أنه لو أن امرأ تقضى عليه حسرته قبل انقضاء أجله لزهقت روحه من طول ما يتحسر و يحزن لمصابه .
(١١) الفينان هنا : الكثير الأهداب والورق .
(١٢) أحم : قدر . يتعجب من اجتماعهما الذى آل إلى فراق ، و يتحسر لهذه الفرة التى ليس لها لقاء

وله فى أعدائه :

نَكِرُوا عَلَىَّ معايِبِى فحَذِرتُهَا ... ونَفَيْتُ عن أَخْلاقِىَ الأَقذاءَ (١)

ولربما انتفَعَ الفَتَى بعَدُوِّهِ ... والسمُّ أحياناً يكونُ شِفاءَ

(١٢) السَّهْرَوَرْدىّ (٢)

قال فى الفلسفة والتصوف :

قُلْ لِأَصحابٍ رَأَوْنِى مَيِّتًا ... فبكَوْنِى إذْ رَأَوْنِى : حَزَنا

لا تَظُنُّونى بأنّى مَيِّتٌ ... لَيس ذَاكَ المَيِّتُ واللهِ أنا

أَنا عُصْفورٌ ، وهذا قَفَصِى ... طِرْتُ عنهُ ؛ فتخَلَّى رَهَنَا (٣)

فَاخْلَعُوا الأنفُسَ عن أجسادِها ... فترَوْنَ الحقَّ حقًّا بَيِّنا

لا تَرُعْكُمْ سَكْرَةُ المَوْتِ فما ... هىَ الا بانتقالٍ من هُنا

(١٣) الرفاعى (٤)

من قوله فى العشق الصوفى :

اذا جَنَّ ليْلِى هامَ قلْبِى بذِكرِكمْ ... أَنوحُ كما ناح الحمامُ المطَوَّقُ

وفَوْقِى سَحابٌ يُمطِرُ الهَمَّ والأَسَى ... وتحتِى بِحارٌ بالأَسَى تَتَدفَّق

سلُوا أمَّ عَمْرٍو كيفَ باتَ أَسِيرُها ... تُفَكُّ الأُسارَى دونَه وهْو مُوثَق ؟

فلا هو مقتولٌ ، ففِى القتلِ راحةٌ ... ولا هُوَ مَمنونٌ عليهِ فَيُطلَقُ

---

(١) الأقذاء : جمع قذى ، وهو ما يقع فى العين من غبار أو غيره من صغار الأشياء ، فيؤذيها . تريد ما يشوب الاخلاق من الصغائر وما يذم .

(٢) هو شهاب الدين عمر السهر وردى ، وهذه الأبيات قالها وهو يجود بنفسه لما قتل سنة ٥٨٦ هـ بقلعة حلب ، قتله صلاح الدين لتوهمه أنه يفتن ابنه بالكفر .

(٣) الرهن : ماوضع عندك لينوب مناب ما أخذ منك ، أى : خليت القفص نائبا منابى .

(٤) هو أبو العباس أحمد الرفاعى صاحب الطريقة الرفاعية الصوفية ، المتوفى بقرية أم عبيدة ببطائح البصرة سنة ٥٧٨ هـ .

١٤ — السَّرِيُّ الرَّفَّاءُ [١]

قال يصف مجلسا اتخذه الحسن بن محمد المهلّبي وزير معز الدولة ذات ليلة على برك وفوارات رُكِّبت حولها رِماح علّق عليها شمع فكوّن ذلك منظرا حسنا :

فضلت ليالِي القَصفِ [٢] ليلتُك التى ... هِى فِى المحاسِنِ غادةٌ حسْناء

رقت غياهِبها [٣] فهن غلائِل [٤] ... وسجت [٥] جنائبها [٦] فهن رخاء

بِرَكٌ تحلّت بالكواكب أرضُها ... فارتدّ وجهُ الأرض وهْو سَماء

رُفِعَت إلى الجوْزاء [٧] فوّاراتها ... عُمُدا تصاب بصوبها [٨] الجوزاء

مِثلَ القَنا [٩] الخَطِّىِّ [١٠] قُوِّم مَيْلُه ... وجَرَتْ عليهِ الفِضَّةُ البيضَاء

حتى إذا انتشرت جلابيب الدُّجَى ... وتكاثفت مِن دونها الظَّلْماء

فَرَّجْنَها بصحائحٍ إن تَعْتَلِلْ ... فلهنَّ مِن ضَرْبِ الرِّقابِ شِفَاءُ

شَمَعاً حَمَلْنَ على الرِّماحِ رِماحَه ... فَقُدودُهن [١١] وما حَمَلْنَ سَواءُ

---

(١) هو أبو الحسن السرى بن أحمد الكندى شاعر وصّاف مدّاح نشأ بالموصل ، وكان يتكسب فى صباه برفو الثياب وتطريزها ، ثم نظم الشعر فأجاده ، وقصد سيف الدولة بحلب ، فأقام معه حتى مات سيف الدولة ، ثم قصد بغداد ، فمدح رؤساءها ، ومات بها سنة ٣٦٦ هـ .

(٢) فضلت : امتازت وفاقت . والقصف : اللهو . (٣) جمع غيهب : الظلمة .

(٤) جمع غلالة : شعار يلبس على الجسد تحت الثياب . (٥) سكنت .

(٦) جمع جنوب ، وهى ريح حارة . (٧) نجم .

(٨) الصوب : المطر . يريد ما يتصعد من ماء الفوارات . (٩) الرماح .

(١٠) نسبة إلى الخط وهى بلد بالبحرين تصنع بها الرماح .

(١١) قاماتهن .

وقال يصف الروْض والجو فى يوم ظهر فيه قوس قُزَح :

وصاحبٍ يقدح لِي نار السرور بالقدح[١]
فى روضة قد لبست من لؤلؤ الطَّلِّ سُبَح[٢]
يالغنا[٣] حَمَامِهَا مُغْتَبَقاً[٤] ومصطبَح[٥]
اوقِظه بالعزف[٦] أو يوقِظُنى إذا صدح[٧]
والجوُّ فى مُمَسَّكٍ[٨] طرازه[٩] « قوس قزح »[١٠]
يبكى بلا حُزْنٍ كما يضحك مِن غيرِ فرح

وقال يعاتب صديقا أفشى له سرا :

رأيتك تبدى للصديق نوافذا عدوُّك منْ أمثالِهَا الدهرَ آمِن
وتكشِف أسرَار الأخِلَّاء مازحاً ويا ربَّ مَزْحٍ راحَ وهو ضَغَائِن
سأحفظ ما بينى و بينك صائنا عهودك ، إن الحُرَّ للعهد صَائِنُ
وألقاك بالبِشر الجميل مداهِنا[١١] فلى منك خِل ـ ماعرفتُ ـ مُدَاهِنُ
أَنَمُّ[١٢] بما استُودِعتَه مِن زُجاجَةٍ ترى الشىء فيها ظاهرا وهو باطن

---

(١) إناء يشرب فيه الخمر . (٢) جمع سبحة وهى خرزات يسبح بها .
(٣) قوله : يالغنا حمامها ! : يعجب من غناء حمامها وحسن صوته .
(٤) وقت اغتباق الخمر ، أى شربها مساء .
(٥) وقت اصطباح الخمر ، أى شربها صباحا .
(٦) الغناء . (٧) غنى . (٨) مطيب بالمسك . (٩) وشيه .
(١٠) « قوس قزح » : طرائق منقوشة تبدو فى السماء غب المطر بحمرة وصفرة وخضرة وغيرها من الألوان .
(١١) المداهن : الذى يظهر خلاف ما يضمر .
(١٢) أنم : أفعل تفضيل من : نم ، أى أفشى .

(١٥) الجرجانى [١]

قال يمدح الوحدة ، ويذم مخالطة الناس :

ما تَطَعَّمْتُ لَذَّةَ العيشِ حتَّى ... صِرْتُ للْبيتِ والكتابِ جليسا

ليس شيءٌ أعَزَّ عندى من العِلْـ ... ـمِ ؛ فما أبتغى سواه أنيسا

إنما الذُّلُّ فى مُخالطةِ النا ... سِ فدعْهُمْ ، وعِشْ عزيزاً رئيسا

(١٦) الصابئ [٢]

قال يهجو :

يا جامعًا لخِلالٍ ... قبيحةٍ ليس تُحْصَى

نَقَصْتَ من كلِّ فضلٍ ... فقد تكاملتَ نَقْصَا

لَوْ أنَّ للجهلِ شخصًا ... لكُنتَ للجهل شَخْصَا

(١٧) الصاحب بن عبّاد [٣]

قال يذم الشماتة :

وكم شامتٍ بى بَعْدَ موْتى جاهلا ... يَظَلُّ يَسُلُّ السيفَ بَعْدَ وَفاتى

ولو عَلِمَ المسكينُ ماذا يَنالُهُ ... مِنَ الظُّلْمِ بَعْدِى ماتَ قبلَ مَماتى

---

(١) هو القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى المتوفى سنة ٣٦٦ ، وهو صاحب كتاب « الوساطة بين المتنبى وخصومه » .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ الحرانى ، كان صابئا على دين فلاسفة القدماء من اليونان ، وكان جميل العشرة للمسلمين ، وتكسب بالكتابة فى دواوين بغداد ؛ وكان رئيس الكتاب بها . وصدرت عنه نفائس الرسائل . وله شعر جميل ، ومات سنة ٣٨٤ هـ .

(٣) هو الصاحب إسماعيل بن عباد ، كاتب المشرق ، ووزير آل بويه . توفى سنة ٣٨٥ هـ .

(١٨) الخوارزمى[١]

قال يوصى بتخيّر الأصدقاء :

لا تَصحَبِ الكسلانَ فى حاجاته ... كم صالحٍ بفسادِ آخرَ يفسُدُ

عَدْوَى البَليدِ الى الجليدِ سريعةٌ ... والجمرُ يُوضَعُ فى الرَّمادِ فيَخْمُدُ[٢]

(١٩) ابن نباتة السعدى[٣]

قال يصف فرسا أدهمَ أغرَّ مُحَجَّلًا حمله عليه سيفُ الدولة :

يأيُّها المَلكُ الذى أخلاقُه ... من خَلْقِهِ ورُوَاؤُه[٤] من رائهِ[٥]

قد جاءنا الطِّرْفُ[٦] الذى أهديتَه ... هاديه[٧] يعقِدُ أرضَه بسمائهِ

أولايةً ولَّيْتَنا ؟ فبعثتَه ... رُمْحًا سَبيبُ[٨] العُرْفِ عَقْدُ لِوائهِ[٩]

نختالُ منهُ على أغرَّ مُحَجَّلٍ ... ماءُ الدَّياجى قطرةٌ من مائه

فكأنَّما لطَمَ الصَّباحُ جبينَه ... فاقتصَّ منهُ فخاضَ فى أحشائه

متمهِّلا ، والبرقُ من أسمائهِ ... متبرقِعًا ، والحُسْنُ من أكفائه

لا تَعْلَقُ الألحاظُ فى أعطافهِ ... إلا إذا كَفْكَفْتَ من غُلَوائهِ[١٠]

---

(١) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى الكاتب الشاعر اللغوى الأديب المؤلف الرحالة المدرس توفى سنة ٣٨٣ هـ . (٢) الجليد : القوى ، يريد الهمام .

(٣) هو أبو نصر عبد العزيز بن محمد بن نباتة السعدى التميمى أحد فحول الشعراء . توفى سنة ٤٠٥ هـ ببغداد . (٤) حسن المنظر .

(٥) مصدر راء التى هى مقلوب رأى . (٦) الكريم من الخيل .

(٧) عنقه . (٨) شعر العرف . (٩) شعر عنق الفرس .

(١٠) كفكف : صرف ومنع ، والغلواء : يريد السرعة ، أى لاتراه الأعين إلا إذا منعه راكبه من سرعة جريانه ، وخفف من شدة عدوه .

وقال يعزى صمصام الدولة فى أبيه :

رَأَيْتُ الدَّهرَ يا صَمْصَام أَدْنَى ... فضائِله التَّكَرُّمُ والحياءُ
فخُذ بنصيبك الموفورِ منه ... وخلِّ الحزنَ يَأْلَفُه النِّساءُ
عَلَى عاداتها جَرَتِ اللَّيالى ... فلا بُؤْسٌ يدومُ ولا رَخاءُ
تعزّ فقَبْلَ يومِ أَبيك غالَتْ ... غوائلُها (١) الملوكَ ولا سَواءُ (٢)
وكنتَ إذا السيوفُ نَبَتْ (٣) وكَلَّت ... مَضَيْتَ ، ومِنْ سجِيَّتِك المَضاءُ
فإن يَك قد طَوَتْه يدُ اللَّيالى ... فإنَّ الصُّبْحَ يطوِيه المَساء

(٢٠) البُسْتِي (٤)

قال يغرى بالكرم :

بين من يُعطى ومن يَأْ ... خُذُ فى التَّقْدِيرِ عَرْضُ (٥)
قَيْدُ المُعْطِى سماءٌ ... ويدُ الآخِذِ أَرْضُ
وعلى الآخِذِ أَن يَشْـ ... ـكُرَ ؛ إنّ الشُّكْرَ فَرْضُ

وقال أيضا فى المداولة بين الراحة والتعب :

أَفِدْ طبعَك المكدودَ بالهمِّ راحةً ... يَجِمَّ ، وعَلِّلْهُ بشىءٍ مِنَ المَزْحِ (٦)
ولكن إذا أَعطيتَهُ ذاك فليكُنْ ... بمقدارِ ما تُعطِى الطعامَ من المِلْحِ

---

(١) مصائبها ، والضمير للدنيا .
(٢) السواء : المماثلة ، أى ولا أقول إن الملوك يماثلون أباك فى الشرف والمجد والمنزلة .
(٣) لم تقطع
(٤) هو أبو الفتح البستى على بن محمد الكاتب الشاعر ، أحد المولعين بالتجنيس ، وأحد رؤساء الكتاب فى الدولة الغزنوية ، والمتوفى سنة ٤٠٠ هـ .
(٥) يريد بالعرض : البعد والبون .
(٦) يجم : يستريح ، وترجع إليه قوته ونشاطه .

وقال فى جواب كتاب :

لما أتانى كتابٌ منك مُبْتَسِمٌ ... عن كل برٍّ وفضل غير محدودِ

حكَتْ معانيه فى أثناء أسطره ... آثارَكَ البيضَ فى أحوالىَ السود

وقال أيضا فى هذا الغرض :

ما إن سمعتُ بنُوَّارٍ لَهُ ثَمَرٌ ... فى الوقتِ يُمتِعُ سَمْعَ المرءِ والبصَرا (١)

حتى أتانى كتابٌ منك مبتسمٌ ... عن كلّ لفظ ومعنًى يُشبه الدرَرَا

وكانَ لفظُك من لألائه زَهَرًا، ... وكان معناهُ فى أثنائه ثَمَرا

تسابَقَا، فأصابا القصدَ فى طَلَقٍ ... للهِ من ثَمَرٍ قد سابق الزَّهَرَا ! (٢)

(٢١) الناشئ الأصغر (٣)

قال فى معاملة الصديق :

إنى ليَهْجُرُنى الصَّديقُ تجَنِّيًا ... فأُريه أنّ لهَجْرِهِ أَسْبابَا

وأخافُ إن عاتبتُه أَغْرَيْتُه، ... فأرى لَهُ تركَ العتابِ عِتابا

واذا بُلِيتُ بجاهلٍ مُتَعاقِلٍ ... يدعُو المُحالَ من الأُمورِ صوَابا

أوليتُهُ مِنِّى السكوتَ، وربما ... كان السكوتُ عن الجواب جوَابا

---

(١) النوار : الأبيض من الزهر .

(٢) الطلق : الشوط فى الجرى ، أى فى شوط واحد .

(٣) هو أبو الحسن على بن عبد الله المعروف بالناشئ الأصغر، والشاعر البليغ المتوفى سنة ٣٦٦ هـ .

(٢٢) الأبهرى [١]

مَتَى تَرغَبْ إلى النـاسِ ... تكنْ للنـاسِ مَمْـلوكا
وإن أنتَ تخفَّفْتَ ... على النـاسِ أَحَبُّـوكا
وإن ثقَّلْتَ عافُوكَ ... ومـلُّوكَ وسَـبُّوكا [٢]
اذا ما شِئْتَ أن تُعصَى ... فَمُـرْ مَن ليس يَرْجوكا
وسلْ مَنْ ليس يَخْشاكَ ... فيَدْمَى عِنْـدَهَا فُوكا [٣]

(٢٣) صَرْدُرّ [٤]

قال يصف كتيبة [٥] :

وفوارِسٍ يصْـلَون نِيران الوغَى ... مِمـا تُثِـير جِيادُهم بِدُخَان
جَنَبُوا [٦] إلى الأعداء كل طِمِرَّةٍ [٧] ... بُنِيتْ مفاصِلُها عَلَى شَيْطان
طَلَعُوا طُلوعَ الشَّمسِ يَغْمُرضوؤُها ... هامَ [٨] الرُّبا ومَغَابن [٩] الغِيطان
فى كل معتركٍ تُجِيل كُمَاتُهم ... قدْحًا يفُوزُ إذا التَقَى الجُمْعَان

---

(١) هو أبو الحسن على بن مأمون الأبهرى ، أحد شعراء الجبل وطبرستان .

(٢) عافوك : كرهوك ورغبوا عنك .

(٣) يدمى : يسيل دمه . أى يلقاك من رد سؤالك بما يكون لفمك كالجرح الدامى .

(٤) هو على بن الحسن ، أحد الشعراء المشهورين ، جمع جودة السبك وحسن المعنى . توفى سنة ٤٦٥ هـ بطريق خراسان .

(٥) الكتيبة : الجماعة من الخيل ، تكون للإغارة والغزو

(٦) قادوا .

(٧) الفرس الجواد .

(٨) رءوس .

(٩) ما استتر من الأرض .

فاسألْ جبالَ الرُّومِ لمَّا طَوَّقُوا ... أعناقَهُمْ مِن جَمْعِهِمْ برعَانِ[١]
تركوا المعارِكَ كالمناحِرِ[٢] من مِنًى[٣] ... وجَماجِمَ[٤] الأعداءِ كالقُرْبانِ
فكأنما فَرشَ النَّجيعُ[٥] تِلاعَها[٦] ... ووِهَادَها[٧] بشَقائِقِ النُّعمانِ[٨]

وقال يستهدى مدادا ويصف الدواة والقرطاس والقلم :

إليك أشكو مشيباً لاحَ بارِقُه ... فى فرعِ دهْماءَ[٩] تجرى بالأساطِيرِ
كانت مفارِقُها مِسكًا مضمَّخَةً ... فمالَها بدِّلَتْ مِنْهُ بكافُورِ[١٠]
ومُقْلَةٍ عُهِدَتْ كَحْلاءَ مَرَّهَا[١١] ... طُولُ البُكاءِ على بيضِ الطَّوامِيرِ[١٢]
ياحبَّذا هى والأقلامُ وارِدةٌ ... فيها وصادرةٌ سُحْمُ[١٣] المناقيرِ

---

(١) جمع رعن ، وهو أنف يتقدم الجبل ، ويطلق على الجيش الذى له فضول كرعان الجبال ، وهو المراد هنا .

(٢) المذابح .

(٣) منسك من مناسك الحج .

(٤) جمع جمجمة وهى عظم الرأس المشتمل على الدماغ .

(٥) الدم .

(٦) جمع تلعة : المرتفع والمنخفض معا من الأرض ، والمراد هنا المرتفع .

(٧) جمع وهدة وهى المنخفض من الأرض .

(٨) نبت أحمر ، واحدتها شقيقة ، سميت بذلك لحمرتها على التشبيه بشقيقة البرق ، وأضيفت إلى النعمان ابن المنذر ملك الحيرة لانه حمى أرضا فكثرت فيها .

(٩) الدهماء : التامة السوداء شبه بها الدواة لما فيها من سواد مدادها ، وأن القلم يجرى منها بالسطور .

(١٠) أى أن هذه الدواة كانت سوداء كالمسك لكثرة مدادها الأسود فأصبحت بيضاء كالكافور لذهاب مدادها .

(١١) أخلاها من الكحل .

(١٢) جمع طومار وهو الصحيفة .

(١٣) جمع أسحم وهو الأسود .

كأنما كَرَعَتْ (١) فى ناظِرَىْ رَشَإٍ (٢) أو فى سُوَيْداءِ قلب غير مسرور
تحوى القراطيسُ منها روضةً أُنُفًا (٣) بها مفاخرةُ الظَّلْماءِ للنُّور
فكيف لى بخِضابٍ (٤) تسترد به من الشبيبةِ لونا غيرَ مهْجُور
لو أنَّ صِبغَتَه فازَ الشبابُ بها لما رَمَى الدهرُ فَوْدَيهِ (٥) بتَغْيير

(٢٤) السلامى (٦)

قال يصف نهرا نبتت عليه أشجار الرمان :

ونهرٍ تمرحَ الأمواج فيه مِراحَ (٧) الخيل فى رَهَج (٨) العُبَار
إذا اصفرَّت عليه الشمسُ خِلْنَا نَمِير (٩) الماءِ يُمْزَجُ بالعُقَار (١٠)
كأنَّ الماءَ أرصٌ مِن لُجَيْنٍ (١١) مُغَشَّاةٌ صَفَائحَ (١٢) مِن نُضَار (١٣)
وأشجارٌ مجمَّلَةٌ كؤوسا تَضَاحَكُ (١٤) فى احمرارٍ واخضرار
إذا أبصَرْنَ فِى نهرٍ سماءً وهَبْنَ لهُ نُجومَ الجُلَّنَار (١٥)

---

(١) شربت .
(٢) ولد الغزال ، والمراد أنها أخذت من عينيه السواد .
(٣) جديدة ، لم يرعها أحد . (٤) مايختضب به ، أى يصبغ به الشعر .
(٥) مثنى فود وهو جانب الرأس . يقول : لو أن سواد المداد الذى تبعث به هدية إلى يظفر بمثله الشباب لعجز الدهر عن أن يصيب الشعر الذى يصبغ به بشيب .
(٦) هو محمد بن عبد الله السلامى من أشهر شعراء العراق ، ولد ببغداد سنة ٣٣٦ هـ . وقال الشعر فى العشرين من عمره . واتصل بالصاحب بن عباد و بعضد الدولة فبلغ عندهما منزلة حسنة . وتوفى سنة ٣٩٤ هـ .
(٧) نشاط . (٨) الرهج الغبار نفسه . فالإضافة بيانية .
(٩) الماء الناجع فى الرى . (١٠) الخمر .
(١١) فضة . (١٢) ألواح . (١٣) ذهب .
(١٤) أصله تتضاحك ، حذفت إحدى التاءين تخفيفا .
(١٥) زهر الرمان .

(ب) النـــثر

أولا — النـــثر الفنى

(١) ابن العميد [١]

من كتاب له فى التهديد واللوم :

كتابى وأنا مُتَرَجِّحٌ بين طمَع فيك و يأس منك، و إقبالٍ عليك، و إعراض عنك، فإنك تُدِلُّ[٢] بسابق حُرمة . وتَمُتُّ[٣] بسالف خِدمة . أيسرُهما يُوجِبُ رِعاية، و يَقتضى محافظة وعناية . ثم تشفَعُهما بحادثِ غُلول[٤] وخِيانَةٍ، وتُتْبِعُهما بآنف[٥] خِلاف ومَعصية . وأدنى ذلك يُحبِط[٦] أعمالَك، و يَستحَقُّ كلَّ ما يُرعَى لك، لاجَرَمَ أنى وقفتُ بين مَيلٍ إليك وميل عليك، أُقدِّمُ رِجلا لِصدِّك، وأؤخّر أخرى عن قَصْدِك، وأَبسُطُ يدًا لإصطلامك[٧] واجتياحك، وأَثنى ثانية لاستبقائك واستصلاحك[٨]، وأتوقّفُ عن امتثال بعض المأمور فيك[٩]. ضِنًّا بالنعمة عندك، ومنافسةً فى الصنيعة لديك[١٠]، وتأميلا لفَيْئَتِك وانصرافك، ورجاءً لمراجعتك وانعطافك[١١]؛ فقد يَغرُبُ العقل ثم يؤوب . و يَعزُبُ

---

(١) هو الأستاذ الرئيس أبو الفضل محمد بن الحسين العميد كاتب المشرق ووزير عضد الدولة البويهى وصاحب طريقة الشعر المنثور توفى سنة ٣٦٠ هـ .

(٢) الادلال : الانبساط وفرط الثقة بالمدل عليه .

(٣) وتمت : تتوسل وتتصل .

(٤) الغلول : الخيانة .

(٥) آنف ، يريد : جديد .

(٦) ويحبط : يبطل .

(٧) الاصطلام : الاستئصال ومثله الاجتياح .

(٨) الامتثال ، يريد به الطاعة والانفاذ .

(٩) الصنيعة : الاحسان والتكرم .

(١٠) لفيئتك : لرجوعك ، أى إلى الطاعة .

(١١) يغرب : يذهب و يغيب . و يعزب : مثل يغرب .

اللُّبّ ثم يَثُوب . ويَذْهَبُ الحَزْم ثم يعود . ويَفسُد العَزْم ثم يَصْلُح . ويُضاع الرأى ثم يُستَدْرك ، ويَسكَرُ المرءُ ثم يَصحو ، ويكْدُرُ الماءُ ثم يصفو ، وكل ضِيقة إلى رخاء . وكلُّ غَمْرة[1] فإلى انجلاء . وكما أنَّكَ أتيتَ من إساءَتك بما لم تَحتسبْهُ أولياؤُك ، فلا بِدْع أن تأتِيَ من إحسانك بما لا ترتقبه أعداؤُك . وكما استمَرَّتْ بك الغفلةُ حتى رَكِبْتَ ما ركبت ، واخترت ما اخترت ، فلا عجب أن تنتبه انتباهةً تُبصِرُ فيها قُبحَ ما صنَعت ، وسوءَ ما آثَرْتَ[2] . وسأُقيمُ على رَسمي[3] فى الإبقاء والمماطلة ما صَلُح ، وعلى الاستيفاء والمطاولة ما أمكن ، طمَعًا فى إنابتك[4] ، وتحكيما لحُسن الظنِّ بك . فلستُ أَعْدَم فيما أُظاهِرُه من إعذار[5] ، وأُرادِفُه من إنذار ، احتجاجًا عليك ، واستدراجا لك ؛ فإن يَشَإِ اللهُ يرشدْك ، ويأخُذْ بك إلى حَظِّك ويُسَدِّدْك ؛ فانه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

وكتب إلى أبى عبد الله الطبرى :

كتابى وأنا بحالٍ لَوْ لَمْ يُنغِّصْ منها الشوقُ إليك ، ولم يُرنِّق[6] صَفوَها النزاعُ[7] نحوك ، لَعَدَدتُها من الأحوالِ الجميلة ، وأعددتُ حَظِّى منها فى النِّعَم الجليلة ، فقد جمعتُ فيها بين سلامةٍ عامّة ، ونِعمةٍ تامّة ، وحَظِيتُ منها فى جسمى بصَلاح ، وفى سَعْيي بنجاح ؛ لكنْ ، ما بَقِيَ أن يَصفوَ لى عَيْشٌ مع بُعدى عنك ، ويَخلُوَ ذَرْعِى[8] مع خُلُوّى منك ،

---

(١) الغمرة : التغطية بالماء كموجة البحر تغمر السابح ثم تنكشف عنه . والمراد بها هنا المرة من حدوث الشدائد والمحن والمصائب . (٢) الرسم : أى ما رسمه لنفسه من تأجيل مؤاخذته .

(٣) الاستيفاء : التمهل والانتظار . (٤) الإنابة : الرجوع عما هو عليه .

(٥) من عمل ينفى عذرك فى المعصية ويكفل الرضا عنك .

(٦) يرنق : يكدر . (٧) النزاع نحوك : الميل والشوق إليك .

(٨) يقال : فلان خالى الذرع : أى فارغ القلب من الهموم ويراد بالذرع : الطاقة وسعة النفس والخلق .

ويسوغ لى مطعمٌ ومشربٌ مع انفرادى دونك . وكيف أطمعُ فى ذلك وأنت جزءٌ من نفسى ، وناظمٌ لشملِ أُنسى . وقد حُرِمتُ رُؤيتك ، وعدِمتُ مُشاهدتك . وهل تسكُنُ نفسٌ متشعّبةٌ ذاتُ انقسام ، وينفعُ أُنسُ بيتٍ بلا نظام ؟ وقد قرأتُ كتابك — جعلنى اللهُ تعالى فداءك — فامتلأتُ سُرورًا بملاحظةِ خطّك ، وتأمّلِ تصرُّفك فى لفظك . وما أقرظُهما ؛ فكل خصالك مقرَّظ عندى . وما أمدحُهما ؛ فكل امرِك ممدوحٌ فى ضميرى وعقدى (١) . وأرجو أن تكونَ حقيقةُ أمرِكَ موافقةً لتقديرى فيك ، فانْ كانَ كذلك (٢) وإلّا فقد غطّى هواكَ وما ألقَى على بصرى . (٣)

(٢) الصاحب بن عباد (٤)

رقعة منه إلى القاضى أبى بشر الفضل بن محمد الجرجانى عند وروده باب الرى وافدا عليه :

تحدّثتِ الرّكابُ بسَيْرِ أروَى ... إلى بلدٍ حَطَطْتُ به خيامى (٥)

فكدتُ أطيرُ من شوقى إليها ... بقادمةٍ كقادمة الحَمام (٦)

أحقٌّ ما قيل أمرُ القادم ، أم ظنٌّ كأمانى الحالم ؟ لا والله ! بل هو دركُ العيان ، وإنه ونيلَ المُنى سِيّان ، فمرحبًا أيها القاضى براحلتك ورَحْلِك (٧) ! بل أهلًا بك

---

(١) العقد هنا : الاعتقاد أو العهد .

(٢) فى الكلام إيجاز حذف ، والتقدير : فان كان كذلك فحسن .

(٣) هذا شطر بيت تمثل به الكاتب .

(٤) هو كافى الكفاة أبو القاسم إسماعيل الصاحب بن عباد ، وزير آل بويه وكاتبهم ، وأحد أعلام البلغاء والكتاب من حلبة ابن العميد فى كتابة الشعر المنثور ، توفى سنة ٣٧٥ هـ .

(٥) أروى : اسم امرأة .

(٦) القادمة : واحدة القوادم ، وهى كبار الريش التى فى مقدم الجناح .

(٧) الراحلة : ما يصلح من الإبل للرحلة والسفر . والرحل ما استصحب فى الارتحال من الأثاث .

وبكافة أهلك، ويا سُرعةَ ما فاح نسيمُ مَسْراك، ووجدنا رِيحَ يوسفَ من رَيّاك. فَحُثَّ المَطِيَّ تُزِلْ غُلَّتِي بسُقياك، وتُزِحْ عِلَّتِي بلُقياك، ونُصَّ على يَومِ الوُصول لنجعلَه عِيدا مشرَّفًا، وتتخذَه مَوْسِمًا ومُعَرَّفًا (١). وردُّ الغُلامَ، أسرعَ من رَجْع الكلام، فقد أمرْتُه أن يَطيرَ على جَناح نَسْر، وأن يتركَ الصَّبا فى عِقالٍ وأَسْر (٢):

سقى اللهُ داراتٍ مررْتَ بأَرضِها ... فأَدَّتْك نحوِى يا زيادُ بنَ عامِرِ

أَصائلُ قُرب أَرْتَجِى أَن أَنالَها ... بلُقياكَ قد زَحْزَحْنَ حَرَّ الهواجرِ (٣)

* * *

وله فصل من كتاب إلى ابن العميد جوابا لكتابه إليه فى وصف البحر:

وصل كتابُ الأُستاذِ الرئيس صادرًا عن شَط البحرِ بوَصْف ما شاهدَ من عجائبِه، وعايَنَ من مراكبِه، ورآهُ من طاعةِ آلاتِها للرِّياح كيف أَرادَتْها، واستجابةِ أدواتِها لها متى نادتْها، وركوب الناس أشباحَها والخوفُ بمَرْأى ومَسْمَع، والمنونُ بمَرقَبٍ ومطلَع، والدهرُ بين أخذ وترْك، والأرواحُ بين نجاةٍ وهُلْك، إذا فكَّرُوا فى المكاسب الخطيرة هانَ عليهم الخَطَر، واذا لاحت لهم غُرَرُ المَطالبِ الكثيرةِ حُبِّبَ اليهمُ الغَرَر (٤). وعرَفتُ ما قالَه مِن تَمَنِّيهِ كَوْنِى عندَ ذلك بحضرتِه، وحصولى

---

(١) المعرف بصيغة اسم المفعول: موقف عرفات، شبه به قدومه عليه.

(٢) أى يسبق فى سرعته ريح الصبا حتى كأنها فى جانبه مأسورة. أخذه من قول امرئ القيس (قيد الأوابد هيكل).

(٣) الأصائل: جمع أصيل، وهو الوقت بين العصر والمغرب. والهواجر: جمع هاجرة، وهى وقت القيظ فى وسط النهار.

(٤) الغرر: الهلاك، يكون من تعريض المرء نفسه له.

على مُساعدته، ومَن رأى بَحْرَ الأستاذِ كيفَ يَزْخَرُ بالفضل، وتتلاطمُ فيه أمواجُ الأدب والعلم، لم يَعْتِبْ على الدهرِ فيما يُفيتُهُ من مَنظَر البحر. ولا فضيلةَ له عندى أعظَمُ من إكبارِ الأستاذ لأحْوالِه، واستعظامِه لأهوالِه، كما لا شَيْءَ أبلغ فى مفاخره، وأنفس فى جواهره، من وصف الأستاذ له؛ فإنى قرأتُ منه الماء السَّلْسالَ[1] لا الزُّلال، والسِّحْرَ الحرامَ[2] لا الحلال. وقد علِمَ أنه كتَبَ وَمَا أخْطَر بفكره، سَعَةَ[3] صدره، فلَوْ فَعَلَ ذلك لَرَأى البحرَ وَشَلًا[4] لا يفضُلُ عن التَّبَرُّض[5]، وثَمَدًا[6] لا يكثُرُ عن التَّرشُّف[7].

وكم مِن جبالٍ جئتَ تشهد أنك الـ ... جبال، وبحرٍ شاهدٍ أنك البحر

(٣) الخُوارَزْمِىُّ[8]

كتب الى قاضى سجستان حين نَكَبَهُ أميرُها:

إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ ... كلاكله أناخ بآخرينا[9]

فقُلْ للشامتين بنا: أفيقوا ... سيلقَى الشامتون كما لقِينا

---

(١) أى الكلام المتسلسل لا الماء الحقيق البارد وفيه تفضيل المشبه على المشبه به.

(٢) أى الحرام على غيرك؛ فلا يستطيع مجاراتك فى إنشائه وقوله (لا السحر الحلال) يريد به الانشاء الذى فى امكان كثير من البلغاء ممن لا يبلغون شأو ابن العميد.

(٣) أى جعل سعة صدره تخطر بباله وفكره.

(٤) الوشل: الماء القليل.

(٥) التبرض: التبلغ بالماء القليل للضرورة.

(٦) الثمد: الماء القليل.

(٧) الترشف: الشرب قليلا قليلا والامتصاص.

(٨) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى الكاتب الشاعر اللغوى الأديب المؤلف الرحالة المدرّس المتوفى سنة ٣٨٣ هـ.

(٩) الكلاكل: جمع كلكل. وهو الصدر، أى إذا برك الدهر على قوم بصدر أناخ وبرك أيضا بعد زمن بآخرين.

أما بعد — أيّد الله تعالى القاضى — فإنه لم يُحسِنْ إلى غيره من أساءَ إلى نفسه، ولم يَنْصُرْ أصدقاءه، من خَذَل حَوْباءَه(١)؛ وإنما يُحب المرءُ أخاه بما فَضَلَ عن محبته لرُوحه التى له خيرُها، وعليه ضَيْرُها(٢). وكانت مِحْنَةُ القاضى مِحنةً شَمِلَتْ الأنام، وخصّت الكرام، ووجب على كلّ مَن اشتمّ روائحَ العقل، وميّز بين النقصان والفضل، أن ينفطرَ لها ألمًا، وأن يبكىَ عندها دمًا. وخلَص إلىّ من ذلك ما أضحك منّى الأعداء، وأبكى لى الأصدقاء، حتى رَحِمَنى من كان يحسُدنى، وحتى عجِبَ من جزَعى مَن كان يُصَبِّرُنى، وحتى غضَضْتُ طَرْفًا طالما رفعتُه، وقبَضتُ بنانًا طالما بَسطتُه، وحتى عُزِّيتُ كما يُعَزَّى الثَّكلان(٣)، وسُلِّيتُ كما يُسَلَّى اللَّهْفان. وأنا بعد ذلك أستصغر فعلَ نفسى وهى جَزِعَةٌ هَلِعَةٌ(٤)، وأستقلُّ سَعْىَ عَيْنى وهى سخينةٌ دَمِعة(٥). وكان يَجِبُ على مُقتَضَى هذه الجملة، وأساس هذه البِنية، أن أحضُرَ مَجلِسَ القاضى فأُصابِرَه نهارًا، وأساهِرَه ليلًا؛ وتكون المحنةُ بينى وبينه أحملها عنه، ويحملها عنّى؛ ولكنّى علِمتُ أنّ والِيَنا هذا رجلٌ ينظُرُ الى الذنب الخَفِىّ، ويتغابَى عن العُذْر الجَلِىّ. وله أُذُنان: واحدةٌ يسمَعُ بها البلاغات وهى كاذبة، وأخرى يَصَمُّ بها عن المعاذير وهى صادقة، وليس بينه وبين العَفْو نَسَب، ولا لَهُ الى التثبُّت طريقٌ

---

(١) الحوباء: النفس. (٢) المحنة: الشدة والمصيبة.

(٣) الثكلان: الفاقد ولده. (٤) جزعة هلعة: شديدة الحزن.

(٥) سخينة دمعة: ساخنة من الوجع، سريعة الدمع.

ولا مذهب . ولو تعرضتُ لسَخطه، بعد ما عرفتُه من شَطَطِه[1]، لتحمَّلتُ دونه الوزر فى ظُلمى، ولكنتُ مُقدّمتَه إلى ذَمّى . ومَن قعد تحتَ الرِيبة ركِبتْه، ومن تعرَّضَ للظِّنَّة نالته .

ومَن دعا الناسَ الى ذَمه ذَمُّوه بالحق وبالباطل

وأقلُّ ما كان ينبعثُ من حُضورى أن يَثِبَ هذا الجبّارُ وَثبةً يصونُ القاضى عنها، ويبتذلُنى بها، فأكونَ قد ضررتُ نفسى، ولم أنفع غيرى؛ فإذا بالمِحنة قد تضاعفَتْ على القاضى ضِعفَيْن، وتكررت عليه كَرَّتَين؛ يرى بوَلىٍّ من أوليائه داءً لا يقدِرُ على دَوائه، ويرى وَقودًا لا يصلُ إلى إطفائه، ويَتَبيَّنُ فى حالةٍ[2] متصلةٍ بحالِه ثُلمةً[3] لا يُمكِنُ سَدُّها، ومِحنةً لا يستوى له رَدُّها . فلما مَيَّلْتُ بين[4] تخلُّفى آمنا، وحُضورى خائفا، عَدَلْتُ بين طَرَفَىِ الرَّزِيَّة، ووزنتُ بين مِقدارَى المحنة، فرأيتُ أن أميلَ مع السلامة وأقنَعَ مِن العمل بالنِّيَّة، وأغتفرَ عُهدةَ التفصيل لِصحّة الجُملة، فغِبت وكُلِّى غيرَ جسمى شاهِد، وتَحيَّزْتُ[5] وما أنا إلا مُشاهد، وبعدتُ وقلبى قريب، وباينتُ وقلبى سَهيم[6]، وأغضيتُ على عَين كلُّها قَذًى[7]، وانطويتُ على صَدرٍ كلُّه شَجًا[8] وانصرفتُ بقلب ساخط راض، وأغمضتُ بجفن ضاحك باك، وقلت :

فان تَسجنوا القسرى لاتسجنوا اسمه ولا تسجنوا معروفه فى القبائل[9]

(١) شططه : جوره وتعدّيه الحدود .
(٢) أى فى حالى المتصلة المرتبطة بحاله .
(٣) الثلمة : فرجة المكسور أو المهدوم .
(٤) ميل بين الأمرين : رجح بينهما ووازن .
(٥) تحيزت ، انحرفت وملت ، وتنحيت من جهة إلى جهة ، يريد : غبت .
(٦) السهيم : المقاسم لغيره بالسهم ، أى أنى مباين لك منفصل عنك ، ولكن قلبى مشترك بينى و بينك .
(٧) القذى : مايدخل فى العين من جسم غريب عنها .
(٨) الشجا ما ينشب و يعلق فى الحلق من شوكة ونحوها .
(٩) تمثل بهذا البيت ، وهو مقول فى خالد ابن عبد الله القسرى والى العراق للخليفة هشام ، ثم غضب عليه الخليفة فسجنه ، وأمر بقتله .

ولقد نَسَجْت فى ذم الظالم حُلَلاً لا يبلُّها الماء ، ولا يجففها الهواء ، ولا تغطى عليها الظلماء . والمغبون من احتقب[1] الإثم ، والغارم من غَرِم العوض ، والرابح من محنته فانيه ، ومثوبته باقية . ولو أنصف الظالم لكان يعزى ، ولو أنصف المظلوم لكان يهنّى .

جعل الله — تعالى — هذه الحادثة بتَرْاءَ عقماء ليس لها مَدَد[2] ولا ليومها غد ؛ وجعل العمل بها آخر عهدِ القاضى بالعسر ، خاتمة لِقائه لِرَيب الدهر . ولا حَرَمه فيما نزل به مثوبةَ الصابرين ، ولا أخلاه وفيما بعده مِن مزيد للشاكرين — برحمته .

(٤) البديع الهمذانى[3]

كتب يعتذر من إنابته رسوله عن شخصه :

يعز علىّ أطال اللهُ بقاءَ الرئيس . أن ينوبَ فى خدمته قلمى ، عن قدمى ، ويسعَد برؤيته رسولى ، دونَ وصولى . ويَرِدَ مَشْرَعَ[4] الأُنس به كتابى ، قبلَ ركابى ؛ ولكن ما الحيلةُ والعوائق جمّة ؟

وعلىّ أن أسعى وليـ ـس علىّ إدراكُ النجاح

---

(١) احتقب الشىء : جعله فى حقيبته .

(٢) أى لا يعقبها غيرها .

(٣) هو أبو الفضل أحمد بن الحسين ، الكاتب المترسل ، والشاعر المبدع ، صاحب المقامات المشهورة . نشأ بهمذان ، ونبغ فى الأدب ، وتكسب به لدى الملوك والأمراء ، مات سنة ٣٩٨ هـ .

(٤) المشرع : مكان ورود الماء .

وقد حضرتُ دارَه . وقبّلت جِدارَه ، وما بى حبُّ الجُدران ، ولكن شغفًا بالقُطّان[1] . ولا عِشقُ الحيطان ، ولكن شوقًا الى السكان . وحين عَدت العوادى عنه أمليتُ ضميرَ الشوق على لسان القلم معتذرا إلى الشيخ على الحقيقة — لا عن تقصير وقع ، أو فُتُور فى الخدمة عرض ، ولكنى أقول :

إن يكن تركى لقصدك ذنبًا فكفى ألا أراك عِقابا

المقامة القريضية

وللهمذانى مقامات[2] معروفة ، وهذه هى المقامة الأولى منها :

حدّثنا عيسى بن هشام قال :

طرحَتْنى النوى مَطارحَها ، حتى اذا وَطِئْتُ جرجانَ الأقصى ، استظهرت على الأيام بِضياعٍ أجلتُ فيها يَدَ العِمارة ، وأموالٍ وقَفتُها على التجارة ، وحانوتٍ جعلتُه مَثابَة ، ورُفْقَةٍ اتخذتُها صَحابة ، وجعلتُ للدار حاشِيَتَى النهار ، وللحانوت ما بينهما . فجلسنا يومًا نتذاكرُ القريضَ وأهلَه ، وتلقاءَنا شابٌّ قد جلس غيرَ بعيد ، يُنصِتُ وكأنه يفهَم ، ويسكُتُ وكأنه لا يعلَم ، حتى اذا مالَ الكلام بنا مَيْلَه ، وجرَّ الحِدالُ

---

(١) القطان جمع قاطن ، وهو الساكن بالمكان المقيم به . وهذا المعنى مضمون قول الشاعر :

أمر على الديار ، ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

(٢) المقامة : مفعلة من القيام ، يقال : مقام ومقامة . ثم سمى بها المجلس ومكان الاجتماع ثم اتسع استعمالها حتى سمى بها ما يقال فى المجلس من خطبة أو موعظة . فقالوا : مقامات الخطباء ومجالس القصاص . فالمقامة صورة خيالية لحديث بين اثنين أو أكثر فى موعظة أو وصف أو بحث أو غير ذلك من الأغراض الأدبية . وأشهر من صاغوا المقامات : الحريرى والهمذانى .

فينا ذَيْلَه ، قال : قد أصبتم عُذَيْقَه ، ووافقتم جُذَيْله[1] ، ولو شئتُ للفظتُ وأفضت ، ولو قلتُ لأصدرتُ وأوردت ، ولحلوتُ الحقَّ فى مَعرِض بيان يُسمِع الصمّ ، ويُنزِلُ العُصم[2] . فقلت : يا فاضل آدنُ فقد مَنَّيْت ، وهات فقد أثنيت ، فدنا وقال : سلونى أجبكم . فقلنا : ما تقول فى امرئ القيس ؟ قال : هو أوّل مَن وقَف بالديار وعَرَصاتها ، واغتدى والطيرُ فى وُكُناتها ، ووصف الخيلَ بصفاتها . ولم يُقل الشعرَ كاسِبًا ، ولم يُجِد القولَ راغبا ، ففَضَل من تفتَّق للحيلة لسانه ، وانْتَجَع للرغبة بنانُه . قلنا : فما تقول فى النابغة ؟ قال : ينسُب اذا عشق ، ويسلُبُ اذا حَنِق ، ويمدَحُ اذا رغِب ، ويعتذر اذا رهِب ، ولا يرمِى إلا صائبا ، قلنا : فما تقول فى زهير ؟ قال : يُذيبُ الشعرَ والشعرُ يُذيبُه ، ويدعو القولَ والسحرُ يُجيبُه . قلنا : فما تقول فى طَرَفة ؟ قال : هو ماء الأشعار وطينتُها ، وكنزُ القوافى ومَدينتُها ، مات ولم تظهر أسرارُ دفائنه ، ولم تُفتَحْ أغلاقُ[3] خزائنه . قلنا : فما تقول فى جرير والفرزدق ؟ وأيهما أسبق ؟ قال : جريرٌ أرقُّ شِعرا ، وأغزرُ غَزْرًا[4] ، والفرزدق أمْتَنُ صَخْرا ، وأكثرُ فخْرا ، وجرير أوجع هجوا وأشرف يوما ، والفرزدق أكثر رويًّا وأكرم قوْما ، وجرير إذا

---

(١) العذيق : تصغير العذق (بكسر العين) وهو كباسة التمر من النخلة . والتصغير هنا للتعظيم ، وكذلك الجذيل تصغير الجذل (بكسر الجيم) وهو ما عظم من أصول الشجر بعد ذهاب الفروع ، ومنه المثل : « أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب » يضرب لمن تباهى بكرمه واشتهار نفعه ؛ لأنهم يرجبون عذق النخلة الكريمة ، أى يربطونه بسعفها لئلا ينقصف ، وكانوا يتركون الجذل لتحتك به الإبل .

(٢) العصم : جمع أعصم وهو الوعل ، يكون فى الجبال .

(٣) الأغلاق : جمع غلق ، وهو ما يغلق به الباب (الكالون) .

(٤) غزرا : مصدر غزر .

(٥) أى أنه متنوع القوافى .

نسب أشجى[1] ، واذا ثلب أردى ، واذا مدح أسنى[2] . والفرزدق إذا افتخر أجزأ[3] ، واذا احتقر أزرى ، واذا وصف أوفى . قلنا : فما تقول فى المُحْدَثِين من الشعراء والمتقدّمين منهم ؟ قال : المتقدّمون أشرفُ لفظا ، وأكثر من المعانى حظّا ، والمتأخرون ألطفُ صُنْعا ، وأرقُّ نَسْجا . قلنا : فلو أريتَ من أشعارِك ، ورَوَيْتَ لنا من أخبارك ! قال : خذهما فى معرِضٍ واحد . وقال :

إمّا تَرَوْنِى أتَغَشَّى طِمْرا[4] ... مُمْتَطِيًا فى الضُّرِّ أمرًا إمْرا[5]

مُضْطَبِنًا على الليالى غِمْرا ... ملاقيا مِنها صُروفًا حُمْرا[6]

أقصى أمانِىَّ طلوعُ الشِّعْرَى ... فقد غَنِينا بالأمانى دَهْرا[7]

وكان هذا الحُرُّ أعلَى قَدْرًا ... وماءُ هذا الوجه أغلى سِعرا[8]

ضربتُ للسَّرَّا قبابا خُضرا ... فى دار دارا وَإِوانِ كِسرى[9]

فانقلبَ الدهرُ لبطنٍ ظَهْرا ... وعاد عُرْفُ العيشِ عندى نُكْرا

لم يَبْقَ من وَفْرِىَ إلا ذِكرى ... ثم إلى اليوم هُلُمَّ جَرّا[10]

---

(١) لغة فى شجا ، بمعنى : أحزن . (٢) أسنى : رفع ، أى رفع الممدوح .

(٣) مسهل أجزأ بالهمزة : بمعنى كفى وأغنى .

(٤) الطمر : الثوب البالى . (٥) أمرا إمرا : منكرا عجبا .

(٦) الحمر : جمع حمراء ، يريد صروفا شديدة الوقع .

(٧) الشعرى : نجم يطلع فى الصيف . ولا يحتاج الفقير العارى فيه إلى دثار .

(٨) يريد بالحر : نفسه .

(٩) السرا : السراء وهى : الرخاء . ودارا وكسرى من ملوك الفرس . وإيوان كسرى : بهو عظيم كان فى قصره الأبيض بالمدائن ، وبه كان يسمى القصر كله . وخفف إيوان بحذف يائه لضرورة الشعر .

(١٠) الوفر : الغنى وكثرة المال . وذكرى الشىء : التحدث عنه بعد زواله .

لولا عجوز لى بسُرَّ مَنْ را وأفرخُ دونَ جِبال بُصرى (١)

قد جَلَبَ الدهرُ عليهم شَرًّا قتلتُ ياساداتُ نفسى صَبْرا

قال عيسى بن هشام . فأنَلْتُه ما تَاحَ (٢) ، وأعرضَ عنّا فراح . فجعلتُ أنفيه وأُثبتُه ، وأنكره وكأنّى أعرفه ، ثم دلَّتْنِي عليه ثناياه ، فقلت : الإسكندرىُّ والله ! فقد كان فارقنا خِشفا (٣) ووافانا جِلفا (٤) . ونهضتُ على أثره ، ثم قبضتُ على خَصْره ، وقلت : أَلستَ أبا الفتح ؟ "ألم نُرَبِّكَ فينا وليدًا ، ولبثتَ فينا من عُمُرِكَ سنين" ؟ فأى عجوز لك بسرَّ مَنْ رَأى ؟ فضحك إلَىَّ ، وقال :

ويحك ! هـذا الزَّمان زُورُ فلا يَغرَّنَّكَ الغُرُورُ (٥)

لا تلتزِمْ حالةً ولكن دُرْ باللّيالى كما تدورُ

---

(١) سرّ من را : اسم لمدينة (سر من رأى) التى بناها المعتصم العباسى . شمالى بغداد ، وبصرى : بلدتان ، واحدة قرب بغداد ، ولعلها هى التى يريد ، والثانية من بلاد حوران بالشام . يعنى أن له أما أو زوجا عجوزا بسر من رأى ، وأولادا صغارا بقرب جبال بصرى ، ولولا هؤلاء لقتل نفسه

(٢) ما تاح : ما تهيأ وأمكن .

(٣) الخشف : ولد الظبية ، ويريد فارقنا صغيرا .

(٤) الجلف : الرجل الجافى .

(٥) الغرور : الدنيا . لأنها تغر بمظاهرها .

ثانيا — النثر العلمى التأليفى

(١) ابن جنى[١]

قطعة من كتابه " الخصائص " :

باب القول على اللغة وما هى ؟

أما حدُّها فإنها أصواتٌ يُعبِّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم . هذا حدُّها . وأما اختلافها فلما سنذكره فى باب القول عليها : أمُواضَعَةٌ[٢] هى، أم إلهام . وأما تصريفُها[٣] ومعرفةُ حُروفها فإنها فُعَلَةٌ[٤] من لَغَوتُ أى تكلّمْتُ . وأصلُها لُغَـة كَكُرَة وقُلَة وثُبَـة كلُّها لامَاتُها واواتٌ، لِقولهـم كَرَوْتُ بالكرة ، وقَلَوْتُ بالقُلَة ، ولِأنّ ثبة كأنها مِن مقلوب ثابَ يَثوب . وقد دَلَلْتُ على ذلك وغيرِه مِن نحْوه فى كتابى " سر الصناعة " .

وقالوا : لهـا لُغَاتٌ ولُغُونَ، كَكُرات وكُرُونَ ، وقيـل منها : لَغِىَ يَلْغَى : اذا هَذَى قال :

وربَّ أسراب حَجيج كُظَّم عن اللَّغَا ورَفَثِ التَّكلُّم

وكذلك اللَّغو ، قال الله سبحانه وتعـالى : ﴿ واذا مَرُّوا باللغو مَرُّوا كراما ﴾ أى بالباطل . وفى الحديث : « من قال فى الجمعة صَهْ فقد لغا » أى تكلم . وفى هذا كاف .[٥]

---

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصـلى النحوى اللغوى واحد زمانه فى التصريف والبحث فى فقه اللغة وخصائصها (كان أبوه مملوكا روميا) وله تأليفات كثيرة وتوفى سنة ٣٩٢ هـ .

(٢) المواضعة : الاتفاق والاصطلاح . يقال : واضعته على كذا ، اتفقت معه عليه .

(٣) القلة : عودان يلعب بهما الصبيان .

(٤) الثبة : وسط الحوض ، يثوب إليه الماء من الجوانب .

(٥) أى ما يكفى .

(٢) الجرجانى[1]

فصل من كتابه " دلائل الإعجاز " :

وإذ قد عرفتَ هذه الأصولَ والقوانين فى شأن فصل الجمل ووصلها — فاعلم أنا قد حصّلنا من ذلك على أنّ الجمل على ثلاثة أضرب : جملة حالُها مع التى قبلَها حالُ الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكَّد؛ فلا يكونُ فيها العطفُ ألبتة؛ لشبهِ العطف فيها — لو عطفتَ — بعطفِ الشىء على نفسه، وجملة حالُها مع التى قبلَها حالُ الاسم يكون غيرَ الذى قبلَه إلا أنَّهُ يشاركهُ فى حُكم، ويدخلُ معه فى معنى: مثلُ أن يكونَ كِلا الاسمين فاعلًا أو مفعولًا أو مضافا إليه؛ فيكون حقّها العطف، وجملة لَيْستْ فى شىء من الحالين، بل سبيلُها مع التى قبلَها سبيلُ الاسم مع الاسم لا يكون منه فى شىء؛ فلا يكونُ إيّاه ولا مُشاركا له فى معنى، بل هو شىءٌ إن ذُكِرَ لم يُذكرْ إلا بأمر ينفرد به، ويكون ذكرُ الذى قبله وتركُ الذكر سواءً فى حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأسا؛ وحقُّ هذا تركُ العطف ألبتة. فتركُ العطف يكون إما للاتصال الى الغاية، أو الانفصال الى الغاية؛ والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حالٌ بَيْن حالين، فاعرفه.

---

(١) هو أبو بكر عبد القاهر الجرجانى، أحد أئمة النحو وضابط علوم البلاغة حتى ليحق أن يكون هو الواضع له على النظام الذى نعرفه، ولم يزد عليه السكاكى إلا تطبيق المنطق على البلاغة مع بعد ما بينهما وتوفى سنة ٤٧١ هـ.

(٣) الحريرى[1]

وللحريرى فى كتابه " درة الغواص ، فى أوهام الخواص " :

ويقولون : هذا بعد اللُّتيا والتى ؛ فيضُمُّونَ اللَّامَ الثانيـةَ من اللتيا ، وهو لحنٌ فاحشٌ ، وغلطٌ شائن ، إذ الصوابُ فيها اللَّتيَّا (بفتح اللام) لأن العربَ خَصَّتِ الذى والتى عند تصغيرهما وتصغير أسماءِ الإشارة بإقرار فتحة أوائلها على صيغتها ، وبأن زادت ألفًا فى آخرها عِوَضًا عن ضمّ أوّلها ؛ فقالوا فى تصغير الذى والتى : اللَّذَيَّا واللَّتَيَّا ، وفى تصغير ذاك وذلك ذَيَّاكَ وذيالك أنشدَ ثعلب :

بِذيّالِكَ الـوادِى أَهِيم ، ولم أقل ... بِذيَّالِكَ الوادى وذَيَّاك مِنْ زُهـد

ولكن اذا ما حُبَّ شَيْءٌ تَوَلَّعتْ ... به أحرُفُ التصغيرِ من شدة الوجْد

أراد أن التصغير قد يقع من فرط المحبـة ولطف المنزلة ؛ كما يقال : يا بُنَىَّ ، ويا أُخَىّ . وقوله : إذا ما حُبَّ شىءٌ يعنى به أُحِبَّ لأنه يقال حَبَّ الشىءَ وأحبَّه بمعنى[2] ؛ كما جاءَ فى المثل السائر : مَنْ حَبَّ طَبَّ[3] ، إلَّا أنهم آختاروا أن بَنَوُا الفاعل من لَفْظةِ أحَبَّ ، وبَنَوُا المفعولَ من لَفْظة حَبَّ ؛ فقالوا للفاعل : مُحِبٌّ ، وللمفعول محبوب ، ليعادلوا بين اللفظين فى الاشتقاق منهما ، والتفريع عليهما . على أنه قد سمع فى المفعول محب ، وعليه قول عنترة :

ولقد نَزَلْت فلا تَظُنِّى غيرَهُ ... منى بمنزلة المُحَبِّ المُكْرَمِ

* * *

(١) هو أبو محمد القاسم بن على الحريرى البصرى إمام اللغة والأدب والنحو والإنشاء . توفى سنة ٥٢٢ هـ . وأشهر آثاره " المقامات " المعروفة باسمه .

(٢) أى بمعنى واحد .

(٣) طب هنا : تأتّى للأمور وتلطف . أى من أحب شيئا استعمل الأناة والرفق ، واستخدم الحيلة رغبة فى الحصول عليه .

ويقولون إذا أصبحوا : سَهِرْنا البارِحة ، وسَرَيْنَا البارِحةَ . والاختيار فى كلام العرب — على ما حكاه ثعلبٌ — أن يقال مذ لدن الصبح إلى أن تزول الشمس : سَرَيْنا الليلة ، وفيما بعد الزوال إلى آخر النهار : سَهِرْنا البارحة .

ويتفرع على هـذا أنهم يقولون من انتصاف الليل إلى وقت الزوال : صُبِّحْتَ بِخَيْرٍ ! وكيف أَصْبَحْتَ !

(٤) المسـعودى[1]

قطعة من مقدمة كتاب " التنبيه والإشراف " :

وقد ذكرنا فى كتابنا هذا وما سلف قبله من كتبنا التى هذا سابعها أخبار العالم وعجائبه ، ولم نُخْله من دلائل تَعْضُدُها ، وبراهين تؤيدها عَقْلا وخَبَرا ، وغير ذلك مما استفاض واشتهر ، وشاهدٍ من الشِّعْر على حَسَب الشىء المذكور وحاجته إلى ذلك .

ونحن وإن كان عصرُنا متأخرًا عن عصر من كان قبلنَا من المؤلفين ، وأيامُنا بعيدةً عن أيامهم فنرجو ألا نُقَصِّر عنهم فى تصنيف نَقْصِدُه ، وغرض نَؤُمُّه[2] ، وإن كان لهم سبقُ الابتداء ، فلنا فضيلة الاقتداء ، وقد تشترك الخواطر ، وتتفق الضمائر ، وربما كان الآخِرُ أحسنَ تأليفا ، وأتقنَ تصنيفًا لحُنكةِ التجارب ، وخشية التتبع ،

---

(١) هو العالم المؤرخ الرحالة البحاثة أبو الحسن على بن الحسين المسعودى ، سليل عبد الله ابن مسعود الصحابى ، صاحب كتاب مروج الذهب ، والتنبيه والإشراف ، وهما مطبوعان . وله كثير من الكتب غيرهما . توفى سنة ٣٤٦ هـ .

(٢) نؤمه : نقصد إليه .

والاحتراس من مواقع الخطأ . ومن هاهنا صارت العلومُ نامِيةً غيرَ متناهية لوجود الآخِرِ ما لا يجدُه الأوّل، وذلك الى غير غاية محصورة، ولا نهاية محدودة، وقَدْ أَخْبرَ اللهُ عَزَّ وجل بذلك فقال : «وفوقَ كُلّ ذِى عِلم عَلِيم» على أن مِن شِيم كثير مِن الناس الإطراءَ للمتقدمين، وتعظيمَ كتبِ السالفين، ومدحَ الماضى، وذمَّ الباقى . وإن كان فى كتب المُحْدَثين ما هو أعظمُ فائدة وأكثرُ عائدة (١) . وقد ذكر أبو عثمان عمرو آبن بَحر الجاحظ أنه كان يؤلف الكتاب الكثيرَ المعانى الحسنَ النظم فينسُبُه الى نفسه فلا يَرى الأسماع تُصغى اليه، ولا الإرادات تيمِّمُ نحوه. ثم يؤلف ماهو أنقصُ منه مرتبةً وأقل فائدة، ثم ينحله عبدَ الله بن المقفع أو سهلَ بن هرون أو غيرهما من المتقدمين، ومن قد طارت أسماؤهم فى المصنفين، فيقبلون على كَتْبِها (٢)، ويسارعون إلى نسخها، لا لشىء إلا لنسبتها إلى المتقدمين، ولِما يداخل أهل هذا العصر من حسدِ من هو فى عصرهم، ومنافسته على المناقب التى يخص بها ويعنى بتشييدها . وهذه طائفة لا يعبأ بها كبار الناس . وإنما العمل على ذوى النظر والتأمل الذين أَعطَوْا كل شىء حقَّه من العدل، ووفَّوْه قِسْطه من الحق؛ فلم يرفعوا المتقدم إذ كان ناقصا، ولم ينقصُوا المتأخر إذ كان زائدا . فلمثل هؤلاء تُصَنَّفُ الكتب، وتدوّن العلوم، وسنذكر الآن الأُمَمَ السبعَ السالفةِ فى سابق الدهر ولغاتِهم ومواضع مساكنهم وغير ذلك .

---

(١) العائدة : المنفعة .

(٢) الكتب : الكتابة .

(٥) الماوَردىُّ[1]

فصل من أدب الوزير :

الإقدام من مزايا الوزير وصفاته

وأما الشرط الثالث — وهو الإقدام — فَهُو فى السياسة أَوْفَى شَرْطَيْها ، وفى الوزارة أكْفَى نَظَرَيْها ، لِظَفَر الإقدام ، وخيبة الإحجام . وقد قيل فى منثور الحِكَم : بالإقدام ترتفع الأَقدام ، وإنما يجب الإقدام اذا ظهرتْ أسبابُه ، وقُصِدت أبوابُه ، فى إبّانه ، وعند إمكانه ، كما قال الشاعر :

إذا ما أتيتَ الأمرَ من غيرِ بابه ضَلَلْتَ وإن تَقْصِدْ الى البابِ تَهْتَدى

ثم يجمع بعدهما بين حزمه وعزمه ؛ فالحزمُ تدبيرُ الأمور بموجب الرأى ، والعزم تنفيذها للوقت المقدّر لها . فاذا تكاملتْ شروط الإقدام من هذه الوجوه الأَربعة لم يَمْنع من الظفر إلا عوائقُ القَدَر . وقد قيل فى قديم الحِكَم : اذا طَلَبَ اثنان حظا ظفِرَ به أفضلُهما دِينًا . فان استَوَيَا فى الدّين ظفِرَ به أَفْضَلُهما مُروءةً ، فان استويا فى المروءة ظفِر به أكثرُهما أَعوانا ، فان استويا فى الأَعوان ظفِر به أسعدُهما جَدًّا . فان انثلَم من شروط الإقدام أحدُها صار الإقدامُ تغريرا يمنعُ من حَزْم ذِى اللُّبّ ، ويصُدُّ عن الظَّفَر ، ما لم يَغْلِب قَدَر ، فما الأَقدارُ بقياس معتبر ، وقد قال حكيم الهند : السبب الذى يُدرِكُ به العاجزُ حاجتَه هو الذى يحول بين الحازم وطَلِبَته . وقد قيل

---

(١) هو قاضى القضاة أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ . وهو صاحب كتاب أدب الدنيا والدين ، وكتاب الوزير ، وهما مطبوعان ؛ وله كثير من الكتب غيرهما .

لبُزُرْجَمِهْر : ما أعجبُ الأشياء؟ قال : نُجْحُ الجاهل وإكداء[1] العاقل . ودخل رجلٌ على عبد الله بن طاهر . فقال له : أيها الأمير! ما الذى لا يُحْتاج فيه إلى عزم ولاحزم؟ فاستمهله فى جوابه ثلاثة أيام فعاد إليه بعدها ، وسأله فقال له : الدولة[2] ، فقال : صدقتَ . وما أخرج هذه الكلمة منك إلا الدولة ، ولذلك قيل فى منثور الحكم : الحظ يأتى من لا يأتيه .

(٦) ابن حمدون[3]

فصل من تذكرته فى السياسة والآداب الملكية ، وهو فى سياسة الوزراء والكُتّاب وأتباع السلطان

قالوا : من صَحِبَ الملوكَ وقَرُبَ منهم . ينبغى أن يكون جامعا للخلالِ المحمودة . فأوّلُها العقلُ ؛ فانه رأسُ الفضائل ، والعلمُ فإنه من ثمارِ العقل ، ولا تَليق صحبةُ الملك بأهل الجهل . والود ؛ فانه خلق من أخلاق النفس ، يُولِّده العدل فى الإنسان الذى وَدَّه . والنصيحة ؛ وهى تابعة للوُدّ ، وهو الذى يبعث عليها . والوفاءُ ؛ فانه شيمة لاتَتِمُّ الصحبة إلا بها . وحِفْظُ السر ؛ وهو من صدق الوفاء . والعفةُ عن الشهواتِ

---

(١) أكدى : لم يظفر بحاجته .

(٢) الدولة يريد بها هنا : الحظ . والدولة ما يتداول فيكون لهذا مرة ولذاك أخرى ، فتطلق على الغلبة والحظ ، ودول الأيام : تقلباتها التى تعين الرجل يوما وتعين عليه يوما

(٣) هو كما فى الكفاة أبو المعالى بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن على بن حمدون البغدادى الكاتب الأديب صاحب التذكرة فى الأدب والسياسة توفى سنة ٤٩٥ هـ .

والأموال ، والصَّرامةُ ؛ وهى شدّة القلب ، فإن الملوكَ لا يصحَبُهم أولو النُّكول ، ولا ينالُ الجسيمَ من الأمور إلا الشجاع النجد . والصدقُ ؛ فانه من لا يصدُق يكذبُ ، ومَضَرّة الكذِبِ لا تُتلافَى . وحسنُ الزِّى والهيئة ؛ فان ذلك يزيد فى بهاء الملك ، والبِشْرُ فى اللقاءِ ؛ فإنه يتألَّف به قلبَ مَن يُلاقيه ، وفى الكُلُوح (١) تنفيرٌ عن غير ريبة ، والأمانةُ فيما يُستحفَظ ، ورعايةُ الحق فيما يُستودَع ، والعدلُ والإنصافُ ، فان العدل يُصلِح السرائِر ، ويجمِّلُ الظواهر ، وبه يُخاصِمُ الإنسانُ نفسَه إذا دعته إلى أمر لا يَحسُنُ رُكُوبُه . وينبغى له أن يُجانِبَ أضداد هذه الخِلال ، وألَّا يكون حسودًا ؛ فان الحسدَ يُفسِد ما بينه وبين الناس ، وليُفرِّق بين الحسدِ والمنافسة ؛ فانهما يشتبهان على من لا يعقل ، وأن يخلوَ من اللَّجَاج والمَحك (٢) ؛ فان ذلك يضُرّ بالأفعالِ إذا وقع فيها اشتراك ، وألا يكون بذَّاخا (٣) ولا متكبرا ، فان البذخَ من دلائل سقوطِ النفس وشدّة الطيْش والبعدِ عن الصبر .

وينبغى ألا يكونَ قَدْمًا (٤) وَخمًا (٥) ولا ثقيلَ الرُّوح ؛ فانها صفةٌ لا تليق بمن يُلاقى الملوك ، وأبدًا تكون سببا للمَقْتِ مِنْ غير جُرْم . وبالجملة فالفضائلُ والأخلاقُ المحمودة كثيرة ، وأوْلى الناس بطلبِ غاياتها الملوك ، كما هم الغاية ، ثم أتباعهم ثم سائر الرعية .

---

(١) الكلوح : الإفراط فى العبوس والكشر عن الأنياب .

(٣) البداخ : المتعاظم المتكبر يظهر التعالى على الناس .

(٤) القدم : العاجز عن الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم .

(٥) الوخم ككتف : الرجل الثقيل .

الأدب فى مصر والشام

(١) الشعر

(١) المتنبى[1]

قال فى صباه من قصيدة :

أَرَقٌ على أرقٍ ومِثلِيَ يأرَقُ ... وجوًى يزيدُ وعَبْرةٌ تترقْرَقُ

جَهْدُ الصَّبابةِ أن تكون كما أُرَى : ... عَينٌ مُسهَّدةٌ ، وقلبٌ يخفِقُ

ما لاح بَرقٌ أو ترنَّمَ طائرٌ ... إلّا انثنيتُ ، ولى فؤاد شيِّق

جَرَّبتُ من نارِ الهوى ما تنطفِى ... نارُ الغَضَى ، وتكِلّ عما يُحرِق[2]

وعذَلتُ أهلَ العِشق حتى ذقتُه ... فعجِبتُ كيف يموت مَن لا يعشَق

وعَذَرتهم ، وعرفتُ ذنبي أننى ... عَيَّرتُهم ، فلقيتُ منه ما لَقوا

أَبَنِى أُبينا نحنُ أهلُ منازِل ... أبدًا غُراب البَيْن فيها ينعَق[3]

---

(١) هو أحمد بن الحسين أشهر شعراء المحدثين ، وصاحب الشعر الحكيم والمعانى الدقيقة والمخترعة . ولد بالكوفة ونشأ بها وتأدب بفصاحة أهل البدو . وقيل إنه اتهم وهو مقيم بينهم بأنه يدعى النبوّة ؛ فسجنه والى حمص . ثم خرج من السجن ومدح الرؤساء والأمراء من أهل الشام وخاصة سيف الدولة . ثم فارقه وذهب الى مصر فمدح كافورا الأخشيدى . ثم هجاه ، وفرّ الى فارس مارا بالعراق ، فمدح عضد الدولة أعظم ملوك بنى بويه ووزيره ابن العميد ، ورجع عنهما بالأموال العظيمة فخرج عليه الأعراب وقتلوه قرب بغداد سنة ٣٥٤ هـ .

(٢) أى ما تنطفى نار الغضى عنه . والغضى : شجر قوى النار .

(٣) يخاطب عامة البشر لأنهم إخوة من أبيهم آدم : أى نحن أهل منازل لا يلبثون أن يتفرقوا ، وكنى عن الفراق بنعق غراب البين فيهم .

نبكي على الدنيا ، وما من معشر ... جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا

أين الأكاسرةُ الجبابرةُ الألى ... كنزوا الكنوزَ ، فما بقين ولا بقوا

من كلِّ مَنْ ضاق الفضاءُ بجيشه ... حتى ثوى ، فحواهُ لحدٌ ضيق (١)

خُرْسٌ اذا نُودوا ، كأنْ لم يعلموا ... أن الكلامَ لهم حلالٌ مُطلَق

فالموتُ آتٍ ، والنفوسُ نفائس ... والمستعزُّ بما لديه الأحمق

والمرءُ يأملُ ، والحياةُ شهيّةٌ ، ... والشَّيبُ أوقرُ ، والشبيبة أنزق

ولقد بكيتُ على الشباب ولِمّتى ... مُسوَدَّةٌ ، ولِماءِ وجهى رونق (٢)

حَذَرًا عليه قبلَ يوم فِراقه ... حتى لكدتُ بماءِ جفنى أشرق (٣)

وقال من قصيدة يصف حربا :

أتوكَ يحُرُّون الحديدَ كأنَّما ... سَرَوْا بِجياد ما لهُنَّ قوائمُ (٤)

اذا بَرَقُوا لم تُعرَف البيضُ منهمُ ... ثيابُهم من مِثلِها والعمائمُ (٥)

تَميسُ بشرق الأرضِ والغربِ زَحْفُه ... وفى أذن الجَوزاء منه زَمازِمُ (٦)

---

(١) ثوى الرجل : هلك .

(٢) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . ويريد برونق ماء الوجه : النضارة .

(٣) قال هذه القصيدة وهو شاب ؛ ولكنه يبكى الشباب حذرا من زواله .

(٤) أى لكثرة دروع الحديد عليهم وعلى خيلهم .

(٥) البيض : السيوف أى إذا برقوا بكثرة ماعليهم من الحديد المجلو لم تميز السيوف منهم ؛ لأن ثيابهم من الحديد أيضا ، ولأن عمائمهم من الحديد أيضا : يريد بالثياب الدروع ، والعمائم الخوذ والبيضات .

(٦) الخميس : الجيش . والجوزاء : برج فى السماء . الزمازم : الأصوات المختلفة التى لا تفهم أى أتوك بجيش عظيم يملأ المشرق والمغرب وتصل أصواته إلى السماء .

تجمّعَ فيه كلُّ لِسْنٍ وأُمّةٍ ... فما تُفهِمُ الحُدّاثَ إلا التراجمُ (١)

فلله وَقْتٌ ذوّبَ الغِشُّ نارُه ... فلم يبقَ إلا صارمٌ أو ضُبارِمُ (٢)

تَقَطَّعَ ما لا يَقطَعُ الدِّرعَ والقَنا ... وفرّ مِن الفُرسان مَن لا يُصادِمُ (٣)

وقفتَ وما فى الموتِ شكٌّ لواقفٍ ... كأنك فى جَفْنِ الردى وهو نائمُ (٤)

تمُرُّ بك الأبطالُ كَلْمَى هزيمةً ... ووجهُكَ وَضّاحٌ وثَغْرُكَ باسمُ (٥)

تجاوزتَ مقدارَ الشجاعةِ والنُّهى ... إلى قولِ قومٍ : أنتَ بالغيبِ عالمُ (٦)

ضَمَمْتَ جناحَيْهم على القلبِ ضمّةً ... تموتُ الخوافى تحتَها والقوادمُ

يضرْبُ أَتَى الهاماتِ، والنصرُ غائبٌ ... وصارَ الى اللَّبّاتِ، والنصرُ قادمُ (٧)

حقَرْتَ الرُّدَينيّاتِ حتى طرَحتَها ... وحتى كأنّ السيفَ للرمحِ شاتمُ (٨)

---

(١) اللسن : اللغة . والحداث : الجماعة يتحدثون . أى أنه مؤلف من أمم مختلفة الألسن : كالروم ، والصقاب ، والبلغار ، والألبان ، وغيرهم .

(٢) يريد بالغش الضعاف من الأسلحة والرجال . فأما الأسلحة فقلت وتكسرت ، وأما الرجال فهلكوا أو فروا ؛ فلم يبق إلا صارم قاطع وشجاع قوى . وفسر ذلك بالبيت بعده .

(٣) أى تقطع ما لا يقطع الدرع من السيوف .

(٤) أى كأن الردى : وهو الموت . مطبق عليك من جميع النواحى انطباق الجفن على العين ؛ مما لا يجعل للمرء مجالا للشك فى أن الموت واقع لا محالة ؛ فكان ينبغى لمن هذه حاله أن يفر ، أما أنت فلم تفعل ولم يبصرك الردى وغفل عنك بالنوم فسلمت .

(٥) كلمى : مجروحة مهزومة ؛ فتكون على وجوهها كآبة وعبوس ، أما أنت فكان وجهك وضاحا وثغرك باسما تقابل الموت مستبشرا أنفة بنفسك وشجاعة فى جبلتك .

(٦) أى كأنك تعرف ما سيكون لك من الظفر .

(٧) أى لم يكن بين ملاقاتهم ونصرك إلا مقدار ما يهوى السيف من أعلى الهامة إلى اللبة ، وهى موضع القلادة من الصدر ، فقبل الضرب كان النصر غائبا ، وبعده جاء النصر .

(٨) الردينيات : الرماح . ومن قاتل بها كان بينه وبين عدوه بعد ، والضرب بالسيف شرف . فالشجعان تقاتل بالسيوف ، لأنها لا تبالى مقاربة الاعداء .

ومن طَلَب الفَتْحَ الجليلَ فإنَّما مفاتيحُه البيضُ الخفافُ الصَّوارِمُ
نَثَرْتَهُمُ فوقَ الأحَيْدب (١) نَثْرةً كما نُثِرَتْ فوقَ العَروسِ الدَّراهم

وقال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر محاربته للروم، وبناءه مَرْعَشًا (٢):

فَدَيْناكَ مِن رَبع، وإن زدتَنا كَرْبا فانك كنتَ الشرقَ للشمسِ والغَرْبا
وكيف عرفْنا رسمَ من لم يَدَع لنا فؤادًا لِعرفان الرُّسوم ولا لُبَّا
نزلْنا عَنِ الأكوار نمشي كرامةً لِمَن بانَ عنه أن نُلِمَّ به رَكْبا (٣)
نذُمّ السحابَ الغُرَّ في فعلها به ونُعرِض عنها كلّما طلعتْ عَتْبا (٤)
ومن صَحِب الدنيا طويلا تقلَّبتْ على عينه حتى يَرَى صِدْقها كِذْبا
وكيف التِذاذي بالأصائل والضُّحا اذا لم يعُدْ ذاك النسيمُ الذي هبّا (٥)
ذكرتُ به وَصْلًا كأن لم أفُزْ به وعيشًا كأني كنتُ أقطَعُهُ وَثْبا
وفتّانةَ العينين قتّالةَ الهوى اذا نفحتْ شَيْخا روائحُها شَبّا
لها بَشَرُ الدُّرِّ الذي قُلِّدَتْ به ولم أرَ بَدْرًا قبلَها قُلِّدَ الشُّهْبا (٦)
فياشوقُ ما أبقى! ويالي مِن النَّوى! ويادمعُ ما أجرَى! ويا قلبُ ما أصبى
لقد لعِبَ البَيْنُ المُشِتّ بِها وبي وزَوَّدني في السيْر ما زَوَّد الضَّبا (٧)
ومن تكُن الأسدُ الضَّوارى جُدودَه يكن ليلُه صُبْحا ومطعَمُه غَصْبا

---

(١) الأحيدب: جبل بجهة بلدة الحدث.
(٢) بلد بالشام قرب أنطاكية.
(٣) الأكوار: جماعة الابل.
(٤) أي تذم السحاب لأنها عفت آثاره.
(٥) أي الذي هب قديما أيام كنا نسكنه مع الحبيب.
(٦) البشر: جمع بشرة. وهي ظاهر الجلد.
(٧) ما زود الضب: أي زودني العدم، لأن الضب يعيش في البادية بلا ماء او زودني الحيرة، لأنه اذا خرج ضل.

ولستُ أُبالى بعـد إدراكى العُـلا ... أكانَ تُراثًا ما تناولتُ أم كَسَبا

فرُبَّ غُـلامٍ عـلّم المجدَ نفسَـه ... كتعليم سيفِ الدولةِ الدولةَ الضَّرْبا

اذا آلدولةُ آستكفتْ به فى مُلِمَّـة ... كفاها، فكان السيفَ والكفَّ والقَلْبا

تُهابُ سيوفُ الهنـد، وهى حدائد ... فكيف اذا كانت نِزاريةً عُرْبا؟(١)

ويُرهَبُ نابُ الليثِ، والليثُ وحدَه ... فكيف اذا كان الليوثُ له صَحْبا؟

ويُخشَى عُبابُ البحرِ، والبحرُ ساكنٌ ... فكيف بمن يَغشى البـلادَ اذا عَبّا؟(٢)

عَلِـيمٌ بأَسـرار الديانات واللُّغَى ... له خطراتٌ تفضَحُ النـاسَ والكُتْبا(٣)

فبوركتَ مِن غيثٍ كأن جلودَنا ... به تُنبِتُ الدِّيباجَ والوشْىَ والعَصْبا(٤)

ومِن واهبٍ جَزْلًا، ومِن زاجرٍ: هَلَا، ... ومن هاتكٍ دِرْعًا، ومن ناثرٍ قُصْبا(٥)

هنيئًا لأهـل الثغـر رأيُكَ فيهـمُ ... وأنك حزبُ الله صِرتَ لهُـمْ حِزبا(٦)

وأنك رُعتَ الدهرَ فيهـا وريبَـهُ ... فإن شـكّ فليُحدِثْ بساحتها خَطْبا(٧)

---

(١) أى أن السيوف تهاب مع أنها حديد لاعقل له، فكيف يكون حالها فى الخوف منها إذا كانت عربية نزار به كسيف الدولة .

(٢) عب : ماج وتحرك .

(٣) اللغى : اللغات . أى أنه عليم بالديانات واللغات، وله فيها خواطر تفضح العلماء وكتبهم، لأنهم لم يبلغوا مقداره فى العلم .

(٤) العصب : ضرب من البرود . أى لأنك تخلعها علينا فنلبسها .

(٥) هلا : لفظ تزجر به الخيل . والقصب : الأمعاء . أى فبوركت من رجل يعطى الجزيل، ويزجر الخيل للقتال، ويهتك الدروع بسيفه وسنانه، ويشق البطون فينثر أمعاءها .

(٦) هنيئا حال من فعل محذوف، وهى عاملة الرفع فى رأيك وما عطف عليه .

(٧) ريب الدهر : صروفه وأحداثه . وضمير فيها يعود على الأرض المفهومة من المقام، والكلام تحد للدهر .

فيومًا بخيلٍ تطرُدُ الرومَ عنهمُ ... ويوما بجُودٍ تطرُدُ الفقْرَ والجَدْبا

سراياك تَتْرى والدُّمُستُقُ هارب ... وأصحابُه قَتْلى وأموالُه نُهْبى (١)

أتى مَرْعَشًا يستقرِبُ البُعْدَ مُقْبِلًا ... وأَدْبَرَ إذ أَقبلتَ يستبعِد القُرْبا

كذا يَتركُ الأعداءَ من يكرَهُ القَنا ... ويَقْفُلُ مَن كانتْ غنيمتُه رُعْبا (٢)

وهلْ رَدَّ عَنْه باللُّقَان وقُوفُه ... صدورَ العَوالِي والمُطَهَّمَةَ القُبَّا (٣)

مَضَى بَعْدَ ما ٱلتفَّ الرِّماحانِ ساعةً ... كما يَتَلَقَّى ٱلهُدْبُ فى الرَّقْدة الهُدْبا (٤)

ولكنَّه وَلَّى وللطَّعْن سَوْرَةٌ ... اذا ذكرتْها نَفْسُهُ لَمَس الجَنْبا

وخلَّى العذَارى والبطاريقَ والقُرى ... وشُعْثَ النصارى والقرابينَ والصُّلْبا (٥)

أرَى كُلَّنا يَبْغِى الحياةَ لنفسِه ... حريصا عليها مُسْتَهَامًا بها صَبَّا

فَحُبُّ الجَبَانِ النَّفْسَ أوردَه ٱلبَقَا ... وحُبُّ الشُّجاع النفسَ أوردَه الحَرْبا

ويختلفُ الرِّزقانِ، والفعلُ واحدٌ، ... الى أن تَرَى إحسانَ هذا لِذَا ذَنْبا

فأَضْحتْ كأنَّ السُّورَ مِن فَوْقِ بدئِه ... الى الأرض قد شَقَّ الكواكبَ والتُّرْبا (٦)

تَصُدُّ الرياحُ الهُوجُ عنها مخافةً ... وتفزع فيها الطيرُ أن تَلْقُطَ الحَبَّا (٧)

وتَرْدِى الجيادُ الحردُ فوقَ جِبالها ... وقد نَدَفَ الصِّنَّبْرُ فى طُرْقِها العُطْبا (٨)

---

(١) الدمستق : من الألقاب العظيمة لرؤساء الجيش عند الروم . ونهبى : منهوبة .

(٢) يقفل : يرجع .

(٣) اللقان : اسم مكان هناك . والمطهمة القب : الخيل الحسان المضمرة .

(٤) الرماحان : أى رماح هؤلاء ورماح هؤلاء . يريد : الجيشين .

(٥) البطاريق قواد الروم . وأراد بالشعث : الرهبان . والصلب بضم اللام : جمع صليب وأسكن اللام لضرورة الوزن .

(٦) أى من أعلاه إلى أدناه قد شق الخ . وقوله : فأضحت أى مرعش .

(٧) تصدّ : أى تفزع منها . وكذلك الطير تفزع أن تلقط الحب فيها لصعوبة ارتقائها .

(٨) تردى : من الرديان وهو ضرب من الجرى . والصنبر : السحاب البارد . والعطب : القطن .

كفى عجبًا أنْ يعجبَ الناسُ أنه ... بنى مرعشًا ؛ تبًّا لآرائهم تبًّا ! (١)

وما الفرقُ ما بينَ الأنامِ وبينه ... اذا حذرَ المحذورَ واستصعبَ الصعبا

لأمرٍ أعدّته الخلافةُ للعدا ... وسمّته دونَ العالمِ الصارمَ العضبا

ولم تفترقِ عنه الأسنّةُ رحمةً ... ولم تتركِ الشامَ الأعادى له حُبّا

ولكنْ نفاها عنه غيرَ كريمةٍ ... كريمُ الثنا ما سُبَّ قطُّ ولا سبّا (٢)

وجيشٌ يُثنّى كلَّ طودٍ كأنّه ... خريقُ رياحٍ واجهتْ غُصُنا رطبا (٣)

كأنّ نجومَ الليلِ خافتْ مُغارَه ... فمدّتْ عليها من عجاجتِه حُجْبا (٤)

فمن كانَ يُرضى اللؤمَ والكفرَ مُلكُه ... فهذا الذى يُرضى المكارمَ والرّبّا

وقال يذكر قيامَ شَبيب العُقيلى : وكان خارجا على كافور فمات فجأة وهو يحاصر دمشق . وقيل : دَسّ عليه كافور من سَمّه . وقيل : إنه أُلقى عليه رحى من السور، وهذه القصيدة من المدح المراد به الذم :

عدُوُّك مذمومٌ بكل لسانِ ... ولو كان من أعدائك القمران

ولله سرٌّ فى عُلاك ، وإنما ... كلامُ العدا ضربٌ من الهذيان

أتلتمسُ الأعداءُ بعد الذى رأتْ ... قيامَ دليل أو وُضوحَ بيان ؟

رأتْ كلّ من ينوى لك الغدرَ يبتلى ... بغدر حياةٍ أو بغدر زمان

برَغْمِ شَبيبٍ فارق السيفُ كفَّه ... وكانا على العلّات يصطحبان (٥)

---

(١) أى من العجب أن يعجب الناس من بنائه مرعشا كأنهم لم يعرفوا قدرته .
(٢) الثنا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء .
(٣) يثنى : يميل ، يريد : التغلب عليه . والخريق : الريح الشديدة .
(٤) مغاره : إغارته . والضمير فى عجاجته عائد على الليل ، والعجاجة يريد بها الظلام .
(٥) العلات هنا : الاحوال . تقول : قبلت هذا الشيء على علاته ، أى على مافيه ، أو على كل حال .

كأنّ رِقابَ الناس قالتْ لسَيْفِه: رفيقُك قيسيٌّ وأنتَ يَمانى (١)

فإن يكُ إنسانًا مضى لسبيله فإنّ المنايا غايةُ الحيوان (٢)

وما كان إلا النارَ فى كلّ موضع تُثيرُ غُبارا فى مكان دُخان

فنال حياةً يَشتهيها عَدُوُّه وموتًا يُشَهِّى الموتَ كلَّ جَبان (٣)

نَفَى وقعَ أطراف الرماح بِرُمْحِه ولم يَخْشَ وقْعَ النَّجْم والدَّبَرَان (٤)

ولم يدر أن الموتَ فوق شَواتِه مُعارُ جَناحٍ مُحْسِنُ الطيران (٥)

وقد قَتَلَ الأقرانَ حتى قَتَلْتَه بأضعفِ قِرْنٍ فى أذلِّ مكان

أتتْهُ المنايا فى طريقٍ خَفيةٍ على كلِّ سَمْعٍ حولَه وعِيان

ولو سلكتْ طُرْقَ السِّلاح لَرَدَّها بطُول يَمين واتّساع جَنان

تَقَصَّدَه المِقدارُ بَيْنَ صِحابه على ثِقةٍ مِن دهرِه وأمان (٦)

وهل ينفعُ الجَيْشَ الكثيرَ التفافُه على غيرِ مَنْصُورٍ وغيرِ مُعان

* * *

قضى اللهُ يا كافورُ أنك أوّلٌ وليس بقاضٍ أن يُرى لك ثانى

فما لَك تَختارُ القِسىَّ وإنما عن السَّعْدِ يَرْمِى دونَك الثَّقلان ؟ (٧)

وما لك تُعْنَى بالأسنّةِ والقَنا وجَدُّك طَعّانٌ بغيرِ سِنان ؟ (٨)

---

(١) لما بين قيس واليمن من العصبية فى الشام . (٢) الحيوان : الحياة .

(٣) لأن حياته كانت مقرونة بنصره ، وأن موته كان بالسكتة بلا سابق ألم ولا مرض .

(٤) أى أنه قدر أن يدفع عن نفسه رزايا الأرض ، ولكنه ما حسب حسابا لرزايا النحوس السماوية من الكواكب أمثال الدبران وهو كوكب نحس كما زعموا .

(٥) شواته : رأسه . (٦) المقدار : القدر .

(٧) الثقلان : الإنس والجن .

(٨) الاسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح . والقنا : جمع قناة ، وهى الرمح . والجد : الحظ .

ولِمْ تَحمِلِ السيفَ الطويلَ نِجادُه ... وأنت غَنِيٌّ عنه بالحَدَثانِ ؟ (١)

أرِدْ لى جَميلًا جُدْتَ أو لم تَجُدْ به ... فإنك ما أحْبَبْتَ فىَّ أتانى

لو آلفلكُ الدَّوارُ أبْغَضتَ سَعْيَهُ ... لعَوَّقَهُ شَيءٌ عن الدَّوَران !

وقال يوم عرفة ، وقد خرج من مصر فارًا من كافور الى الكوفة يهجوه وقومه :

عِيدٌ بأيَّةِ حالٍ عُدتَ يا عِيدُ ... بما مَضَى أم لأمرٍ فيكَ تَجديدُ (٢)

أما الأحِبَّةُ فالبيداءُ دونَهُمُ ... فليتَ دونَكَ بِيدًا دُونَها بِيدُ (٣)

لولا العُلا لم تَجُبْ بى ما أجُوبُ بها ... وَجْناءُ حَرْفٌ ولا جَرْداءُ قَيْدودُ (٤)

وكانَ أطيبَ مِن سَيْفِى مُضاجَعَةً ... أشباهُ رَوْنَقِهِ الغِيدُ الأماليدُ (٥)

لم يترِكِ آلدهرُ من قلبى ولا كَبِدى ... شَيئا تُتَيِّمُهُ عَينٌ ولا جِيد

يا ساقِيَىَّ أخمرٌ فى كُئُوسِكُما ... أم فى كُئُوسكما هَمٌّ وتَسهيد ؟

أصخرةٌ أنا مالِى لا تُحَرِّكُنِى ... هذِى المُدامُ ولا هَذِى الأغاريد؟

إذا أردتُ كُمَيْتَ اللَّونِ صافيةً ... وجدتُها، وحبيبُ النفْس مفقود (٦)

ماذا لَقِيتُ مِن الدنيا ؟ وأعجَبُها ... أنِّى بما أنا باكٍ منه محسود !

---

(١) النجاد : حمائل السيف .

(٢) فيك تجديد : أى فيك تجديد لأمر .

(٣) يريد بالأحبة جدته وبعض أهله بالكوفة

(٤) تجوب : تقطع . والوجناء الناقة العظيمة الخلق الصلبة العضل ، والحرف من النوق : المضمرة . والجرداء : الفرس القصيرة الشعر . والقيدود : الطويلة الظهر . أى لولا العلام تقطع بى الفلاة ناقة ولا فرس .

(٥) يريد بالغيد الأماليد : الجوارى الحسان الناعمات . وأشباه رونقه : أى اللواتى يشبهن السيف فى الرونق . ويروى : معانقة بدل مضاجعة .

(٦) يريد بكميت اللون : الخمر .

أمسيتُ أروَحَ مُثْرٍ : خازِنًا وَيَدًا ... أنا الغَنِيُّ، وأَمْوالِي المواعيدُ (١)

إنى نزلتُ بكذّابينَ ضَيْفُهُم ... عنِ القِرى وعنِ التَّرحالِ محدودُ (٢)

جُودُ الرجالِ من الأيْدى، وجودُهُمُ ... من اللسانِ؛ فلا كانوا ولا آلجودُ!

ما يَقْبِضُ الموتُ نفسًا مِن نُفوسهمُ ... إلا وفى يَدِه من نَتْنِها عُودُ (٣)

أُكُلّما آغتالَ عبدُ السوءِ سيدَه ... أو خانه فَلَهُ فى مصرَ تمهيدُ؟

صارَ الحَصِىُّ إمامَ الآبِقينَ بها ... فالحرُّ مستَعبَدٌ، والعبدُ معبودِ

نامَتْ نَواطيرُ مِصرٍ عن ثَعالِبِها ... فَقَدْ بَشِمْنَ، وما تَفْنَى العناقيدُ (٤)

العبدُ ليس لحُرٍّ صالحٍ بأخٍ ... لو أنه فى ثِيابِ الحُرِّ مولودُ

لا تَشْتَرِ آلعَبْدَ إلا والعَصا معه ... إن العبيدَ لأَنْجاسٌ مَناكيدُ

ما كنتُ أَحْسَبُنى أحيا الى زَمَنٍ ... يُسِيءُ بى فيه كَلْبٌ وهو محمودُ

ولا توهَّمتُ أنّ الناسَ قد فُقِدُوا ... وأن مثلَ أبى البَيْضاءِ موجودُ (٥)

وأن ذَا الأسودَ المثقوبَ مِشْفَرُهُ ... تُطيعُه ذى العَضاريطِ الرعاديدُ (٦)

---

(١) أروح : من الراحة . وخازنا ويدا : منصوبان على التمييز . أى أصبحت غنيا؛ ولكن يدى وخازنى فى راحة؛ اذ كانت أموالى مواعيد كافور، وهى وهمية .

(٢) القرى : ما يقدم للضيف من الطعام . ومحدود : أى ممنوع عن الرحيل عنهم .

(٣) أى أن الموت إذا جاءهم لقبض نفوسهم جعل فيه عودا ينشل به أرواحهم من أبدانهم لنتنها تقززا من مس أبدانهم بيده .

(٤) النواطير : حافظو الكروم بالظاء والطاء، ويريد بالنواطير السادة وبالثعالب الأراذل . وبشمن : أكلن فوق الشبع .

(٥) كناه بأبى البيضاء، وهى كنية العبيد سخرية منه .

(٦) العضاريط : جمع عضروط، وهو اللئيم الذى يخدم بطعام بطنه . والرعاديد : جمع رعديد وهو الجبان .

جَوْعَانُ يأْكُلُ مِن زَادِى ، ويُمْسِكُنِى ... لكَىْ يُقالَ : عظيمُ القَدْر مقصود

إن آمرأً أمَةٌ حُبلى تُدَبِّرُه ... لمُستَضَامٌ سَخِينُ العَيْن مفئُود (١)

وَيْلُمِّها خطة ! وَيْلُمِّ قابلها ! ... لمثلِها خُلِقَ المَهْرِيَّةُ القُود (٢)

وعندَها لَذَّ طَعْمَ الموتِ شَارِبُهُ ... إن المَنِيَّةَ عِند الذل قِنديد (٣)

مَن عَلَّمَ الأسودَ المخصِىَّ مَكْرُمةً؟ ... أَقَوْمُهُ البيضُ أم آباؤه الصِّيد؟

أم أذْنُهُ فى يد النَّخَّاس دامِيةً ... أم قَدرُه ، وهو بالفَلْسَيْن مردود

أولَى اللئام كُوَيْفيرٌ بمعذِرة ... فى كلِّ لَومٍ ، وبعضُ العُذرِ تَفنيد (٤)

وذاكَ أن الفحولَ البيضَ عاجزةٌ ... عن الجميل ، فكيفَ الخصيةُ السُّودُ؟ (٥)

وقال يمدح سيف الدولة ويعاتبه عند إزماعه السفر الى مصر :

واحَرَّ قلباهُ مِمنْ قلبُه شَبِمُ ... ومن بجِسمِى وحالى عنده سَقَمُ (٦)

مالى أُكتِّمُ حُبًّا قد بَرَى جَسَدِى ... وتدّعى حُبَّ سيفِ الدولة الأمم

إن كان يَجمعُنَا حبٌّ لغُرَّته ... فليتَ أنّا بِقدْر الحب نَقتسم (٧)

---

(١) مفئود : مصاب فى فؤاده . أى أن من يدبره ويسوسه أمثال كافور الخصى العظيم البطن الذى يشبه الأمة الحبلى لسخين العين فاقد العقل .

(٢) ويلمها : أى ويل لأمها ، فحذفت ألف أم توسعا ، وجعلت مع الويل كأنها كلمة واحدة ، ولام ويل : إما مرفوعة أو مخفوضة بنقل حركة همزة إم المحذوفة إليها على لغة من يكسر همزة أم ، وهى سب للمكروه . والخطة هنا : الشأن والحال والعيشة . وقوله : لمثلها الخ أى لمثل الخلاص منها . والمهرية : النوق المنسوبة إلى بلاد مهرة ، وهى كريمة سريعة السير . والقود : جمع قوداء ، وهى الطويلة .

(٣) القنديد : العسل من قصب السكر .

(٤) كويفير : تصغير كافور . والتفنيد : اللوم والمؤاخذة .

(٥) جمع خصى ، ويجمع أيضا على خصيان .

(٦) الهاء فى قلباه : للسكت ، واتصالها هنا بما قبلها مع أنها موصولة بما بعدها ضعيف ، أو هو مذهب كوفى . والشبم : البارد . أى ما أشد حرارة قلبى من حب الذى برد قلبه .

(٧) الغرة : الوجه . أى ليته يرعى كلا منا بقدر حبنا إياه .

قد زرتُهُ ، وسيوفُ الهند مُغمدةٌ ... وقد نظرتُ اليه ، والسيوفُ دَمُ (١)

فكان أحسنَ خلقِ الله كلِّهمُ ... وكان أحسنَ ما فى الأحسن الشيمُ

فَوْتُ العدُوِّ الذى يممتهُ ظَفَرٌ ... فى طَيِّه أَسَفٌ فى طَيِّه نِعَم (٢)

قد نابَ عنك شديدُ الخوْف واصطنعتْ ... لك المَهابةُ ما لا تصنعُ البُهَم (٣)

أَلزمتَ نفسَك شيئًا ليس يَلْزَمُها ... ألّا تُوارِيَهم أرضٌ ولا عَلَم (٤)

أكُلَّما رُمتَ جيشا ، فانثنَى هَرَبًا ... تصرَّفتْ بك فى آثاره الهِمَمُ ؟

عليك هزْمُهم فى كلّ معترَكٍ ... وما عليك بهم عارٌ إذا انهزموا

أما ترى ظَفَرًا حُلْوًا سِوَى ظَفَرٍ ... تصافحتْ فيه بيضُ الهند واللِّمَم (٥)

يا أعدلَ الناسِ الا فى مُعامَلتى ... فيكَ الخِصامُ ، وأنتَ الخصمُ والحَكَمُ !

أعيذُها نَظَراتٍ منك صادقةً ... أن تحسَبَ الشحْمَ فيمَنْ شحْمُه وَرَمُ

وما انتفاعُ أخى الدنيا بناظره ... اذا استوتْ عنده الأنوارُ والظُّلَمُ

أنا الذى نظَرَ الأعمى الى أدبى ... وأسمعَتْ كلماتى مَن به صَمَمُ (٦)

---

(١) أى أنى خدمته فى حالتى السلم والحرب .

(٢) أى أن فوت العدو وفراره منك ظفر لك فى ضمنه أسف على عدم إدراكه وقتله ، ولكن فيه نعم لأنك كفيته .

(٣) البهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع . أى أن خوف الأعداء منك يفعل فيهم ما لا يفعله الشجعان .

(٤) العلم : الجبل . أى تريد ألا يستر أعداءك الفارين مكان يختفون فيه ، وهذا غير لازم بل يكفك فرارهم . والابيات الآتية توضح المعنى .

(٥) اللمم : جمع لمة وهى الشعر المجاوز شحمة الأذنين ، يريد الرءوس .

(٦) يريد بكلماته أشعاره .

أنامُ مِلءَ جُفونِي عن شَوارِدِها ... ويَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاها ويَخْتَصِم (١)

وجاهِلٍ مَدَّهُ فى جَهْلِهِ ضَحِكى ... حتى أتَتْهُ يَدٌ فرّاسَةٌ وفَم

اذا رأيتَ نُيُوبَ اللّيثِ بارزةً ... فلا تظنَّن أن اللّيثَ يَبْتَسِم

ومُهجَةٍ مُهجَتى مِنْ هَمِّ صاحِبِها ... أدركتُها بِجَوادٍ ظَهْرُه حَرَم (٢)

رِجلاهُ فى الرّكض رِجلٌ، واليدان يَدٌ ... وفعلُهُ ما تُرِيدُ الكفُّ والقَدَم (٣)

ومُرْهَفٍ سِرْتُ بَيْنَ الجَحفَلَيْنِ به ... حتى ضَرَبْتُ، وموْجُ الموت يَلتَطِم

فالخيلُ واللّيلُ والبيداء تَعرِفُنِي ... والحَرْبُ والضَّربُ والقِرطاسُ والقَلَم

صحبتُ فى الفلواتِ الوحشَ مُنفَرِدًا ... حتى تعجَّبَ منى القُورُ والأَكَم (٤)

يا مَن يعِزّ علينا أن نُفارِقَهم ... وِجدانُنا كلَّ شىء بعدَكم عَدَم (٥)

ما كان أخلقَنا منكم بتكرِمةٍ ... لو أن أمرَكُمُ من أمرِنا أَمَمُ

إن كان سَرَّكُمُ ما قال حاسِدُنا ... فما لجُرحٍ إذا أرضاكُمُ ألَمُ

وبَيْنَنا لو رعيتُمْ ذاكَ معرِفَةٌ ... إن المعارفَ فى أهلِ النُّهَى ذِمَمُ

كم تطلُبون لنا عَيْبًا فيُعْجِزُكُمْ ... ويَكرَهُ اللهُ ما تأتونَ والكَرَم

---

(١) وشوارد الأشعار : سوائرها وذائعاتها : أى أنه ينظمها وينام ، والناس يسهرون لأجلها بحثا ونقدا واجتلابا وحفظا ورواية .

(٢) أى ورب مهجة حاسد أو عدو مهجتى أنا من همه وقصده ، قد أدركتها وقتلت صاحبها على فرس ظهره أمان وحصن .

(٣) وصف الفرس بالسرعة والنشاط فقال : رجلاه رجل واحدة ، ويداه يد . يعنى أنه يرفع رجليه معا ويضعهما كذلك . وكذلك يداه . وفعله فى الجرى يغنى عن الكف التى تحمل السوط وعن القدم التى يستحثه بها .

(٤) القور : جمع قارة . وهى الأكمة فى الأرض الحزة (البركانية) .

(٥) الوجدان : الوجود . أى لما فارقنا كم كان كل شىء نجده فى حكم العدم .

ما أبعدَ العيبَ والنُّقصانَ من شَرَفى ؛ أنا الثُّريّا ، وذانِ الشَّيْبُ والهَرَم

ليتَ الغمامَ الذى عندى صواعقُه يُزيلُهنَّ الى مَن عنده الدِّيَم

أرى النَّوَى يَقْتضينى كلَّ مرحلةٍ لا تَستقلُّ بها الوَخّادةُ الرُّسُم (١)

لئن تركْنَ ضُمَيْرًا عن ميامِنِنا ليَحْدُثَنَّ لِمَن ودَّعتُهم نَدَم (٢)

اذا ترحَّلتَ عن قومٍ وقد قدَرُوا ألّا تُفارِقَهم فالراحلون هُمُ

شرُّ البلادِ مكانٌ لا صديقَ به وشَرُّ ما يكسبُ الانسانُ ما يَصِمُ

وشرُّ ما قَنَصتْه راحتي قَنَصٌ شُهْبُ البُزاةِ سواءٌ فيه والرَّخَم (٣)

بأى لفْظٍ تقول الشعرَ زِعْنِفَةٌ تجوزُ عندك لا عُربٌ ولا عَجَم (٤)

هذا عتابُك إلا أنه مِقَةٌ قد ضُمِّنَ الدُّرَّ إلّا انه كَلِم (٥)

وقال فى الحكمة :

اذا غامرتَ فى شرفٍ مَرُومِ فلا تَقْنَعْ بما دُونَ النُّجومِ

فطَعْمُ الموْتِ فى أمرٍ حقيرٍ كطعمِ الموْتِ فى أمرٍ عظيمِ

ستَبكى شجْوَها فرَسى ومُهرِى صفائحُ دمعُها ماءُ الجُسومِ (٦)

قَرَبْنَ النارَ ، ثم نَشأنَ فيها كما نَشأَ العَذارَى فى النعيمِ

وفارقْنَ الصياقِلَ مُخْلَصاتٍ وأيديها كثيراتُ الكُلومِ (٧)

---

(١) الإبل السريعة المشى القوية عليه .

(٢) ضمير : جبل يكون على يمين الذاهب إلى مصر من حلب .

(٣) البزاة : جمع باز وهو ضرب من الصقور قوى . والرخم طائر من الجوارح .

(٤) الزعنفة : الطائفة ، وأصل الزعانف : أجنحة السمك ، يشبه بها الأرذال والأوشاب .

(٥) المقة : الحب والعشق .

(٦) يريد بالصفائح السيوف . ثم أخذ فى وصفها الخ .

(٧) الصياقل : جمع صيقل ، وهو الذى يشحذ السيوف . والكلوم : جمع كلم ، وهو الجرح . أى وأيدى الصياقل كثيرة الجراح من مضائها .

يرى الجُبَناءُ أن العجزَ عقلٌ ... وتلك خَديعةُ الطبْعِ اللئيم
وكلُّ شجاعةٍ فى المرءِ تُغْنِي ... ولا مثلَ الشَّجاعةِ فى الحكيم
وكم من عائبٍ قولا صحيحًا ... وآفتُه من الفَهْمِ السقيم
ولكِنْ تأخُذُ الآذانُ منهُ ... على قَدْرِ القرائحِ والفُهوم

وقال من قصيدة يمدح بها كافورا :

أوَدُّ من الأيَّامِ ما لا تَوَدُّهُ ... وأشكو إليها بَيْنَنا وهى جُندُه (١)
يُباعِدْن حِبًّا يَجْتَمِعْن ووَصْلُه ... فكيف بحبٍّ يجتمِعْن وصَدُّه (٢)
أبى خُلُقُ الدُّنيا حبيبًا تُديمُه ... فما طَلَبى منها حبيبا تَرُدُّه ؟
وأسرعُ مفعولٍ فعلتَ تغيُّراً ... تكلُّفُ شىءٍ فى طِباعِكَ ضِدُّه
رعَى اللهُ عِيسًا فارقتْنا وفوقَها ... مَهًا كلُّها يُولَى بجفنَيْهِ خَدُّه (٣)
يوادٍ به ما بالقلوب كأنّه ... وقد رحلوا جِيدٌ تناثرَ عِقْدُه (٤)
إذا سارت الأحداجُ فوقَ نَباتِه ... تفاوَحَ مِسكُ الغانياتِ وَرَنْدُه (٥)

---

(١) أى أود منها مالا توده من إنصافى وتنويل مرادى ، وأشكو إليها فراقنا ، وهى عون عن الفراق .

(٢) وصله وصده : معطوفان على الضمير فى يجتمعن بدون فاصل ، ضرورة . أى يبعدن منها الحبيب المواصل ، فكيف يقربن الحبيب المقاطع ؟

(٣) العيس : الابل البيض . والمها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية تشبه بها المرأة فى حسن عينين . ويولى : يمطر ، أى ينزل عليه المطر . والمراد به هنا الدموع ، أى رعى الله إبلا فارقتنا عليها نسوة كالمها كل واحدة منهن تبكى فيسيل دمعها على خدها .

(٤) أى فارقتنا بواد به ما بقلوبنا من الوجد والوحشة ، وكان متزينا بنزولهن فيه ، فلما رحلن صار كالجيد العاطل من الحلية .

(٥) الأحداج : جمع حدج : مركب كالهودج للنساء . والرند : نبات طيب الرائحة بالبادية ، وهو الغار . أى اذا سارت الإبل حاملة لهن فى الأحداج تفاوح مسكهن ونبات الرند بالوادى .

وحالٍ كإحداهُن رُمْتُ بُلوغَها ... ومِن دُونِها غَوْلُ الطريق وبُعْدُه (١)

وأَتعبُ خَلْقِ الله من زادَ همُّـه ... وقَصَّرَ عما تَشْتَهِى النفسُ وُجدُه (٢)

فلا يَتَحَلَّلْ فى المَجْـد مالُك كلُّه ... فينحلَّ مَجْـدٌ كان بالمـال عَقْـدُه

ودَبِّرْه تدبيرَ الذى المجـدُ كَفُّهُ ... إذا حارَبَ الأعداءَ ، والمالُ زَنْدُه (٣)

فلا مَجْـدَ فى الدنيـا لِمَن قلَّ مالُهُ ... ولا مالَ فى الدنيـا لِمَن قلَّ مَجْدُه

وفى الناسِ مَن يرضَى بميسورِ عيْشِهِ ... ومركوبُه رِجلاهُ ، والثَّوبُ جِلْدُه

ولكنَّ قَلْبًـا بين جَنْبَىَّ مالَهُ ... مَـدًى ينتهى بى فى مُرادٍ أَحُدُّه

يَرَى جسمَه يُكسَى شُـفُوفا تَرُبُّهُ ... فيختارُ أن يُكسَى دُروعا تَهُـدُّه (٤)

يُكَلِّفُنِى التهجيرَ فى كلِّ مَهْمَهٍ ... عَلِيقِى مَراعِيـهِ وزادِى رُبُدُه (٥)

وقال فى وصف الحياة والناس :

صَحِبَ النـاسُ قبلَنـا ذا الزمانَا ... وعَنَـاهُمْ من شأْنِهِ ما عَنانا

وتولَّوْا بِغُصَّـةٍ كلُّهـم مِنْـ ... ـه ، وإن سَرَّ بعضهم أحيانا

رُبَّما تُحسِنُ الصنيعَ لياليـ ... ـه ، ولكنْ تُكَدِّرُ الإحسانا

وكأنَّا لم يَرْضَ فينـا بِرَيبِ الدَّ ... هْرِ ، حتَّى أعانَـهُ مَن أعانا

كلَّمـا أَنبتَ الزمانُ قَنـاةً ... ركَّبَ المـرءُ فى القنـاةِ سِـنانا (٦)

---

(١) الغول : المشقة . أى : ورب حال كإحدى هـذه النسوة فى الصعوبة والامتناع وتعذ الوصول إليهن .

(٢) الوجد : المال والمقدرة .

(٣) الزند : موصل الذراع فى الكف ، ومن الزند يستمد الكف قوته .

(٤) الشفوف : جمع شف ، وهو الثوب الرقيق . تربه : تنعمه وتميه .

(٥) التهجير : السير فى الهاجرة وهى نصف النهار . والمهمه : المكان القفز . والربد : جمع أربد يريد بها النعام . أى لا علق له إلا مرعى البادية . ولا زاد إلا من صيد النعام .

(٦) القناة . الرمح . والسنان : رأسه الذى يطعن . وهو النصل .

ومُرادُ النفوسِ أصغرُ مِنْ أنْ ... تتعادَى فيه ، وأنْ تتفانَى

غيرَ أن الفتى يُلاقِي المنايا ... كالِحاتٍ ، ولا يُلاقِي الهَوانا

ولو أن الحياةَ تبقَى لحيّ ... لعَدَدْنا أضَلَّنا الشُّجْعانا

وإذا لم يكن مِنَ الموْتِ بُدٌّ ... فمن العَجْزِ أن تكون جَبانا

كلُّ ما لم يكُنْ مِنَ الصعْبِ فى الأنـ ... ـفُسِ سَهْلٌ فيها إذا هُو كانا (١)

(٢) أبو فراس (٢)

قال فى الشكوى والعتاب :

وإنّى وقوْمِي فرقتْنا مذاهبُ ... وإن جمعتْنا فى الأُصول المَناسِبُ

فأقصاهُمُ أقصاهُمُ من مَساءَتى ... وأقربُهُمْ مما كرِهتُ الأقاربُ

غريبٌ وأهلِي حيثُ ما كرَّ ناظِرِي ... وحيدٌ وحَوْلِى مِن رجالى عَصائبُ (٣)

نَسِيبُك من ناسبْتَ بالوُدّ قلبَه ... وجارُك مَن صافَيْتَه لا المُصاقِبُ (٤)

وأعظمُ أعْداء الرجال ثِقاتُها ... وأهونُ مَن عادَيْتَه مَنْ تُحارِبُ

وما الذنبُ إلا العَجزُ يركَبُه الفتى ... وما ذنبُه إن حارَبَتْه المطالبُ

ومن كان غيرُ السيف كافلَ رزْقه ... فللذُّلِّ منه — لا مَحالةَ — جانبُ

---

(١) أى أن كل شىء صعب لم تصب به النفس ، يسهل على النفس أمره إذا أصيبت به .

(٢) هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبى ابن عم سيف الدولة أمير حلب وممدوح المتنبى ، كان شاعرا كاتبا أديبا فارسا . طالما قاتل الروم بين يدى سيف الدولة أمير حلب ، وأسر فى إحدى وقائعه معهم ، وطال أسره . وكان يكتب إلى سيف الدولة من الكتب والقصائد فى إنقاذه ، وكان يعسر عليه المفاداة . ثم فك أسره ، وسكن منبج متوليا عليها . ثم قتل فى ثورة قومية سنة ٣٥٧ عن ٣٧ سنة . ويغلب على شعره الفخر والشكوى من الأقارب والعتاب .

(٣) عصائب : جماعات . (٤) المصاقب : الذى داره بجانب دارك .

وقال فى الحكم :

انفِق من الصبر الجميل ، فَانَّه ... لم يَخْش فقرا مُنْفِقٌ مِن صَبْرِه
والمرء ليس ببالغٍ فى أَرضِه ... كالصَّقر ليس بصائد فى وَكْرِه

وقال يشكو حاسديه ويذم فعلهم :

وَمَضْطَغِنٍ[1] لم يحمِلِ السِّر قلبُه ... تَلَفَّتَ ثم اغتابنى وهو هائب
تردّى رِداء الذل لمَّا لَقِيتُه ... كما تتردَّى بالغُبَارِ العناكب
ومِن شَرَفى ألا يزال يعيبنى ... حسود على الأمر الذى هو عائب
رَمَتْنى عيون الناس حتى أَظُنُّها ... ستحسدنى فى الحاسدين الكواكب
ولست أرَى إلَّا عدوًّا محارِبا ... وآخَرَ خيرٌ منهُ عِنْدِى المُحارِب[2]
فهُم يُطفئُون المجد ، والله واقد ... وهم ينقُصُون الفَضْل ، والله واهب
وهل يدفع الإنسانُ ما هو واقعٌ ... وهل يعلمُ الإنسانُ ما هُو كاسِب ؟
وهل لقضاء الله فى الناس غالب ... وهل من قضاء الله فى النأس هارب؟
علىَّ طلَابُ العزِّ مِن مُسْتَقَرِّه ... ولا ذنْبَ لى إنْ حاربتْنى المَطالِبُ[3]
إذا الله لم يُحرزكَ مما تَخَافه ... فلا الدِّرعُ منَّاعٌ ولا السيفُ قاضب[4]

وقال فى وصف كتاب ورد عليه من صديق له :

وواردِ مُوردٍ أنْسًا يؤكِّدُه ... صُدورُه عن سليم الوِرْدِ[5] والصَّدرِ[6]
شُدَّت سحائبه منه على نُزَهٍ[7] ... تُقَسِّمُ الحسنَ بيْن السَّمْعِ والبَصَر

---

(١) منطو على الضغن وهو الحقد .
(٢) يريد الحسود المنافق الذى يبطن له العداوة .
(٣) الطلاب : الطلب . (٤) لم يحرزك : لم يوقك . قاضب : قاطع .
(٥) الذهاب . (٦) الرجوع . (٧) جمع نزهة : الأرض المزينة بالنبات .

عُذُوبَةٌ صَدَرَتْ عن منطِقٍ جَدَدٍ (١) كالماءِ يخرج ينبوعا مِن الحجرِ
وروضة مِن رِياضِ الفِكرِ دَبَّجَهَا (٢) صَوْبُ (٣) القرائحِ لا صوبٌ من المطر
كأنما نَشَرت أيدى الربيع بها بُرداً (٤) مِن الوشيِ (٥) أو ثوبا مِن الحِبَرِ (٦)

وقال من قصيدة ينوّه فيها بشجاعته ، وقد أسره الروم وهو يحارب فى جيش ابن عمه سيف الدولة :

أسرت وما صحبي بِعُزل (٧) لَدَى الوَغَى ولا فرسى مُهْرٌ ولا ربُّهُ غُمْرُ (٨)
ولكن إذا حُمَّ (٩) القضاءُ على امرئٍ فليس له بَرٌّ يقيه ولا بحرُ
وقال أصيحابى : الفِرارُ أَو الرَّدَى فقلت : هما أمران ، أَحلاهما مرّ
ولكننى أَمْضِى لما لا يَعيبُنى وحسبُك من أمرين ، خيرهما الأَسْرُ
يَمُنُّون أَن خَلَّوْا ثيابى ، و إنما علىَّ ثياب من دِمائهم حمرُ
ونحن أناسٌ لا تَوَسُّط عندَنا لنا الصدرُ دون العالمين أو القبرُ
تَهُون علينا فى المعالى نفُوسُنَا ومن يخطُبِ الحسْناء لم يُغلِها المهرُ

وكتب وهو فى أسر الروم إلى سيف الدولة :

أَبَى غَرْب هذا الدَّهرِ إلا تَسرُّعَا ومكنونُ هذا الحُبِّ إلا تَضَوُّعا

---

(١) سهل .
(٢) نقشها .
(٣) نزول المطر .
(٤) ثوب مخطط .
(٥) كثير الألوان .
(٦) برد يمان .
(٧) لا رماح معهم . مفرده : أعزل .
(٨) من لم يجرب الأمور
(٩) نزل .

فلما استمرّ الحب فى غُلوائهِ ... رَعَيْتُ مع المِضياعة الغِرّ ما وَعَى (١)

فُزْنى حُزْنُ الهائمين مُبَرِّحًا ... وسرّى سرُّ العاشقين مُضَيَّعا

خليلى : لِمْ لا تبكيانى صبابةً ... أأبدلتُمَا بالأجرع الفرد أجرعا ؟ (٢)

علىّ لِمن ضنّت علىّ جُفونُه ... غَوارِبُ دمع يَشمَلُ الحَىَّ أجمَعا (٣)

وهَبْتُ شبابى، والشبابُ مَضِنَّةٌ ... لأبلجَ من أبناءِ عمىَ أروعا (٤)

أبيتُ مُعَنًّى من مَخافةِ عَتْبِهِ ... وأُصبحُ محزونا ، وأُمسى مُرَوَّعا

فلمّا مضى عصرُ الشبيبةِ كُلُّهُ ... وفارقنى شرخُ الشباب فوَدَّعا

تطلّبتُ بين العَتْب والهجْرِ فُرجةً ... فحاولتُ أمرًا لا يُرامُ مُمَنَّعا

وصِرتُ إذا مازُمت فى الخير لذةً ... تتبعتُها بين الهُموم تتُّبعا (٥)

وها أنا قد حلّى الزمانُ مَفارِقى ... وتَوَّجَنى بالشّيب تاجًا مُرَصَّعا

فلَوْ أننى مُكّنْتُ فيما أريدُه ... من العيش يوما لم أجدْ فىّ مَوْضِعا

أما ليلةٌ تَمْضى ولا بعضُ ليلة ... أُسَرُّ بها هذا الفؤادَ الموجعا ؟

أما صاحبٌ فَرْدٌ يدومُ وفاؤُه ... فيُصْفِى لِمن أَصْفَى، ويَرْعى لِمن رَعَى

أفى كلّ دار لى صديقٌ أوَدُّه ... إذا ما تفرّقنا حَفِظتُ وضيّعا

---

(١) الغلواء : الغلو . والمضياعة : الكثير الإضاعة . والغرّ : القليل التجربة . أى فلما زاد الحب ضعفت عزيمتى ورعيت مع الحبيب الغفل ما يرعى واتبعته فيما يشاء .

(٢) أى هل استبدلتما بالأجرع الفرد مكانا غيره . يريد هل نسيتانى واتخذتما بدلى حبيبا آخر ؟

(٣) أى انى أبكى على من لا يبكى علىّ بكاء يعم الحى جميعه . يصف نفسه بالوفاء ولو لغير وفى .

(٤) الأروع : السيد الشجاع السريع النجدة . (٥) يعنى أنه محروم لا يستخرج لذته إلا من بين الهموم . (٦) أى أنه لم تبق فيه بقية صحة للتمتع .

اذا خِفتُ من أخوالىَ الرومِ خُطَّةً ... تخوَّفتُ مِن أعمامِىَ العُرْبِ أربعا

وإن أوجعتْنى مِن أعادِىَّ شيمةٌ ... لَقيتُ مِن الأحباب أدْمَى وأوْجعا

ولَوْ قَدْ رَجوت اللهَ لا ربَّ غيرُه ... رجعتُ الى أعْلَى ، وأمَّلتُ أوسعا (١)

لقد قَنعوا بَعْدِى من القَطْرِ بالنَّدى ... ومَن لم يجِدْ إلا القُنوعَ تقنَّعا (٢)

وما مَرَّ إنسانٌ فأخْلَفَ مِثْلَه ... ولكن يُرَجِّى الناسُ أمْرا مُوَقَّعا (٣)

تَكَرَّ سيفُ الدّين لما عَتَبْتُه ... وعرّضَ بى تحتَ الكلامِ وقَرَّعا

فقُولا له : يا صادق الوُدّ إننى ... جعلتُك مِما رَابَنِى منك مَفْزَعا

ولو أننى أكننْتُه فى جوانحى ... لأورقَ ما بين الضلوع وفَرَّعا (٤)

فلا تغترَرْ بالناس ؛ ما كُلُّ مَن ترى ... أخوك : اذا أوْضعتَ فى الأمر أوْضعا (٥)

ولا تتقلَّدْ ما يروقُ جَمالُه ... تَقَلَّدْ إذا جَرَّبْتَ ما كان أقطعا (٦)

ولا تقبلَنَّ القولَ مِن كلّ قائلٍ ... سأُرضيك مرأى لستُ أُرضيك مَسْمَعا

فللهِ إحسانٌ علىَّ ونِعْمةٌ ... ولله صُنعٌ قد كفانى التَّصَنعا

أرانِىَ طُرقَ المَكْرُمات كما رأى ... علىٌّ وأسمانى على كل من سَعَى (٧)

فان يكُ بُطءٌ مرة فلطالما ... تَعَجَّلَ بى نَحْوَ الجميلِ فأسرعا

---

(١) أى أنى خبت فى رجائى الناس ولو رجوت الله وحده لكنت رجعت الى أعلى مرتجى وأملت أوسع مؤمل .

(٢و٣) أى أن أهلى نسوني وقنعوا بغيرى ممن لا يغنى غنائى مع أن من مضى لا يأتى خلف له يساويه . وانما يعتبر الناس الأمر الواقع فيكتفون بغيرى عن غيبتى .

(٤) أورق الشجر : ظهر ورقة ، أى أننى لو تركت عتابى لك فيما أخذته عليك ، وكتمت ذلك فى قلبى ، لجانب كتمانه الحقد والعداوة . فالمسارعة باظهار المؤاخذة أنفى للشر ، وأدل على المودة والمحبة .

(٥) أوضع فى الأمر : أسرع فيه ، أو أجرى دابته إجراء سريعا .

(٦) ولا تتقلد ما يروق الخ : أى لا تتقلد سيفا جميل المنظر غير قاطع .

(٧) يريد بعلى : سيف الدولة ، وهو اسمه .

وإن يَخْفُ فى بعض الأمـور فإننى ... لأشكرُه النُّعْمَى التى كان أودعا

وإن يستجدَّ الناسَ بعدى فلم يزَلْ ... بذاك البديلِ المُسْتجَدِّ مُمَتَّعا(١)

وقال من قصيدة بعث بها اليه من الأسر يعاتبه على تباطئه فى فكاكه :

وأبطأَ عنّى والمنايا سريعةٌ ... وللموْتِ ظُفْرٌ قد أطلَّ ونابُ

فان لم يكن وُدٌّ قريبٌ نَعُدّهُ ... ولا نَسَبٌ بين الرجال قُراب(٢)

فأحْوَطُ للإسلامِ ألّا يُضيعَنى ... ولى عنه فيه حَوْطَةٌ ومَناب(٣)

ولكننى راضٍ على كلِّ حالةٍ ... ليعلَمَ أىُّ الحالتين صَواب ؟

وما زِلتُ أرضَى بالقليل محبةً ... لديْهِ ، وما دُونَ الكثير حجاب

وأطْلُبُ إبقاءً على الوُدِّ أرْضَه ... وذِكْرِى مُنًى فى غيرها وطِلاب(٤)

كذاك الوِدادُ المَحْض : لا يُرتَجَى له ... ثَوابٌ ، ولا يُخْشَى عليه عِقاب

وقد كنت أخْشَى الهجر ، والشملُ جامعٌ ... وفى كلِّ يومٍ لُقْيةٌ وخطاب

فكيف وفيما بَيْنَنا مُلكُ قَيْصرٍ ... وللبحر حَوْلِى زَخْرةٌ وعُبابُ ؟

أمِنْ بَعد بَذْل النفسِ فيما تُريدُه ... أُثابُ بمُرِّ العَتْب حين أُثاب ؟

فليتَك تحلُو ، والحياةُ مَريرةٌ ... وليتَك تَرْضَى ، والأنامُ غِضاب

وليتَ الذى بَيْنى وبَيْنَك عامرٌ ... وبينى وبَين العالَمين خَراب

اذا صَحّ مِنك الوُدُّ فالكلُّ هَيِّنٌ ... وكُلُّ الذى فَوقَ التُّرابِ تُراب

---

(١) أى وان يستجد سيف الدولة قائدا ونصيرا آخر بعدى فانى أدعو له بأن يظل ممتعا به .

(٢) القراب : المقارب .

(٣) أى اذا لم ينقذنى للود والنسب فلا أقل من أن يستنقذنى للاسلام فانى أحوطه وأنوب عنه فى الذود عنه .

(٤) أى أنى أطلب أرضه إبقاء على ودّه و إلا فان مجرّد ذكرى فى أرض غيرها هو منية أهلها وطلبتهم .

(٣) أبو العلاء المعرى[1]

قال فى الفخـــر :

أرَى العنقاءَ تكبُرُ أن تُصادَا ... فعانِدْ من تُطيقُ له عِنـادَا [2]

وما نَهْنَهْتُ عن طلَبٍ، ولكنْ ... هىَ الأيام لا تُعطِى قِيـادا [3]

فلا تَلُمِ السـوابقَ والمطـايا ... اذَا غرضٌ مِنَ الأغراض حادا [4]

لعلَّك أن تَشُنَّ بها مُغـارا ... فتُنجِحَ أو تُجَشِّمَها طِـرادا [5]

مُقارِعةً أَحِجَّتَها العَـوالِى ... مُجَنَّبـةً نواظرَها الـرُّقادا [6]

تَلومُ على تَبَـلُّدها قـلوبًا ... تُكابِدُ مِن مَعيشتها جِهـادا

اذا ما النـارُ لم تُطْعَمْ ضِراماً ... فأوْشِكْ أن تمُرَّ بها رَمادا

فظُنَّ بسائرِ الإخوان شَرًّا ... ولا تأمَنْ على سرٍّ فُؤادا

---

(١) أبو العلاء هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرى الضرير الشاعر الفيلسوف المؤلف . نشأ بالمعرة ودرس على أبيه وأهله صبيا . ثم على علماء حلب وأعالى الشام حتى صار علما فى الاشتهار . ثم ذهب الى بغداد ولاقى علماءها ورؤساءها . ومكث فيها فلم يطب له فيها العيش ، فرجع الى منزله ولم يخرج منه ، وانقطع عن الناس وعن أكل كل ذى روح وما يخرج منه . وتشبث بآراء فى الشرائع والديانات ونظام الحكم جرت عليه كثيرا من الشبه فى عقيدته . وعمر حتى مات سنة ٤٤٩ هـ . بعد أن ترك شعرا كثيرا ومؤلفات عدة ورسائل مختلفة .

(٢) العنقاء : طائر يعرف اسمه ، ولكنه لا يوجد ولا يرى ، وللأولين فيه مزاعم شتى .

(٣) نهنهت : كففت .

(٤) المعنى لا تلم الخيل والابل إن لم تدرك غرضك ، فلعلك تطلب بها غرضا آخر وهو شن الغارة .

(٥) المغار : موضع الغارة . ومعنى الشن : تفريق الخيل على الأعداء ومصادرتهم من كل جهة .

(٦) الأحجة : جمع حجاج وهو العظم الذى فوق العين وعليه الحاجب . أى تكون الرماح مقارعة لما فوق أعينها .

فلو خَبَرَتْهُمُ الجَوْزاءُ خُبْرى ... لما طلعتْ مَخافَةَ أن تُكادا

تجنّبْتُ الأنامَ ، فلا أُوانَسْ ... وزِدتُ عن العدُوِّ ، فلا أُعادَى

ولما أن تَجَهَّمَنِي مُرادى ... جَرَيْتُ مع الزمانِ كما أرادا (١)

وَهوّنتُ الخطوبَ عَلَيَّ حتى ... كأنى صرتُ أَمنحُها الوِدادا

أأُنكِرُها ومنبتُها فؤادى ... وكيف تُنَكِّرُ الأرضُ القَتَادا؟ (٢)

فأىّ الناس أَجعلُه صديقا ... وأىّ الأرض أسلكه آرتيادا ؟

ولو أنّ النجومَ لدَىَّ مالٌ ... نَفَتْ كفاىَ أكثرها آنتقادا

كأنّى فى لسان الدهر لفظٌ ... تضمّنَ منه أغراضًا بِعادا

يُكَرِّرُنى ليفهمَنى رِجالٌ ... كما كرَّرتَ معنًى مُستعادا

ولو أنى حُبِيتُ الخُلدَ فَرْدًا ... لما أحْبَبْتُ بالخلد آنفرادا

فلا هَطَلَتْ علَىَّ ولا بأَرْضِى ... سحائبُ ليس تنتظِمُ البِلادا (٣)

وكم مِن طالبٍ أمدِى سِباقى ... دُوَيْنَ مَكانَىَ السَّبْعَ الشِّدادا (٤)

يُؤَجِّجُ فى شُعاع الشمس نارا ... ويقدَحُ فى تلهُّبها زِنادا (٥)

ويطعَنُ فى عُلاى ، وإن شِسْعِى ... لَيَأْنَفُ أن يكونَ له نِجادا (٦)

---

(١) تجهمه : تنكر له وعبس . والمراد هنا أنه لما استعصى عليه مراده ، ولم يستطع بلوغ ما يريد ، استسلم لما تريده الأيام .

(٢) القتاد : نوع من الشوك . (٣) تنتظم : تعم .

(٤) دوين : تصغير دون . والسبع الشداد : السموات . أى : سيجد مسافات شاسعة قبل أن يجد منزلتى .

(٥) أى أن من يسابقنى ويبارينى فى المجد لا يدركنى ، بل يكون مثله كمثل من يؤجج نارا يكيد بها الشمس .

(٦) شسع النعل : الزمام بين الأصبع الوسطى والتى تليها . والنجاد : حمائل السيف .

ويُظهِرُ لى مودّتَه مَقالا ... ويُبغِضُنى ضميرًا واعتقادا

فلا وأبيكَ ما أخشى انتقاصًا ... ولا وأبيك ما أرجو ازديادا !

لىَ الشرفُ الذى يطأُ الثُّرَيَّا ... مع الفضل الذى بَهَر العبادا

وكم عينٍ تُؤَمِّلُ أن تَرانى ... وتَفقِدَ عند رُؤْيتِىَ السَّوادا (١)

ولو ملأَ السُّها عينيه منِّى ... أبَرَّ على مَدَى زُحَلٍ وزادا (٢)

أفُلُّ نوائبَ الأيام وَحدِى ... إذا جمَعَتْ كتائبَها احتشادا (٣)

وقد أثبتُّ رِجْلِى فى رِكاب ... جعلتُ من الزِّماع له بِدادا (٤)

اذا أوطأْتُها قَدَمَىْ سُهَيْلٍ ... فلا سُقِيتْ خُناصِرةُ العِهادا (٥)

كأنّ ظِماءَهن بَناتُ نَعْش ... يَرِدْنَ إذا وَرَدْن بنا الثِّمادا (٦)

---

(١) سواد العين : الحدقة منها ، وبها يكون الإبصار . أى أن الرائى تخفى عليه حين يراه حقيقته ، فكأنه ينظر إليه بعين غير مبصرة . وقد يكون المعنى أن الرائى حين يراه يحقد عليه لما يرى من عظمته ، فتحرك فيه نوازع البغض ، فيعرض عنه .

(٢) السها : نجوم خفية فى بنات نعش الصغرى . وليس لها أثر فى الحظ والتأثير عند المنجمين كما لزحل . وأبر : فاق وزاد .

(٣) أفل النوائب : أهزمها . والكتائب : جمع كتيبة ، وهى الطائفة من الخيل للحرب .

(٤) الزماع : الشجاعة . والبداد : ما على جانب السرج من اللبد المحشو الذى تقع عليه ساقا الراكب .

(٥) سهيل : نجم يطلع فوق سمت اليمن . وخناصرة : بلدة بالشام . والعهاد : المطر . يقول إذا توجهت تلقاء اليمن فلا أبالى ما يصيب الشام بعدى .

(٦) بنات نعش : كواكب متفرقة تشاهد جهة القطب الشمالى . والثماد : جمع ثمد ، وهى المياه القليلة تكون تحت الرمل يحفر عنها حفر صغيرة يقرب بعضها من بعض ، أى كأن ركائبى العطاش حين ترد هذه الثماد مثل الكواكب المسماة بنات نعش فى تفرقها .

ستعجَبُ مِن تَغَشْمُرِها ليالٍ تُبارينا كواكبُها سُهادا (١)

كأنَّ بِفَاجِها فَقَدَتْ حَبيبا فصيَّرتِ الظلامَ لها حِدادا

وقد كَتَبَ الضَّريبُ بها سُطورًا فخِلْتُ الأرضَ لابسةً بِجادا (٢)

كأنَّ الزِّبْرِقانَ بها أسيرٌ تُجُنِّبَ لا يُفَكُّ ولا يُفادى (٣)

وبعضُ الظاعنين كقَرْنِ شَمْس يَغيبُ فإن أضاءَ الفجرُ عادا

ولكنَّ الشَّبابَ إذا تولَّى فجهلٌ أن تروم له ارتدادا

وأحسبُ أنّ قَلْبي لو عصاني فعاوَدَ ما وجدتُ له افتقادا (٤)

وقال يصف ديكا :

أيا "ديكُ" عدَّت من أياديك (٥) صَيحة بعثت بها مَيْتَ الكَرى وهْو نائم

هَتَفْتَ فقال الناسُ "أوسُ بنِ مِعْيرٍ" (٦) أو ابنُ "رَباحٍ" (٧) بالمَحَلَّة قائمُ

---

(١) التغشمر: التعسف .

(٢) الضريب : الصقيع ، وهو الندى يسقط فيصبح أبيض على وجه الأرض ، والبجاد : الكساء المخطط .

(٣) الزبرقان : القمر ، أى كان القمر أسر فى هذه الأرض ، فليس له من فكاك ، فتطلع الشمس

(٤) افتقاد الشىء : أن تطلبه فى غيبته ، أى لم أطلبه حين غاب ، فأسر به حين عاود .

(٥) نعمك .

(٦) كان مؤذنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الفتح .

(٧) هو بلال الذى كان يؤذن للنبى عليه السلام سفرا وحضرا ، وهو أول من أذن فى الاسلام .

وفيك إذا ماضيّع النّكس (١) غَيْرَةٌ (٢) تُصانُ بها المستصحباتُ الكرائم (٣)
يُزانُ لديك الطّعنُ فى حَوْمَةِ (٤) الوَغَى (٥) إذا زينّتْ للعاجزين الهزائمُ
عليكَ ثيابٌ خاطَها اللهُ قادرٌ بها رَغْمَتْك (٦) العاطفاتُ الرّوائم
وتاجُكَ مَعْقودٌ ، كأنّك "هُرْمُزٌ" (٧) يُباهِى (٨) به أملاكه (٩) ويُوائِمُ (١٠)

وقال فى وصف ليلة :

لَيْلتى هذهِ عَرُوسٌ من الزّنْـــج (١١) عليها قلائدٌ من جُمانِ (١٢)
هَرَبَ النومُ عن جُفُونِى فيها هَرَبَ الأمْنِ عنْ فؤادِ الجبانِ
وكأنّ الهلالَ يَهْوَى الثريّا (١٣) فَهُمَا لِلوَداعِ مُعْتَنِقانِ
وسُهَيْلٌ كَوَجْنةِ الحِبِّ (١٤) فى اللّوْ نِ وقَلْبِ المُحِبِّ فِى الخفقانِ
يُسرِعُ اللّمحَ فى احمرارٍ كما تُسْـــرِعُ فى اللّمحِ مُقْلَةُ الغَضْبانِ
ضَرّجته (١٥) دما سيوف الأعادِى فبكت رحمة له الشعريانِ (١٦)
ثم شَابَ الدُّجَى وخَافَ من الهَجْـــر فَغطّى المشيبَ بالزّعْفَرانِ
ونضا (١٧) فجْره على نَسْرِهِ (١٨) الوا قِعِ سَيْفاً فهَمّ بالطّيرانِ

---

(١) الضعيف الدنىء . (٢) الغيرة : الحمية والشجاعة .
(٣) المستصحبات الكرائم ، يريد : الدجاج . والديك يدفع الأذى عما حوله من إناث الدجاج .
(٤) ميدان (٥) الحرب . (٦) عطفت عليك .
(٧) الكبير من ملوك العجم . (٨) يفاخر . (٩) ملوكه .
(١٠) يوافق . أى يماثل الملوك فى لبسهم التيجان .
(١١) جيل من السودان . (١٢) اللؤلؤ . (١٣) نجم فى السماء .
(١٤) سهيل : نجم . والحب : الحبيب . (١٥) لطخته . (١٦) نجمان .
(١٧) حرد . (١٨) أحد النجوم .

وقال من قصيدة يرثى بها فقيها حنفيا ، وهى فى ديوانه "سقط الزند" :

غَيْرُ مُجْـدٍ فى مِلَّتِي واعْتقـادِى ... نَـوْحُ باكٍ ، ولا تَرَنُّمُ شَـادِ (١)

وشبيهُ صَـوْتُ النَّعِيِّ إذا قِيـ ... ـسَ بصوْت البشـير فى كل نادِ

أَبَكَتْ تلكُمُ الحَمَامَـةُ أَم غَنَّـ ... ـتْ على فَرْعِ غُصْـنِها المَيَّادِ

صاحِ : هذى قبورُنا تَمْلأُ الرَّحْـ ... ـبَ فأَيْنَ القُبورُ من عَهْـدِ عادِ ؟

خَفِّفِ الوَطْءَ ما أَظُنُّ أديمَ الْـ ... ـأَرْض إلا مِن هـذه الأجسادِ (٢)

وقبيـحٌ بنـا وإن قَـدُمَ العهـ ... ـدُ هوانُ الآباءِ والأَجـدادِ

سِرْ إنْ اسْطَعْتَ فى الهَواءِ رُوَيْدًا ... لا اخْتيالا على رُفاتِ العِبادِ

رُبَّ لَحْـدٍ قَدْ صارَ لَحْـدًا مِراراً ... ضاحِكٍ من تزاحُمِ الأضْـدادِ

ودفينٍ على بقـايا دَفِينٍ ... فى طويل الأزمان والآباد

فاسألِ الفَرْقَدين عَمَّن أحسَّا ... من قَبيلٍ وآنسـا من بِلادِ (٣)

كم أقاما على زوالِ نهارٍ ... وأنارَا لِمُـدْلِجٍ فى سَـوادِ (٤)

---

(١) أى صائح من الطيور .

(٢) أديم الأرض : ظهرها .

(٣) الفرقدان : نجمان واضحان فى بنات نعش الصغرى (الدب الأصغر) . والقبيل : الجماعة . وآنس الشىء : أبصره .

(٤) المدلج : السارى فى الليـل . والفرقدان ليس لهما طلوع وأفول ، فهما مضيئان ثابتان ، إنما يدوران حول القطب الشمالى وحده .

تَعَبٌ كلُّها الحياةُ فما أعْـ ـجَبُ إلا مِن راغبٍ فى ازدياد

إنّ حُزْنًا فى ساعةِ الموت أضعـ ـفُ سرورٍ فى ساعة الميلاد

خُلِق الناسُ للبقاءِ فضلّتْ أمّةٌ يَحْسَبونهم للنَّفاد

إنما يُنقَلون من دارِ أعما لٍ الى دار شِقْوةٍ أو رَشاد

ضَجْعَةُ الموتِ رَقدةٌ يستريح الـ ـجِسم فيها ، والعيشُ مثلُ السُّهاد

وقال يفتخر :

أَلا فى سبيلِ المَجْدِ ما أنا فاعلُ : عَفافٌ ، وإقدامٌ ، وحَزْمٌ ، ونائلُ

أَعِنْدى ، وقد مارستُ كلَّ خَفِيّةٍ يُصدَّقُ واشٍ ، أو يُخَيَّبُ سائِل ؟

أَقَلُّ صُدُودى أننى لكَ مُبْغِضٌ وأيْسَرُ هجرى أننى عنكَ راحل (١)

إذا هبّت النَّكْباءُ بينى وبينكم فأهونُ شىء ما تقولُ العواذل (٢)

تُعَدُّ ذُنوبى عندَ قومٍ كثيرةً ولا ذنبَ لى إلّا العُلا والفَضائل

كأنّى إذا طُلتُ الزمانَ وأهلَه رجَعتُ وعندى للأنامِ طوائل (٣)

وقد سَار ذكرِى فى البلاد ، فمن لهم باخفاءِ شمس ضوؤها متكامل ؟

يُهِمُّ الليالى بَعْضُ ما أنا مُضمِرٌ ويَثقُلُ رَضوَى دونَ ما أنا حامل (٤)

وإنّى وإن كنتُ الأخيرَ زمانُه لآتٍ بما لم تستَطِعْهُ الأوائل

---

(١) يخاطب لائمه بقوله : لا أرضى فيك بالصدود دون الإبغاض لك ، ولا بالهجر دون الارتحال عنك .

(٢) النكباء : الريح تهب بين مهبى ريحين . أى اذا بعدت عنكم ، وأصبح بينى وبينكم فراغ تهب فيه الرياح فلا أبالى بقول العواذل .

(٣) طلت : فقت رسموت . والطوائل : الترات ، أى كأن لهم ثأرا عندى يطلبونه .

(٤) رضوى : جبل بين المدينة وينبع ، يضرب الشعراء بعظمه المثل .

وأغدُو ، ولو أن الصباحَ صوارمٌ ... وأَسْرِى ، ولو أنَّ الظلامَ جَحافِل (١)

وإنِّى جوادٌ لم يُحَلَّ لِحامُه ... ونِضْوٌ يَمَانٍ أغفلَتْه الصَّياقل (٢)

وإن كان فى لُبسِ الفتَى شرفٌ له ... فما السيفُ إلا غِمدُه والحمائل

ولى مَنْطِقٌ لم يرضَ لى كُنهَ منزِلى ... على أننى بين السِّماكَيْن نازِل (٣)

لَدَى مَوْطِنٍ يشتاقُه كُلُّ سَيِّدٍ ... ويَقْصُر عن إدراكِه المتناوِلُ

ولما رأيتُ الجهلَ فى الناس فاشياً ... تجاهلتُ حتى قِيلَ : إنىَ جاهل

فواعجبا ! كم يَدَّعِى الفضلَ ناقصٌ ... ووا أسفا ! كم يُظهِر النقصَ فاضلُ

وكيف تنامُ الطيرُ فى وُكُناتِها ... وقد نُصِبَتْ للفرقدَيْن الحبائل (٤)

يُنافِسُ يومى فىَّ أمسِى تشرُّفًا ... وتَحسُد أسْحارِى علىَّ الأصائل

وطال اعترافى بالزمانِ وصَرْفِه ... فلستُ أُبالى مَن تَقُولُ الغوائل

فلو بان عَضْدِى ما تأسَّفَ مَنْكِبى ... ولو مات زَنْدِى ما بكتْه الأَنامِل (٥)

إذا وَصَفَ الطائىَّ بالبخلِ مادِرٌ ... وعَيَّر قُسًّا بالفَهاهةِ باقِل (٦)

وقال السها للشمس : أنتِ خَفِيَّةٌ ... وقال الدُّجَى : يا صُبْحُ لونُك حائل (٧)

---

(١) الصوارم : السيوف ، والجحافل : جمع جحفل وهو الجيش العظيم . وغدا سار فى الصباح وسرى : سار فى الليل .

(٢) نضو يمان : يريد سيف يمنى مهمل ، أنضاه الترك وأصداء .

(٣) السماكان : الرامح والأعزل : نجمان فى السماء .

(٤) الوكنات : جمع وكنة ، وهى موضع نوم الطير . والحبائل : جمع حبالة ، وهى الشبكة تنصب لصيد الطائر ، يقول : إذا كان مثلى فى فضله وعلوه الذى يشبه بعلو النجوم فى السماء ، يكيد له الناس ولا يتورعون عن سبه وتنقصه ، فكيف يسلم من المكايد من يقل عنى ، وليس له منعتى . ومتى نال الناس النجوم بالأذى لم يأمن الطير على نفسه .

(٥) بان : انفصل . والمنكب : مجتمع رأس الكتف والعضد . والزند : موصل طرف الذراع فى الكف

(٦) يريد بالطائى حاتما . ومادر : يضرب به المثل فى البخل ، وقس بن ساعدة : أحد خطباء الجاهلية وفصحائها ، وباقل : يضرب به المثل فى العى .

(٧) السها : نجوم خفية فى بنات نعش الصغرى .

وطاوَلَتِ الأرضُ السماءَ سَفاهةً ... وفاخَرَتِ الشُّهبَ الحَصَى والجنادِلُ

فيا مَوْتُ زُرْ إنَّ الحياةَ ذَمِيمةٌ ... ويا نفسُ جِدّى إن دهرَكِ هازل

إذَا أَنْتَ أُعطِيتَ السَّعادَةَ لم تُبَلْ ... وإن نَظَرَتْ شَزْرًا إليكَ القبائلُ (١)

فإن كنتَ تبغِي العِزَّ فابْغِ توسُّطا ... فعندَ التَّناهِي يقصُر المتطاوِل

تُوَقَّى البُدورُ النقصَ وهى أَهِلةٌ ... ويُدرِكُها النُّقْصانُ وهى كَوامِل

وقال فى ديوانه "لزوم ما لا يلزم" ، وهى قصيدة تتضمن كثيرا من خاص آرائه :

غدوتَ مريضَ العَقْلِ والدِّينِ فالْقَنِي ... لِتسمَعَ أَنباءَ الأُمورِ الصحائح

فلا تأكلَنْ ما أخرجَ الماءُ ظالِمًا ... ولا تَبْغِ قُوتًا من غَريضِ الذبائح (٢)

وأَبْيَضَ أُمَّاتٍ أرادتْ صريحَهُ ... لأَطفالِها دونَ الغَوانِي الصرائح (٣)

ولا تَفْجَعَنَّ الطيرَ وهى غوافل ... بما وَضَعَت ؛ فالظلمُ شَرُّ القبائح

ودَعْ ضَرْبَ النَّحْلِ الذى بَكَرَتْ لَهُ ... كواسبَ من أَزهار نبتٍ فَوائح (٤)

فما أحرزتْه كى يكونَ لغيرها ... ولا جمَعَتْه للنَّدَى والمَنائح (٥)

مَسَحْتُ يَدِى من كل هذا فَلَيْتَنِي ... أَبِهْتُ لشأنى قبلَ شَيْبِ المسائح (٦)

---

(١) لم تبل : أى لم تبال : وهذا الفعل قد يشذ عن حكم المنقوص المجزوم فيعامل معاملة الثلاثى الأجوف فى الشعر فتحذف عينه بعد حذف لامه للجزم ويسكن ماقبل آخره . والنظر الشزر : نظر بمؤخر العين غضبا .

(٢) الغريض : الطرى من اللحم وغيره . أى لاتأكل السمك ونحوه ولا ذبائح الدواب .

(٣) الأبيض : اللبن . والأمات : لغة فى الأمهات ، أو : الأولى خاصة بالحيوان : والأخرى للناس . والغوانى الصرائح : الخالصات الحسن .

(٤) الضرب : العسل .

(٥) الندى : الجود والكرم . والمنائح : جمع منيحة ، وهى مايعطى فضلا وتكرما .

(٦) المسائح : جمع مسيحة ، وهى ذؤابة الشعر .

بَنِي زَمنى هل تعلَمون سرائرًا ... علِمت ، ولكنّى بها غيرُ بائح

سريتُمْ على غَىٍّ ؛ فهلا اهتديتمُ ... بما خبَّرتكم صافياتُ القرائح !

وصاحَ بكم داعى الضَّلال ؛ فما لكم ... أجبتم على ما خيَّلتْ كلُّ صائح ؟ (١)

* * *

فان ترشُدوا لاتخضِبُوا السيفَ من دمٍ ... ولا تُلزِموا الأَميالَ سَبْرَ الجَرائح (٢)

ويُعجِبُنى دأْبُ الذين تَرَهَّبُوا ... سِوَى أَكْلِهم كَدَّ النفوس الشحائح

وأطيبُ منهم مَطْعَمًا فى حياته ... سُعاةُ حَلالٍ بَيْن غادٍ ورائح

فما حَبَسَ النفسَ المسيحُ تعبُّدا ... ولكنْ مَشَى فى الأرض مِشيةَ سائح

يُغيِّبُنى فى التُّرب مَنْ هو كارِهٌ ... - إذا لم يُغيِّبْنى - كَرِيهُ الروائح (٣)

ومَن يتوقَّى أن يُجاوِرَ أعظُمًا ... كأَعْظُمِ تلك الهالكات الطرائح

ومِن شرِّ أخلاقِ الأنيس وفعلِهم ... خُوارُ النَّواعِى والتِدامُ النوائح (٤)

وأصفَحُ عن ذنْب الصديق وغيرِه ... لسكنَاى بَيْتَ الحق بين الصفائح (٥)

وأزهدُ فى مَدْح الفتى عند صِدْقه ... فكيف قَبولى كاذباتِ المدائح

---

(١) على ماخيلت : أى كما اتفق دون إمعان فكر وتدبر .

(٢) الأميال : جمع ميل ، وهو : المرود يقاس به عمق الجرح . وسبر الشىء : امتحانه واختباره . ينهى عن الحرب والقتل وما يتبعهما من معالجة الجراح .

(٣) أى إذا لم أصب برائحة كريهة أو غيرها تخنقنى فأموت ، فإنى لابد ميت بانقضاء أجلى المحتوم ، ويومئذ يدفننى من هو كاره ذلك على الرغم منه .

(٤) النواعى : جمع ناعية . والتدام النوائح : ضربهن صدورهن فى النياحة . والأنيس : يريد به الناس .

(٥) بيت الحق : القبر .

وما زالت النفسُ اللجوجُ مطيَّةً ... الى إن غدتْ إحدى الرذايا الطلائح (١)

وما ينفعُ الانسانَ أن غمائماً ... تسُحُّ عليه تحت إحدى الضرائح (٢)

ولو كان فى قُرْبٍ من الماء رَغْبَةٌ ... لنافَسَ ناسٌ فى قُبور البطائح (٣)

وقال فى ديوانه "لزوم مالا يلزم" يصف الحياة الدنيا :

أصاح : هى الدُّنيا تُشابه مَيْتَة ... ونحنُ حواليها الكلابُ النوابحُ

فَمَنْ ظلَّ منها آكلًا فهو خاسِرٌ ... ومن عاد عَنْها سَاغِبًا فَهْو رابح (٤)

ومَنْ لم تُبيِّتْه الخُطُوبُ فَإنَّه ... سَيَصْبَحُهُ من حَادِثِ الدهر صابح (٥)

وقال فى هذا المعنى :

دنياكَ دارٌ إنْ يكن شُهَّادُها ... عقلاءَ لم يبكُوا على غيَّابها

قد أظهرتْ نُوباً تزيدُ على الحَصَى ... عدداً وكَمْ فِى ضِبْنها وعِيَابها (٦)

تفريهمُ بسيوفها وتكبُّهم ... برماحِها وتنالُهُمْ بِصيابها (٧)

ما الظافِرون بِعِزها ويسارِها ... إلا قريبو الحال من خُيَّابها

---

(١) الرذايا : جمع رذية ، وهى الضعيفة الهزيله من الحيوان ، وكذلك معنى الطلائح .

(٢) ينكر على الناس دعاءهم للموتى بالسقيا .

(٣) البطائح جمع بطيحة ، وهى المسيل الواسع .

(٤) للساغب : الجائع .

(٥) بيته : فاجأه ليلا ، أى : إذا تركته المصائب ليلا لم تتركه نهارا ، فلا مفر منها .

(٦) الضبن : مابين الكشح والابط . والعياب : جمع عيبة ، وهى ما تجمع فيه الثياب ، يريد أن فى أحضانها وطواياها نوائب تزيد على ما أظهرت .

(٧) تفريهم : تشقهم وتقطعهم . ويريد بالصياب : السهام الصائبة .

وقال أيضا :

قد فاضتِ الدُّنيا بأدناسها ... على بَرَايَاها وأجْناسِها
وكلُّ حَيٍّ فوقَها ظالِمٌ ... وما بِها أظْلَمُ مِن ناسِها

وقال فى الحكمة :

نَهانى عَقْلِي عن أمورٍ كَثيرةٍ ... وطَبْعى إليها بالغَريزَةِ جاذِب
ومِمَّا أدامَ الرُّزءَ تكذِيبُ صادِقٍ ... على خُبرةٍ مِنَّا، وتصديقُ كاذِب!

وقال أيضا :

ضَحِكْنا وكان الضِّحْكُ مِنَّا سَفَاهَةً ... وحُقَّ لِسُكَّانِ البريَّةِ أن يَبْكوا
يحطِّمُنا رَيبُ الزَّمانِ كأنَّنا ... زُجَاجٌ، ولكنْ لا يُعاد لهُ سَبْك

وقال يصف التدين الكاذب :

سبِّح، وصلِّ، وطُفْ بمكة زائراً ... سَبْعينَ لا سَبْعًا فلَسْتَ بناسِك
جَهِلَ الدِّيانةَ منْ إذا عَرَضَتْ له ... أَطْماعُهُ لم يُلْفَ بالمُتماسِك (١)

وقال فى انطباع الناس على الشر :

لو يفهمُ الناسُ، لو أبْناؤهُم جُلِبوا ... وبيعَ بالْفَلْسِ أَلْفٌ مِنهُمُ كَسَدوا (٢)
فَوَيْحُهُمْ بِئْسَ ماربَّوا وَمَا حَضَنُوا ... فهْى الخديعَةُ والأضغَانُ والْحَسَدُ
وهَكذا كَان أهلُ الأَرضِ مُذْ فُطِروا ... فَلَا يُظَنَّ جَهُولٌ أنَّهم فَسَدُوا

وقال فى مرأى الناس ومخبرهم :

يَحْسُنُ مَرْأَى لِبَنى آدَمٍ ... وكُلُّهُمْ فِي الذَّوقِ لا يَعْذُبُ

---

(١) أى : ليس كل العبادة أن تصلى وأن تحج ، فهذا جزء منها لا بد أن يتم بإمساك النفس عن أن تطمح فيما هو غير حقها .

(٢) يتمنى لو علم الناس أن أبناءهم لوكانوا عبيدا يجلبون وعرض للبيع ألف منهم بفلس ما اشتراهم أحد .

مافيهمُ بَرٌّ ولا ناسِكٌ ... إلَّا إلى نَفْع له يُجْذَبُ
أَفضلُ مِنْ أَفْضَلِهم صَخْرَةٌ ... لا تَظْلِمِ الناسَ وَلَا تَكْذِبُ

(٤) كشاجم (١)

قال يشكو الحظ والزمن :

الحمدُ لله نالَ الناسُ حظَّهمُ ... وأخطأَتْنِي مع اسْتحقاقها الرُّتَبُ
وعاقَنِي عن طِلَابِها أُصَيْبِيَةٌ ... يأْبَى فِرَاقَهُمُ الإشفاقُ والحَدَبُ (٢)
ولِي قَوادِمُ لو أنّى حَذَفْتُ بها ... لأَنهضتْنِي، ولكنْ أُفْرُخى زُغُبُ (٣)
وما التعجُّبُ لو أنّى ظَفِرتُ بها ... بل فى تنكُّبها اللأواءُ، يا عَجَبُ! (٤)
فإن يكن أدبٌ من رُتبةٍ عِوَضًا ... فقد قَضَى ما عَليه العلمُ والأَدب

وقال يهجو عَوّادة :

جاءَت بعُودٍ مثلِها ناقِرٍ ... كأَنَّه نَقْنَقَةُ الضِّفْدعِ
مُضطرِبُ الأوتارِ منقوضُها ... مستقبَحُ المَدْفعِ والمَقْطَعِ (٥)
يودُّ مَن يسمعُ أَصواتَه ... لو فَقَدَ السَّمْعَ ؛ فلَمْ يَسْمَعِ
وأَقبلتْ تَضرِبُ غَيْرَ الذى ... نَسْمَعُ ، والنَّغْمَةَ لم تُتْبِعِ (٦)
كأَنَّما قِسمةُ تأليفِها ... مُثَلَّثٌ مختلِفُ الأَضلُعِ (٧)

---

(١) هو محمود بن الحسين الكاتب الشاعر أحد وصافى الطبيعة والمتوفى سنة ٣٢٠ هـ . وكان من خدام سيف الدولة .
(٢) أصيبية : تصغير صبية ، جمع صبى .
(٣) الأفرخ : جمع فرخ ، وهو ولد الطائر . والزغب بسكون الغين : جمع أزغب ، وحركها الشاعر لضرورة الوزن . والأزغب : الذى ظهر أول شعره أو ريشه ، يريد أبناءها الصغار .
(٤) اللأواء : الشدة .
(٥) أى الضرب فى ابتدائه وفى انتهائه .
(٦) أى تخلط نغمة بأخرى .
(٧) أى أن حركة يدها بنقل الأوتار لا تنتج ما تسمعه . وما تسمعه ليس من نغمة واحدة ، والأمور الثلاثة مختلفة كأنها مثلث مختلف الأضلاع .

قال يتغزل :

جَعَلْتُ إليكِ الهوَى شفيعًا ، فلم تَشفَعى
ونا ديتُ مستعطِفا رضاكِ ، فلم تَسمعى
أتارِكَتى مُدْنَفا أخا جَسَدٍ مُوجع
ومُغْرِيَتِى والدُّمو عُ فد أحرقَتْ مَدْمَعِى (١)
أحِينَ سلَبْتِ ٱلفُؤا دَ بالنَّظَر المُطمِع
جَفَوْتِ وأقصيْتِنِى فهلَّا وَقلْبِى مَعى !

(٥) أبو الفرج الببغاء (٢)

قال يصف كَتِيبةً وقائدها :

ومَوْشِيَّةٍ بالبِيض والزَّغْف والقَنا مُحَبَّرَةِ الأعطافِ بالصُّمَّر القُبِّ (٣)
بعيدةِ ما بَيْنَ الجَناحَيْن فى السُّرى قريبةِ مَا بَيْن الكَمِيَّيْن فى الضَّرب
من السالباتِ الشمسَ ثوبَ ضِيائها بثَوْبٍ تَولَّى نَسجَه عِثْيَرُ التُّرب (٤)
يُعاتِب نشوانُ القنا صابى الظبا إذا ٱلتَقيا فيها ، على قِلّة الشُّرب (٥)

---

(١) المدمع : مجرى الدمع من العين .

(٢) هو عبد الواحد بن نصر المخزومى المعروف بالببغاء الشاعر المشهور والكاتب المجيد . كان من كتاب سيف الدولة وشعرائه . وهو ممن يجيد وصف المعارك الحربية . وعمر بعد سيف الدولة فساح فى أكثر بلاد الشرق ومات سنة ٣٩٨ هـ . وله ديوان شعر .

(٣) الزغف : جمع زغفة ، وهى الدرع اللينة الواسعة أو الرقيقة الحسنة السلاسل ، ويقال درع زغف ودروع زغف أيضا . شبه الكتيبة وما فى وسطها من الأسلحة المختلفة البراقة وما يحيط بها من الخيل بثوب موشى محبر الحواشى . ٤ العثير : الغبار .

أى تعاتب فيها الرماح السيوف على قلة شربها من دم الأعداء لاستعمال السيوف دونها بتقارب المتقاتلين لشجاعتهما .

أعادتْ عَلَيْنا الليلَ بالنَّقْعِ فى الضُّحَى ... ورَدَّتْ علينا الصُّبْحَ فى الليل بالشُّهْب

تَبَلَّجُ عَنْ شَمْسَىْ نِزارٍ ويَعْرُب ... وتَفْتَرُّ عَن طَوْدَىْ عُلاً تَغْلِبَ الغُلْب (١)

مُوَقَّرَةً يَقْتادُ ثِنْىَ زِمامِها ... بَصِيرٌ بأَدواءِ الكَرِيهةِ فى الحَرْب

أصِحّ اعتزاما من خَؤونٍ على قِلًى ... وأَنْفَذُ حُكْماً من غَرامٍ على صَبّ

(٦) عبد المحسن الصُّورى (٢)

قال يهجو بعض من ضافه (٣) :

وأخٍ مَسَّهُ نُزُولى بقَرْحٍ ... مثلما مَسَّنِي من الجُوع قَرْحُ

قيلَ لى : إنّه جَوادٌ كريمٌ ... والفَتَى يَعْتَريه بُخْلٌ وشُحُّ

بِتُّ ضَيْفًا له كما حَكَمَ الدّهْـ ... ـر، وفى حُكْمِه على الحُرِّ قُبْحُ

قالَ لِي إذ نَزَلْتُ، وهو مِنَ السكـ ... ـرَةِ والهَمِّ طافحٌ ليس يصحو :

لِمْ تَغَرَّبْتَ؟ قُلْتُ : قال رسول اللـ ... ـه، والقولُ منه نُصْحٌ ونُجْحُ :

سافِرُوا تَغْنَمُوا . فقال : وقد قا ... ل تمامَ الحديث: صُوموا تَصِحُّوا !

وقال فى وصف جميل يسبح فى ماء :

رأيتُ ما لم يَرَه راءِ ... ماءً غَدَا يَسْبَحُ فى ماءِ

أومأْتُ باللحظ إلى جِسْمه ... فكاد أَن يُدْمِيَه إيمائى

---

(١) أى اجتمع فيها النزاريون والقحطانيون من العرب ؛ وتغلب وهى قبيلة سيف الدولة تسمى تغلب الغلباء لشجاعتها ؛ وتجمع الغلباء على الغلب .

(٢) هو عبد المحسن بن محمد من أهل صور من ساحل الشام ، شاعر مجيد وصاف متغزل . مات سنة ٤١٩ هـ .

(٣) ضافه : نزل عليه .

(٧) تميم بن المعز الفاطمى العُبَيْدِى (١)

قال يصف فوّارة فى بستان :

وقاذِفَةٍ بالمَاءِ فى وَسْطِ بِرْكَةٍ ... قد ٱلتحفَتْ ظِلّا من الأَيْكِ سَجْسَجا (٢)

اذا ٱنبثقَتْ بالماءِ سَلَّتْهُ مُنْصُلا ... وعَادَ عَلَيْهَا ذلك النَّصْلُ هَوْدَجا (٣)

تُحاوِلُ إدراكَ النُّجوم بِقَذْفِها ... كأن لها قَلْبًا على الجو مُحْرَجا

وقال أيضا فى الفخر :

ألَقى الكَمِيَّ فلا أخافُ لِقاءَه ... ويَفُلُّ إقدامِى شَبَا الحَدَثانِ (٤)

وأكُرُّ فى صَدْرِ الخَمِيس مُعانِقًا ... للموتِ حينَ يفِرُّ كلُّ جَبان (٥)

ويَزيدنى كَلُّ الخُطوب تَعَظُّمًا ... وتسلُّطُ الأيامِ عزَّ مكان

وعلمتُ أخلاقَ الزمان فلم أَضِق ... ذَرْعا بأَيامى وغَدْرِ زمانى

وكما يَمَلُّ الدَّهْرُ من إعطائه ... فكذا مَلالتُه مِنَ الحِرمان

وكما يَمُرُّ لمَعْشَرٍ بِسعادَةٍ ... فكذا يكُرّ لمعْشَرٍ بهَوان

فاذا رماك بِشِدَّةٍ فٱصبِرْ لها ... فلسوف يأتى بعدها بِلَيان (٦)

وسَلِ ٱلليالى عَنْ نفاذِ عزيمتى ... وسلِ ٱلحوادثَ عن ثَباتِ جَنانى

تخبِرْكَ عنى أنّنى لم ألْقَها ... بين العَزائم وَاهِنَ الأركان

أصبحتُ لا أشتاق إلا للنَّدى ... أيضا ولا أهوى سِوَى الإحسان

واذا السيوفُ قَطَعْنَ كُلَّ ضَريبةٍ ... قَطَعَ السيوفَ القاطعاتِ لسانى (٧)

---

(١) هو أبو على الأمير تميم بن معد المعز لِدين الله الفاطمى بَانِى القَاهِرَة لم يكن ولى عهد أبيه لأن العهد كان لأخيه نزار وله شعر رقيق وكان فى الفاطميين كابن المعتز فى بنى العباس توفى سنة ٣٧٤ هـ .

(٢) السجسج : الذى لا حر فيه ولا برد .

(٣) المنصل : السيف كالنصل . الهودج : محل له قبة كانت النساء تركب فيه .

(٤) الكمى : الشجاع المقاتل . والشبا : جمع شباة : وهى : الحد .

(٥) الخميس : الجيش . (٦) الليان : اللين والرخاء . (٧) الضريبة : المضروب .

وقال فى الغزل :

شبَّهتها بالبدر فاستضحكتْ ... وقابلتْ قولِى بالنُّكر
وسَفَّهتْ قولى، وقالت : متى ... سَمُجْتُ ؟ حتى صِرتُ كالبدر!
والبدرُ لا يَرْنو بعين كما ... أرنو، ولا يَبْسِمُ عن ثَغْر
ولا يُميطُ المِرْط عن ناهِد ... ولا يَشُدُّ العِقْدَ فى نَحْر [1]
من قاسَ بالبدر صِفَاتى فلا ... زال أسيراً فى يَدَىْ هَجْرى!

(٨) أبو الحسن التهامى [2]

قال يرثى ابنا له مات صغيرا :

حُكْمُ المنيّةِ فى البَرِيّة جارِ ... ما هذه الدنيا بدار قَرار
بينا يُرَى الإنسانُ فيها مُخْبراً ... حتى يُرَى خَبَراً من الأخبار
طُبعتْ على كَدَرٍ، وأنتَ تُريدُها ... صَفْواً من الأقذار والأكدار
ومكلِّفُ الأيَّام ضِدَّ طِباعها ... مُتَطَلِّبٌ فى الماءِ جَذْوةَ نار
فإذا رجوْتَ المستحيلَ فإنما ... تَبْنِي الرَّجاءَ على شفيرِ هار [3]

---

(١) المرط : كساء من صوف ونحوه يتخذ إزارا .

(٢) هو أبو الحسن على بن محمد التهامى . أصله من بلاد العرب من تهامة . جاب الأقطار وطوّف البلاد ومدح الرؤساء فى الشام وباديتها ، وأقام بينهم ، وبعثوه جاسوسا إلى القاهرة على الفاطميين ، فقبضوا عليه وسجنوه ثم قتلوه سنة ٤١٦ هـ . وكان مليح الشعر بدويه ، وذاعت مرثيته هذه وكانت سبب اشتهاره .

(٣) الشفير : حافة الشىء وطرفه . وهار : منهار ، أى فإنما تبنى الرجاء على حافة شئ منهار ، فلا يستقر بناء ، أى لا يتحقق رجاء .

فالعيشُ نـــوْمٌ والمَنِيَّـــةُ يَقظَـــةٌ والمـــرء بينهـــما خَيـالٌ سار
والنفسُ إن رضِيَتْ بذلك أو أَبَتْ مُنـــقادةٌ بأَزمَّـــةِ ٱلمِقْـــدار (١)
فٱقضُـــوا مآربكم عِجالًا إنما أعمارُكم سَـــفَرٌ من الأسفار
وتراكضُوا خَيلَ الشَّباب، وحاذِروا أن تُسْـــتَرَدَّ فإنَّهُن عَـــوَارِ (٢)
فالدهرُ يَخدَع بالمُنَى، ويُغِصُّ إن هَـــنّى، ويهـــدِم ما بَنَى ببـــوار (٣)
ليس الزمانُ وان حَرَصْتَ مُسالِما خُلُقُ الزمان عـــداوةُ الأَحْرار

* * *

يا كوكبًا ما كان أقصَرَ عمـــرَه وكذاك عمـــرُ كواكب الأَسحار (٤)
وهـــلالَ أيام مضى لم يستدِرْ بدراً، ولم يُمْهَـــلْ لوقت سِرَار (٥)
عجِلَ الخسوفُ عليه قبـــلَ أَوانِه فمحاه قبـــلَ مِئنَّـــةِ الإبدار
وٱســـتُلَّ من أترابه ولِداته كالمقلة ٱستُلَّتْ مِن الأشـــفار (٦)
فكأن قلـــبي قـــبرُه، وكأنه فى طَيِّـــهِ سِـــرٌّ من الأسرار
إن يُحْتَقَرْ صِـــغَرًا فَرُبَّ مُفَخَّم يبـــدُو ضئيلَ الشخصِ للنُّظار
إنّ الكواكبَ فى عُلُوِّ محلِّها لتُرى صِغارًا وهى غيرُ صِـــغار

---

(١) المقدار : ما يقدره الله من شأن .
(٢) وتراكضوا خيل الشباب : أى اعملوا فيه وانعموا قبل أن يسترد فإنه عارية .
(٣) أغصه : أذاقه الغصة ؛ وهى الهم والحزن .
(٤) الكواكب التى تظهر على الشرق فى السحر كالزهرة فى قسم من فصول السنة وكعطارد كذلك ، قصيرة مدّة الظهور ، لأن الشمس تطلع عقب طلوعها فينسخها ضوؤها .
(٥) استدارة البدر : فى وسط الشهر ، وسراره : أى خفاؤه جملة يكون فى آخر ليلة من الشهر ، وهى التى يظهر بعدها الهلال الجديد .
(٦) الأتراب واللدات : من يولدون فى زمن واحد .

وَلَدُ المُعَزَّى بَعْضُه ، فاذا انقضَى ... بعضُ الفَتَى فالكلّ فى الآثار

أبكيه ، ثم أقولُ معتذِرًا له : ... وُفِّقْتَ حين تركتَ ألأمَ دار

جاورتُ أعدائى ، وجاوَرَ ربَّهُ ... شَتَّانَ بَيْنَ جِواره وجِوارى

أشكو بعادَك لى ، وأنتَ بموْضع ... لولا الرّدَى لسَمِعْتَ فيه سِرارى (١)

والشرقُ نحو الغرب أقربُ شُقَّةً ... من بُعدِ تلك الخَمْسَةِ الأشبار (٢)

هيهاتَ قد علِقَتْك أشراكُ الردى ... واعتاقَ عمرَك عائقُ الأعمار

ولقد جريْتَ كما جَرَيتُ لغاية ... فبلَغْتَها وأبُوك فى المِضمار

فاذا نطقتُ فأنت أوّل منطِقٍ ... واذا سكتُّ فأنتَ فى إضمارى

أُخفِى من البُرَحاء نارًا مثلَما ... يُخْفِى من النار الزِّنادُ الوارى (٣)

وأُخفّضُ الزّفراتِ ، وهى صواعِدٌ ... وأُكَفكِفُ العبَراتِ ، وهى جَوار

وشِهابُ زَنْد الحُزْنِ إن طاوعتَه ... وارٍ ، وإن عاصيْتَه مُتوارِ (٤)

وأكُفُّ نيرانَ الأسى ، ولربما ... غَلَبَ التصبُّرَ ، فارتمتْ بشَرار

ثوبُ الرياءِ يشِفُّ عمّا تحته ... فاذا التحفتَ به فإنك عار

---

(١) السرار : المسارة ؛ أى الكلام بهمس . والمعنى أنه لولا الموت لسمع ولده صوته وهو يتكلم خافتا ، فهو فى قبره قريب منه ، ولكن الموت يجعل هذه المسافة القريبة شقة شاسعة ومكانا نائيا .

(٢) الخمسة الأشبار : مسافة بعد اللحد عن ظاهر الأرض .

(٣) البرحاء : الحزن المبرح . والوارى : المتقد بالنار .

(٤) الزند : العود الأعلى الذى يقتدح به النار ووَرى الزند : خرجت ناره ، فهو وار .

(٩) على بن النعمان [١]

قال فى وصف صديق :

صديقٌ لِى لَهُ أَدَبٌ صداقةُ مِثْله نَسَبُ
رعىٰ لى فوقَ ما يُرعَى وأوجبَ فوقَ ما يَجِبُ
فَلَوْ نُقِدتْ خلائقُه لَبُهْرِجَ عِندَها الذَّهبُ

(١٠) أبو الحسن على بن عبد الرحمن [٢]

قال فى الهجاء :

وذى حِرْصٍ تَراهُ يَلُمُّ وَفْرًا لِوَارثه، ويَدْفَعُ عَن حِمَاهُ [٣]
ككلْبِ الصيد : يُمسِكُ وهْوَ طاوٍ فريستَه ليأْكلَها سِواهُ [٤]

(١١) الحسنُ بنُ الزُّبَيْر الأسوانى [٥]

قال يشتاق الى نهر بردى بالشام :

بِاللهِ يا رِيحَ الشَّما لِ إذا تَشَمَّلتِ الرَّوْحَ بُرْدَا [٦]
وحَملتِ من نَشْرِ الخُزَا مَىٰ فاغتدى للنَّدِّ نِدّا [٧]
ونَسَجتِ ما بَيْنَ الغُصُو نِ، اذا اعتنقْنَ، هوًى ووُدّا

---

(١) هو القاضى أبو الحسن على بن النعمان ، قاضى العزيز الفاطمى ، توفى سنة ٣٧٤ هـ .
(٢) هو الشهير بابن يونس المنجم المصرى من فلكيي المصريين زمن الفاطميين، توفى سنة ٣٩٩ هـ
(٣) الوفر : المال الكثير .
(٤) طاو : جوعان .
(٥) هو القاضى المهذب الحسن بن الزبير من كبار الأدباء والشعراء فى دولة الفواطم المصريين ، توفى سنة ٥٦١ هـ .
(٦) الروح : النسيم .
(٧) الخزامى : نبت عبق الزهر . والنشر : الشذا . والند : نبت طيب الرائحة .

وهززتِ عِنْدَ الصُّبحِ مِن أجيادِها لِلزَّهرِ عِقْدا
فملأتِ صَفْحةَ وجْهِه حتى اكتسى آسًا ووَرْدا
فكأنما ألَّفْتِ فيـ ـهِ منهما صُدْغًا وخَدّا:
مُرِّى على بَرَدَى، عَسا ـهُ يُزيد فى مَسراكِ بُرْدَا (١)
نهرٌ كنَصْل السيْف تكْـ ـسو متْنَهُ الأزهارُ غِمْدا
صُقِلَتْهُ أنفاسُ النَّسـ ـيم بمَرِّهِنَّ، فليس يَصْدَا (٢)
أحبابَنا ما بالُكم فينا مِن الأعداءِ أعْدَى!
وحياةِ حُبِّكُم، بِتُرْ بَةِ وَصْلِكم ما خُنتُ عَهْدا (٣)

(١٢) ابن الفارض (٤)

قال من قصيدة:

أَبْقِ لى مُقْلَةً لَعَلِّى يَوْمًا قبلَ مَوْتى أَرَى بها مَن رآكا
أَيْنَ منّى ما رُمتُ؟ هيهاتَ! بل أيـ ـنَ لِعَيْنِي باللحظ لَثْم ثَراكا
وبَشِيرِى لو جاءَ منك بعَطْفٍ ووُجُودى فى قَبْضَتى قُلتُ: هاكا!

---

(١) البرد بضم الراء: جمع بريد؛ وهى مسافة كل منزلة لخيل البريد، وسكن الراء للشعر.

(٢) يصدا: يصدأ. وخفف الهمز لضرورة القافية.

(٣) أقسم أولا بحياة حبه لمعشوقه، ثم أقسم بتربة مواصلة المعشوق له، أى أنه لما لم يواصله، صار حكم الوصل كالميت المدفون فى قبر، فهو يحلف به إجلالا.

(٤) هو أبو حفص عمر بن على بن مرشد أحد كبار الصوفية وأبلغ شعرائها وأولعهم بالجناس وأنواع البديع. ولد ومات بالقاهرة، وله ديوان شعر مشروح. وأصل آبائه من حماه. توفى سنة ٦٣٢ هـ.

قد كَفَى ما جرى دمًا مِن جُفونٍ ... لِيَ قَرْحَى! فهل جَرَى ما كفاكا ؟

فَأَجِرْ مِن قِلاكَ فِيكَ مُعَنًّى ... قَبْلَ أن يُعرَفَ الهوىٰ يَهواكا

بِٱنْكساري بِذِلَّتِي بِخُضوعي ... بِٱفتقاري بِفاقَتِي لِغِناكا

لا تَكِلْنِي الى قُوَىٰ جَلَدٍ خا ... نَ، فإني أَصبحْتُ من ضُعفاكا

كنتَ تجفُو، وكانَ لِي بعضُ صَبْرٍ ... أحسنَ اللهُ فى ٱصطبارِي عَزَاكا !

كم صُدودٍ عَساكَ ترحَمُ شَكْوَا ... ىَ، ولو باستماع قولِي : عَساكا!

شَنَّعَ المُرْجِفُون عنك بِهَجْرِي ... وأَشاعوا أَنى سَلَوْتُ هَواكا

ما بِأَحْشائهم عِشقْتُ ؛ فأَسْلُو ... عنك يوما. دَعْ يَهجرُوا! حاشاكا![1]

كيف أَسْلو؟ ومُقْلَتِي كلَّما لَا ... حَ بَرِيقٌ تَلفَّتَتْ لِلِقاكا

كلُّ مَن فى حِماكَ يهواكَ لكن ... أنا وَحْدِي بكلِّ مَن فى حماكا

(١٣) عمارة اليمنى[2]

قال من قصيدة يصف فيها دارا :

أَنشأتَ فيها للعُيون بدائعًا ... دَقَّتْ فأذهل حسنُها مَن أبصرا

فمن ٱلرخام : مُسَيَّرًا ومُسَهَّمًا ... ومُنَمْنَمًا ومُدَرْهَمًا ومُدَنَّرَا

---

(١) يهجروا : يقولوا باطلا وقبيحا من الكلام .

(٢) هو نجم الدين أبو محمد عمارة الحكمى ، من أهل اليمن ، دخل مصر مؤديا رسالة من أمير مكة إلى الخليفة الفائز الفاطمى ، فأعجبته مصر فأقام بها ، وأكرمه ملوكها ، فلما أباد صلاح الدين الأيوبى ملك الفاطميين فى مصر دبر عمارة مع شيعة الفاطميين المكايد لإعادة دولتهم ، وعلم بهم صلاح الدين فصلبهم وفيهم عمارة سنة ٥٦٩ هـ .

(٣) المسير : المخطط . والمنمم : المزخرف . والمسهم والمدرهم والمدنر : مافيه صور السهام والدراهم والدنانير .

وسقيْتَ من ذَوْبِ النُّضار سُقُوفَها ... حتى يَكادَ نُضارُها أن يَقْطُرا (١)

لم يَبْقَ نَوْعٌ صامتٌ أو ناطِقٌ ... إلا غدَا فيها الجميعُ مُصَوَّرا

فيها حدائقُ لم تَجُدْها دِيمةٌ: ... كلا ولا نَبَتَتْ على وَجْهِ الثَّرَى (٢)

لم يبدُ فيها الرَّوْضُ إلا مُزْهِرًا ... والنخلُ والرُّمَّانُ إلا مُثْمِرا

والطيرُ مذ وقعَتْ على أغصانها ... وثِمارِها لم تستطع أن تَنْقُرا

وبها من الحيوان كُلُّ مُشَبَّهٍ ... لِبَسَ الحريرَ العَبْقَرِيَّ مُصَوَّرا

لا تَعْدَمُ الأبصارُ بَيْنَ مُرُوجِها ... لِبْدًا ولا ظَبْيًا بوَجْرةَ أعفرا (٣)

أَنِسَتْ نوافرُ وَحْشِها لسباعها ... فَظِباؤها لا تَتَّقِي أُسْدَ الشَّرى (٤)

وكأن صَوْلَتَك المخيفةَ أَمَّنَتْ ... أسرابَها ألّا تخافَ فتُذْعَرا

وبها زَرافاتٌ كأن رقابَها ... فى الطُّول أَلْوِيةٌ تَؤُم العَسكرا

نوبيةُ المنشا تُريك منَ المَها ... رَوْقًا، ومِن بُزْلِ المَهارِى مِشفرا (٥)

جُبِلَتْ على الإقعاءِ من أعجازها ... فتخالُها فى التِّيهِ تَمْشِى القهقرَى

---

(١) النضار : خالص الذهب .

(٢) الديمة : المطر يدوم .

(٣) وجرة : اسم مكان ببلاد العرب كبير بين البصرة ومكة تسكنه الوحش من الظباء وغيرها .

(٤) الشرى : مأسدة بقرب الكوفة .

(٥) الروق : القرن . والمهارى : جمع مهرية وهى الناقة المنسوبة الى بلاد مهرة شرقى حضرموت . أى أنها أشبهت بقر الوحش فى القرون ، وأشبهت الإبل فى المشافر .

(١٤) القاضى الفاضل (١)

قال من قصيدة خمرية وصف فيها بلاغته وتلاعب فيها بالمعانى مفتخراً :

قَضَى نَحْبَه الصوْمُ بعدَ المطالِ ... وأُطلِقَ مِن قَيْدِ فِتْرِ الهِلالِ (٢)

ورَوَّضَ كاتبَ جَنْبِي اليمينِ ... وأتعَبَ كاتبَ جَنْبِي الشِّمال (٣)

فَدَعْ ضِيقةً مثلَ شدِّ الإسارِ ... الى فُرْجةٍ مثلِ حَلِّ العِقال

وقُمْ هاتِها مثلَ ذَوْبِ ٱلنُّضارِ ... ومَوْجِ البحارِ وطَعْمِ الزُّلال (٤)

جَزَى اللهُ عنِّى عَروسَ الدَّوالِي ... ولا أَخْطأَتْها كُئُوسُ العَزالِي (٥)

بما أَطعمتْ من لَذيذِ الثِّمارِ ... وما أَلْبَسَتْ من نَسيجِ الظلال

وماسَلْسَلَتْ من مُذَابِ السُّرورِ ... وما خَفَضَتْ من جِماحِ التغالى (٦)

فكم زَخْرَفَت جَنَّةً لِلعَذَاب ... وكم رَفعتْ قَبَسًا للضلال (٧)

---

(١) هو عبد الرحيم بن على البيسانى اللخمى . ولد بعسقلان ونشأ ببلاد فلسطين حيث ألم بالعربية والأدب . ثم كتب فى الاسكندرية فى دواوينها ثم ظهر فضله فنقل الى القاهرة زمن العاضد ولما استولى صلاح الدين على مصر كان بمنزلة وزير له و وزر بعده لابنه العزيز وتوفى سنة ٥٩٦ هـ

(٢) قضى نحبه : يريد انقضى شهر الصيام وكان بقاؤه مقيدا باهلال هلال شوّال فلما أهل انطلق من قيده وذهب .

(٣) ولما ذهب روح بذهابه عن الملك الموكل بكتابة حسناتى عن يمينى ، وأتعب الملك الموكل بكتابة سيئاتى عن يسارى لأن حسنات رمضان كانت كثيرة وسيئات شوّال وما يليه ستكون فى العدد أكثر من حسنات رمضان .

(٤) أى هات الخمرة فى لون الذهب مزبدة كموج البحر باردة كالماء الزلال .

(٥) الدوالى : عنب أسود غير حالك ؛ يدعو لكرمة هذا العنب . والعزالى : جمع عزلاء وهى مصب الماء من الراوية والقربة ونحوهما . يريد بها عزالى السحاب . دعا لها بالسقيا بسبب أنها تطعم الناس من ثمرها وتظلهم بعرائشها الخ .

(٦) التغالى : المغالاة .

(٧) يشير إلى آثار الخمر فى عقل شاربها وما يصوره له من أفانين التخيلات .

أغالِطُ بالكأْس حُكْمَ الزمانِ فيسومُ علىَّ ويَوْم بِمَا لى (١)

فجاءتْ بِمَا فى عُيون النساءِ ومَرَّتْ بما فى رُءُوس الرجال (٢)

وأسْلُو الغَزَال بها إذ أرى بكاساتِها دَمَ ذاك الغزال

* * *

وسكرانَ كرَّرَ من سُكره زمانٌ على كل عقل مُمَال

فسُكْرُ الشبابِ وسكرُ الشَّراب وسكرُ الصُّدود وسُكرُ الوِصال

فلا تذكرنَّ عُهودَ الوِصال فعهدى بها والليالى ليالى

ولم أبكِ عهدًا رجاءَ الرُّجوع ولكن أُجددهُ بالصِّقال (٣)

بعثْنَ الليالى بيأْس جديد علىَّ قديما فجاستْ خِلالى (٤)

فما جاء عَن مَنطِق ذمُّ جان ولا جاء عن جوْهرى ذم حالى (٥)

ولم أستغِثْ تحتَ ظلّ الخُطُو ب جَرْجرةَ البُزْلِ تحتَ الرحال (٦)

خَشُنتُ لحالٍ كشوْك القتاد ولِنْتُ لأُخرى كشوك السّيال (٧)

---

(١) أى ويوم يأتى بما هو لى أى بفائدة لى .

(٢) فجاءت الكأس بما فى عيون النساء من التكسر والفتور . ومرت الخ . أى وذهبت بما فى رءوس الرجال من العقل .

(٣) أى ولم أبك عهدا من هذه العهود رجاء أن يعود كما كان ولكنى أصقله بعد ما قدم بوصفى له وبكائى عليه .

(٤) إما أن يعود ضمير بعثن على العهود المتقدمة وإما على رأى من يلحق علامة الجمع بالفعل عند سناد للجمع الظاهر .

(٥) أى أنى لا أذم أحدا جانيا كان أو حاليا بالفضيلة .

(٦) البزل : الجمال المسنة . أى لا أصيح كجرجرة البزل .

(٧) السيال : جمع سيالة ، وهو نبات له شوك أبيض طويل ، إذا نزع خرج منه سائل مثل اللبن . وهو يلين لنا زعه على العكس من القتاد ، وهو شجر صلب له شوك كالإبر ولا يستطاع نزع شوكه إلا بمشقة واحتمال أذى

ولَستُ لِسانا لِذُل السؤال وما زِلْتُ صدرًا لِعِزّ السؤال (١)
حديثٌ يُناجِى فروعَ السحاب وأصل يُناجى أصولَ الجبال

(١٥) ابن قلاقس (٢)

قال من قصيدة يمدح بها ياسر بن بلال :

سافِر إذا ما شِئْتَ قدْرا سارَ الهِلالُ فصار بدْرا
والماء يكسِبُ ما جرَى طِيبًا، ويخبُثُ ما آستقرا
وبنُقْلةِ الدُّرَر النقـ ـيّة بُدِّلت بالبَحْر نَحْرا
وَصْلًا اذا امتلأتْ يَدا ك فإن هُما خلتا فهجْرا (٣)
فالبدرُ أنفَقَ نورَه لما بَدا ثمّ آسْتَسَرّا (٤)
حَركاتِ عيسكَ ما أَرَدْ تَ مِهادَ عَيْشك أن تَقِرا (٥)
فالمهدُ أَسكَنُ للصبـ ـيّ بحيث جاء به ومَرّا
إما تَرَيْنِي شاحبَ الـ وجناتِ قد أُلبستُ طِمْرا (٦)

---

(١) أى أنى لا أسأل الناس ولكنهم يسألوننى .

(٢) هو أبو الفتح نصر الله بن عبد الله الشهير بابن قلاقس اللخمى الاسكندرى الملقب بالقاضى الأعز . كان شاعرا مجيدا رحالا مداحا دخل المغرب وصقلية : ومدح أمراءهما كما مدح أعيان دولة الفاطميين . ثم ذهب الى اليمن ومدح ملوكه . ومات بعيذاب ، وكان مرسى السفن المقلعة من مصر على بحر القلزم (الأحمر) الى الحجاز ، سنة ٤٨٦ هـ .

(٣) وصلا : أى صل وصلا . والمعنى : ابق فى بلدك .

(٤) أنفق نوره : أى لقى محبة وإعجابا ، وهو من أنفق القوم : اذا راجت تجارتهم .

(٥) حركات عيسك : أى اعمل حركة لعيسك إذا أردت قرارا لعيشك ، أى إن الغنى بالسعى وانما يسكن الصبى فى مهده اذا اهتز وجاء به الى ناحية ومر الى أخرى .

(٦) الطمر : الثوب البالى .

فوقائعُ الأيام تُخْـ ـرِجُ أهلَها شُعْثًا وغُبرا
مدّتْ الى الأربعو ن يدًا، وقد قهقرتُ عشرا
واستحدثتْ فى لِمّتى نُقَطًا . فهلّا كُنّ حِبْرا ! (١)
ما قلتُ : أُفٍّ ! فإنها شَرَرٌ بأُفٍّ يعود جَمْرا
وكفاكَ أنى إن نظر تُ لها نظرتُ النجمَ ظُهْرا (٢)
كان الشبابُ الغضُّ ليـ ـلًا فاستنار الشيبُ فجرا
ولئن تقلب بى الزما نُ كما اشتهى بَطْنا وظَهْرا
فبما قتلتُ صروفَه وقتلتُه جَلَدًا وخُبْرا
غاضَ الوفاءُ، وفاضَ ما ءُ الغَدْرِ أنهارًا وغُدْرا
فانظر بعينك هل ترى عُرفا وليس تراه نُكْرا؟
خُلُقٌ جَرَى مِن آدمٍ فى نَسْلِهِ، وهَلُمَّ جَرّا
ومُروِّعِى بالبحر يَحْـ ـسَبُ أنّنِى أرتاعُ بحرا
أو ما دَرَى أنى بِتَسْـ ـهيل المَصاعِبِ منه أدرَى ؟

وقال مرتجلا وقد خرّ السقف عليه من أثر مطر هاطل :

ولمّا بَدَا رَكْبُ السحاب تَسوقُه حُدَاةُ الرياح الهُوجِ وهى تُزَمْجِر (٣)
رَكَنْتُ لبيتٍ أستجنّ من الحَيَا به، واذا غيْثٌ مِنَ السقف يقطُر (٤)
فلا فَرْقَ ما بين السحاب وبينه سِوى أن ذَا صافٍ، وذاك مُكدَّر

(١) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٢) أى إن نظرت إلى الشعرات البيض فى لمتى اسودت الدنيا فى عينى وكأنى انظر النجوم فى الظهر ، مأخوذ من المثل العامى « يريه النجوم فى الظهر »
(٣) الهوج : جمع هوجاء وهى الريح الشديدة التى لا تتوى فى هبوبها بل تتناوح .
(٤) استجن : استتر . والحيا : المطر .

وقال يصف فوّارة :

وسهمٍ فـوّارة اذا انبعثتْ عاوَدَتِ الجوَّ يجتدى أرضَه
كأنها خَيْمةٌ مكلّلةٌ عمودُها من سبائكِ الفِضه

وقال يصف الشمس وهى غاربة فى النيل :

انظر إلى الشمس فوقَ النيل غارِبةً وأعجَبْ لما بعدَها من حُمرة الشفَق
غابتْ، وأبْدَتْ شُعاعا منه يخلُفها؛ كأنها احترقتْ بالماءِ فى الغرق!
وللهلال، فهل وافى لينقِذَها فى إثرها زَوْرقًا قد صِيغ من وَرِق؟

(١٦) ابن النبيه المصرى (٢)

قال يصف الحياة والموت :

الناسُ للموتِ كخَيْلِ الطِّرادْ فالسابقُ السابقُ منها الجَواد
واللهُ لا يدعو الى داره إلا مَن استصلَحَ من ذِى العباد
والموتُ نقّادٌ على كَفِّه جواهرٌ يختارُ منها الجِياد
والمرْءُ كالظلِّ؛ ولا بُدَّ أنْ يَزولَ ذاك الظلُّ بعدَ امتداد
لا تصلُحُ الأرواحُ إلا اذا سَرَىٰ الى الأجساد هذا الفساد
أرغمتَ يا موتُ أنوفَ القَنا ودُسْتَ أعناقَ السيُوف الحِداد (٣)

وقال يتغزل من قصيدة :

أفديهِ إن حفِظَ الهوى أو ضَيَّعَا ملَك الفؤاد فما عسى أن أصنعا ؟
من لم يذُق ظُلْمَ الحبيب كظَلمِه حُلوًا فقد جَهِلَ المحبةَ وادّعى (٤)

---

(١) الورق : الفضة .

(٢) هو أبو الحسن على بن محمد الشهير بابن النبيه المصرى صاحب الشعر الرقيق والغزل البديع . كان من خدام بنى أيوب ملوك الشام والجزيرة من أقارب صلاح الدين . واختص منهم بالملك الأشرف موسى الملقب بشاه أرمن . توفى بنصيبين من مدن الجزيرة سنة ٦١٩ هـ . عن نحو ٦٠ سنة .

(٣) القنا : جمع قناة وهى الرمح . (٤) الظلم : بريق ثغر الأسنان وحسنه .

يأيها الوجهُ الجميلُ تدارك الصـ ـبرَ الجميلَ فقد عفا وتضعْضَعا
هـل فى فؤادِك رحمةٌ لِمتيّم ضمّتْ جوانحُه فـؤادًا مُوجَعا؟
هل من سبيلٍ أن أَبُثَّ صبابتى أو أشتكى بَلْوايَ أو أتوجّعا؟
إنى لأستحيي كما عـوّدتنى بِسوَى رِضاك إليكَ أن أتشفّعا

(١٧) ابن مطروح[1]

قال يصف حسناء تسير بليل :

وما أَنْسَ لا أَنْسَ المليحةَ إذْ بَدَتْ دُجًى فَأَضَاءَ الافْقُ من كل مَوْضع
فحدّثْتُ نَفْسِى أنها الشَّمْسُ أَشْرَقَتْ وأنى قـد أوتيتُ آيَةَ يُوشَـع (٢)

وقال يتغزل :

يامن لبستُ عليـه أَثْوَابَ الضَّنَى صُـفْرًا مُوَشَّـعَةً بِحُمْـرِ الْأَدْمُعِ
أَدْرِكْ بقيـة مُهْجَـةٍ لو لم تَذُبْ أَسَـفا عَلَيْكَ نَفيتُهَـا عن أَضْلُعى

وقال أيضا :

مَلِكُ المِـلَاحِ ترى العيـو ـن عليـه دائـرة يَطَـق (٤)
ومُخَـيِّم بين الضلـو ع وفى الفُـؤَادِ لَهُ سَـبَق (٥)

---

(١) هو جمال الدين يحيى بن عيسى الشهير بابن مطروح من أهـل صعيد مصر . ولد بأسيوط ، ونشأ بقوص ، واتصل بالملك الصالح نجم الدين أيوب وخدمه بالكتابة . وكان زميلا للبهاء زهير . ثم اعتزل الخدمة ومات سنة ٦٤٩ هـ .

(٢) يوشع : هو صاحب موسى عليهما السلام ، وقد وقفت له الشمس فى قصة معروفة .

(٣) ثوب موشع : فيه خطوط وطرائق .

(٤) اليطق : كلمة تركية ، ومعناها : جماعة من الجند يبيتون حول خيمة الملك يحرسونه .

(٥) السبق : خيمة الملك .

(١٨) البهاء زهـــير[١]

قال فى الشكوى :

ليتَ شِعْرِى هل زمانى ... بعـدَ ذَا البُخْلِ يجـودُ؟
ما أرى الشـــدّة إلا ... كلما مَـــرّتْ تزيـدُ
يَنقَضِى يـــومٌ فيـــومٌ ... فى حـديث لا يُفيـــد
فمتى اليـــومُ الذى أَبـ ... ـلغ فيـــه ما أُريـــد ؟

وقال فى عتاب الحبيب والتشوق إليه :

يعاهدُنِى : لا خانَنِى ! ثم يَنْكُثُ ... وأحلِفُ لا كَلَّمْتُه ! ثم أَحنَثُ
وذلك دَأْبى لا يزالُ ودأبُـــه ... فيا معشرَ الناس اسمَعُوا وتحدّثوا
أقول له : صِلْنى ! يقُول : نَعَمْ غدا ! ... ويكسِرُ جَفْنًا هازئًا بى ويعبَثُ !
وماضرَّ بعضَ الناس لو كان زارَنِى؟ ... وكُنّا خَـلَوْنا ساعـةً نتحـدّث
أمولاى ، إنى فى هواكَ معذّبٌ ! ... وحتام أَبقى فى العذاب وأمكُث ؟
فخذْ مرةً رُوحى تُرِحْنى ، ولم أكن ... أموتُ مِرارًا فى النهار ، وأُبعَث [٢]
وإنى لهذا الضيم منكَ لحَـامِلٌ ... ومنتـظِرٌ لُطْفًا من الله يَحدُث !
أعيذُكَ من هذا الجفاءِ الذى بدا ... خلائقُك الحُسنى أرقّ وأدمَثُ [٣]
تردّد ظنُّ الناسِ فينـا وأكثَروا ... أقاويلَ : منها ما يَطِيبُ ، ويخبُث
وقد كُرِمتْ فى الحب منِى شمائلى ... ويسأل عنى من أَرادّ ويبحث !

---

(١) هو بهاء الدين زهير بن محمد المهلبى الصالحى . ولد قرب مكة . وجاء مصر ، فنشأ بقوص نشأة أدبيـة واتصل بالملك الصالح المتقدم ذكره فكان عنـده رئيس ديوان الإنشاء (بمنزلة وزير) . وتوفى سنة ٦٥٦ هـ .

(٢) يقال : أخذ الشيء مرة ، أى دفعة واحدة .

(٣) المكان الدمث : اللين السهل . ودماثة الأخلاق : رقتها .

وقال فى التغزل ، وتلاعب بالتورية والطباق ومراعاة النظير :

غيرى على السُّلْوانِ قادرْ ... وسواىَ فى العُشاق غادر

لِى فى الغرامِ سريرةٌ ... والله أعلَمُ بالسرائر

ومُشَبَّبٍ بالغُصْنِ قَدْ ... بى لا يزالُ عليه طائر

حُلْوُ الحديث ، وإنَّها ... لحلاوةٌ شقَّتْ مرائر (١)

أشكُو وأشكُرُ فعْلَه ... فاعجَبْ لشاكٍ منهُ شاكر !

لا تُنكِروا خَفَقَانَ قَلْـ ... ـبى ، والحبيبُ لدَىَّ حاضر

ما القلبُ إلا دارُه ... ضُرِبتْ له فيها البشائر

يا تارِكِى فى حُبِّهِ ... مثلًا من الأمثال سائر

أبدًا حديثِي ليس بالْـ ... ـمنسوخ إلّا فى الدفاتر

يا ليلُ مالكَ آخرٌ ... يُرْجَى ولا للشوقِ آخر

ياليلُ طُلْ ، يا شوقُ دُمْ ؛ ... إنى على الحالَيْن صابر

لى فيك أجْرُ مجاهد ... إن صحّ أنَّ الليلَ كافر (٢)

طرْفِى وطرفُ النجمِ فيـ ... ـك كلاهما ساهٍ وساهر

---

(١) المرائر : جمع مرارة ، وهى هنة شبه كيس لازقة بالكبد .

(٢) فى كافر تورية من الكفر ، أى أن له أجر المجاهد الذى يقتل كافرا ، لأن الشاعر يقطع الليل كله ساهرا . أو من قولهم : الليل كافر ، أى ساتر .

يَهنيكَ بدرُك حاضرٌ ... ياليتَ بدْرى كان حاضر[١]

حتى يَبينَ لناظرى ... من منهما زاهٍ وزاهر

بدرى أرقُّ محاسنا ... والفرقُ مثلُ الصبح ظاهر[٢]

وقال يتغنى بأرض الوطن : مصرَ العزيزة :

سَقَى وادِياً بين العَريش و رَفْحةٍ ... من الغَيْث هَطَّالُ الشآبيب هَتَّانُ[٣]

وحيَّا النسيمُ الرطبُ عنى اذا سرى ... هنالك أوطانا إذا قيلَ أوطانُ

بِلادٌ متى ما جئتَها جئتَ جَنةً ... لعينك منها كلُّ ما شئتَ رِضوانُ[٤]

تَمثَّلُ لى الأشواقُ أنَّ تُرابَها ... وحَصْباءَها مِسكٌ يفوح وعِقْيانُ[٥]

فيا ساكِنِي مصرٍ تُراكُم علِمتُمُ ... بأنِّى ما لِى عنكمُ الدهرَ سُلْوانُ؟

وما فى فؤادى موضعٌ لسواكُم ... ومِنْ أينَ فيه؟ وهْوَ بالشوق مَلآنُ

عسَى اللهُ يَطْوِى شُقَّةَ البُعْدِ بيْنَنَا ... فَنَهدأَ أحشاءٌ وتَرْقَأَ أجفانُ

علىَّ لذاك اليومِ صومٌ نذرتُهُ ... وعندى ـ على رأى التصوُّف ـ شُكْرانُ

---

(١) بدر المعشوق : هو الكوكب المضىء بالليل . وبدر الشاعر : هو المعشوق .

(٢) فى الفرق تورية : فرق الشعر ، وفرق ما بين الأمرين .

(٣) الشابيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . الهتان : المنصب المتتابع

(٤) الرضوان : الرضا .

(٥) العقيان : الذهب الخالص .

(ب) النـــثر

اولا ـ النـــثر الفنى

(١) أبو الفرج الببغاء

من كتاب يهنئ فيه بولاية عمل :

" سيدى — أيده الله — أرفع قدرا، وأنبه ذكرا، وأعظم نبلا، وأشهر فضلا ، من أن تهنئه بولاية، وإن جل خطرها، وعظم قدرها، لأن الواجب تهنئة الأعمال بفائض عدله ، والرعية بمحمود فعله ، والأقاليم بآثار سياسته ، والولايات بسمات كياسته . فعرفه الله يمن ماتولاه ، ورعاه فى سائر ما استرعاه، ولا أخلاه من التوفيق فيما يعانيه ، والتسديد فيما يبرمه ويمضيه ... " .

ومن كتاب له فى تهنئة بعيد :

" ... عرفك الله يمن هذا العيد وبركته ، وضاعف لك إقباله وسعادته ، وأحياك لأمثاله فى أسبغ النعم وأكملها ، وأفسح المدد وأطولها ، وأشرف الرتب وأرفعها ، وأعز المنازل وأيفعها . وحرس منحتك من المحظور ، ووقى نعمتك من عثرات الدهور ... " .

وله من كتاب فى التهنئة بمولودة :

" ... ومولانا — أيده الله ، مع كمال فضله ، وتناهى عقله ، وحدة فطنته ، وثاقب معرفته — أجل من أن يجهل مواقع النعم الواردة من الله تعالى عليه ، أو أن يتسخط مواهبه الصادرة إليه ، فيرمقها بنواظر الفكر ، ويسلك بها غير

مذاهب الشكر. وقد اتصل بالمملوك خبر المولودة — كرم الله غرتها ، وأطال مدتها ، وعرف مولانا البركة بها ، و بلغه أمله فيها — وما كان من تغيره عند اتضاح الخبر ، و إنكار ما اختاره له سابق القدر . فعجب المملوك من ذلك واستنكره من مولانا وأنكره ، لضيق العذر فى مثله عليه . وقد علم مولانا أنهن أقرب إلى القلوب . وأن الله تعالى بدأ بهن فى الترتيب . فقال جل من قائل : "يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ" . وما سماه الله هبة فهو بالشكر أولى، وبحسن التقبل أحرى . ولكم نسبٍ أفدن ، وشرفٍ استحدثن ، من طرق الإصهار ، والاتصال بالأخيار . والملتمس من الذكر نجابته ، لاصورته وولادته. ولكم ذكرٍ الأنثى أكرم منه طبعا ، وأظهر منه نفعا . فمولانا يصور الحال بصورتها ، ويجدد الشكر على ما وهب الله منها، ويستأنف الاعتراف له تعالى بما هُوَ الأشبهُ ببصيرته، والأولى بمثله إن شاء الله تعالى" .

(٢) على بن خلف [1]

كتب فى الدعوة إلى وليمة :

"رقعتى — أطال اللهُ بقَاء سيدى — ومجلسى بمَنْ حلهَّ من خدمه ، وتركه من صنائع كرمه ، فَلَكَ مُزَيَّنٌ بأَنْجُمه . فإنْ رأَى أن يُطْلِعَ فيه بَدْرًا بِطُلُوعه ، وينْقُلَ قَدَمَهُ إِلَيْهِمْ ، ويُكَمِّلَ نَقْصَهُمْ بتمامِه ، وبِضُيفَ ذلك إلى تليد إنعامه — فعل ، إن شاء الله تعالى" .

---

(١) من كتاب الإنشاء فى الدولة الفاطمية ، وله فى مصطلح الإنشاء كتاب «مواد البيان» وكثيرا ما ينقل عنه صاحب صبح الأعشى .

(٣) القاضى الفاضل

وقال القاضى الفاضل عبد الرحيم البَيْسانى رحمه الله يصف مدينة آمِد[١] من رسالة جاء فيها :

وآمِدُ ذِكرُها بَيْن العَالَم، مُتَعالَمٌ[٢]، وطالما صادَم جانِبَها مَنْ تَقادَم[٣]، فَرَجَع عنها مَقْدُوعًا[٤] أَنْفُه وإن كَانَ فَحْلًا، وفَرَّ عنها فريدا بِهَمِّه وان آستصحَبَ خَيْلًا ورَجْلا[٥].

ورأى حَجَرَها فَقَدَّر أنَّه لا يُفَكُّ له حَجْرٌ[٦]، وسَوادَها[٧] فَظَنَّ أنه لا ينسَخُه فجرٌ، وحَمِيَّةَ أَنْفٍ أَنَفَتها فاعتقد أنه لايستجيبُ لزَجْر: مِن مُلوكٍ كلُّهم قد طَوى صدرَه على الغَليل الى مَوْرِدِها، ووقَفَ وَقْفَةَ المُحِب السائل فلم يَفُز بما أمَّلَ من سُؤَال مَعْهَدِها[٨].

---

(١) وهى بلدة قديمة مبنية على مرتفع من الأرض حصينة تعدّ من أكبر مدن إقليم ديار بكر. وتسمى الآن مدينة ديار بكر باسم ولايتها كما تسمى القاهرة بمصر. والهضبة: التى بنيت عليها سوداء. ولذلك يسميها الترك (قره آمد) أى آمد السوداء.

(٢) متعالم: معروف مشهور.

(٣) أى من تقادم من الفاتحين.

(٤) قدع أنف الفحل: ضرب أنفه ليكفه عن النوق اذا كان غير كريم خشية أن تلد منه غير نجائب.

(٥) الخيل هنا: الفرسان. والرجل: الرجالة (البيادة).

(٦) الحجر: الحبس والحصار.

(٧) وسوادها: أى سواد هضبتها المبنية هى عليها.

(٨) الغليل: العطش، يريد الرغبة فى فتحها.

(٤) ابن الصَّيْرفى[١]

ومن الكتابة السلطانية فصل له من كتاب بشارة بالسلامة فى ركوب الخليفة الفاطمى إلى مُصَلَّى العيد :

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم كذا عيد النحر سنة كذا وكذا ، وهو يوم أظهر الله فيه قوّة الدولة واقتدارها ، وأوجب فيه — رغبة ورهبة — مسارعة النفوس المتخالفة إلى الطاعة وابتدارها ، وذلك أن عساكر أمير المؤمنين توجّهت الى قصوره الزاهرة عند انفجار الفجر . وحافظت على ما تحرزه من كريم الثواب وجزيل الأجر . واستنزلت الرحمة برؤية إمام الأمة وعدّت الإخلاص فى خدمته من أوفى الحرمات وأقوى الأذِمَّة[٢] ، وأقامت إلى أن برز أميرُ المؤمنين والأنوارُ الساطعة طَوالِعُه ، ومهابته تمنع كل طرف من استقصاء تأمله وتُدافعه . وقصد المصلَّى فى كتائبَ لَجَبة[٣] ومواكب للتعظيم مستوجبَة ، وعزة تتبين فى الشمائل والصفحات ، وقُوَّةٍ يشهد بطيب وصفها أرج النَّفحات ، قد غدت عُدَدُهَا مُحْكمة ، وخُيُولها مطَهَّمة[٤] ، وذَوابلُها[٥] إذا ظمئت[٦] كانت مقوَّمَة ، و إذا رَوِيَت[٧] عادت محطَّمة . تقلد صفائح متى انتضيت أنصفت من الجائر الخائف ، ومتى اقتضَبت[٨] عملا

---

(١) هو أبو القاسم على بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفى كان من شيوخ الكتاب فى دواوين الدولة الفاطمية ، وله عدة مؤلفات منها قانون ديوان الرسائل طبع بمصر . وينقل عنه صاحب صبح الأعشى كثيرا من الكتب الديوانية . مات سنة ٥٤٢ هـ .

(٢) الأذمة : جمع ذمام ، وهو الحق والحرمة .

(٣) الكتيبة : الجيش ، ولجبة : كثيرة الجلبة والأصوات لكثرة عددها .

(٤) المطهم : التام البارع الجمال من كل شىء .

(٥) الذوابل : الرماح الذابلة القنا ، أى الجافة القصب (٦) ظمئت هنا : جفت وصلبت .

(٧) واذا رويت أى من دماء الأعداء عادت بعد الحرب محطمة لكثرة ما طعن بها .

(٨) فى اقتضبت تورية من الاقتضاب بمعنى الاقتطاع ، أو بمعنى الخروج من غرض الى آخر فى الشعر أو الكتابة .

كان اقتضابها مبيضا للصحائف . وفى ظلها معاقل للآئذين ، وبحدِّها مصارع للمنابذين . وهى للدماء هوارق ، وللهامات فوالق ، ولمستغلق البلاد مفاتح ، ولمستفتحها مغالق . ولما انتهى الى المُصلَّى قضى الصلاة أحسن قضاء ، وأداها أفضل تأدية ، واستنزل رحمة لم تزل بصلاته متمادية ، وانتهى إلى المنبر فرقيه ، وخطب خطبة من استخلفه الله فكان مراقبُهُ ومتقيهُ ، ووعظ أبلغ وعظ ، وأبان عما للعامل فى نصحه فى الدنيا والآخرة من فائدة وحظ ، وعطف على الأضاحى المعدّة له ، فنحرها جاريا فى الطاعات على فعلها المتمادى ، وأضحت تتوقع التكميل بإنجاز وعيده فى الأعادى ، فالله يقضى بتصديقه ، ويَمُنُّ بتخيُّله وتحقيقه . وعاد إلى قصوره المكرمة مشكورا سعيُه ، مضمونا نفعُه ، مرضيا فعلُه ، مشمولا عبيدُه منه بما هو أهلُه . أعلمك أمير المؤمنين ذلك ، فاعلم هذا واعمل به ، وكُتب فى اليوم المذكور .

(٥) ابن قادوس (١)

فصل له من منشور مما كان ينشر على الناس بوفاء النيل فى الدولة الفاطمية :

" النعم وإن كانت شاملة للا مم فإنها متفاضلة الأقدار والقيم ، فأولاها بشكرٍ تنشرُ فى الآفاق أعلامه ، واعتدادٍ تُحكَمُ بإدراك الغايات أحكامه ، نعمة يشترك فى النفع بها العباد ، وتبدو بركتها على الناطق والصامت والجماد ، وتلك النعمة : النيل المصرى (٢) الذى تبرز به الأرض الجرز (٣) فى أحسن الملابس ، وتظهر حلل الرياض على القِيعانِ والبسابس (٤) ، وترى الكنوز ظاهرة للعيان ، متبرجة بالجواهر واللجين والعِقيان . فسبحان من جعله سببا لإنشار الموات ، ووفَّر به مواد الأرزاق والأقوات " .

---

(١) هو القاضى كافى الكفاة محمود بن أسعد قادوس من رؤساء كتاب الإنشاء فى الدولة الفاطمية .

(٢) تمييز عن نيل الفرات ، وهو خليج منه .

(٣) الأرض الجرز : التى أكل نباتها ، ولم يصبها مطر ، فلم تنبت ثانية . أو هى الأرض التى لا تنبت .

(٤) البسابس : القفار الخالية .

ثانيا ـ النثر العلمى التأليفى

(١) المعرى

من النثر العلمى التأليفى قول أبى العلاء فى مقدمة اللزوميات :

" ... وقد كنت قلت فى كلام لى قديم : " إنى رفضت الشعر رفض السَّقْب غِرسه (١) ، والرأل تريكته (٢) ، والغرض ما استجيز فيه الكذب ، واستعين على نظامه بالشبهات ، فأما الكائن عظة للسامع ، وإيقاظا للمتوسن (٣) ، وأمرا بالتحرز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جبلوا على الغِش والمكر — فهو إن شاء الله مما يلتمس به الثواب . وأضيف إلى ما سلف من الاعتذار أن من سلك فى هذا الأسلوب ضَعُفَ ما ينطق به من النظام ، لأنه يتوخى الصادقة ، ويطلب الكلمة البرة . ولذلك ضعف كثير من شعر أمية بن أبى الصلت الثقفى ومن أخذ بِضَرِيَّه (٤) من أهل الإسلام . ويروى عن الأصمعى كلام معناه : أن الشعر باب من أبواب الباطل ، فإذا أريد به غير وجهه ضعف . وقد وجدنا الشعراء توصلوا إلى تحسين المنطق بالكذب وهو من القبائح ، وزينوا ما نظموه بالغزل وصفة النساء ، ونعوت الخيل والإبل وأوصاف الخمر ، وتسببوا إلى الجزالة بذكر الحرب ، واحتلبوا أخلاف (٥) الفكر — وهم أهل مقام وخفض — فى معنى ما يدعون أنهم يعانون : من حث الركائب ، وقطع المفاوز ، ومراس (٦) الشقاء .

---

(١) السقب : ولد الناقة الذكر عقب ولادته ، والغرس : جليدة رقيقة تظهر على وجهه عند ولادته .

(٢) الرأل : فرخ النعامة . والتريكة : البيضة بعد أن يخرج منها الفرخ . وقد قال هذه الجملة فى مقدمة ديوانه : سقط الزند .

(٣) المتوسن : النائم .

(٤) أى بطريقته ومذهبه .

(٥) الأخلاف : جمع خلف بكسر الخاء ، وهى حلمة ضرع الناقة .

(٦) المراس : الممارسة والمعاناة .

وهذا حين أبدأ بترتيب النظم ، وهو مائة وثلاثة عشر فصلا ، لكل حرف أربعة فصول ، وهى على حسب حالات الروى من ضم وفتح وكسر وسكون ، وأما الألف وحدها فلها فصل واحد لأنها لا تكون إلا ساكنة . وربما جئت فى الفصل بالقطعة الواحدة أو القطعتين ، ليكونَ قضاءَ حقٍّ للتأليف . وبالله التوفيق » .

(٢) ابن شداد [١]

فصل من كتابه " النوادر السلطانية ، والمحاسن اليوسفية " :

« . . . . كان للمسلمين لصوص يدخلون إلى خيام العدو ، فيسرقون من الرجال ، وكان من قصتهم أنهم أخذوا ذات ليلة طفلا رضيعا له ثلاثة أشهر ؛ وساروا به حتى أتوا إلى خيمة السلطان ، وعرضوه عليه ، وكان كل ما يأخذونه يعرضونه عليه ، ويعطيهم ما أخذوه .

" ولما فقدته أمه باتت مستغيثة بالويل والثبور طول الليل ، حتى وصل خبرها إلى ملوكهم ، فقالوا : إنه رحيم القلب ، وقد أذنا لك بالخروج ، فاخرجى واطلبيه منه ، فإنه يرده عليك . فخرجت تستغيث إلى اليزَك ، فأخبرتهم بواقعتها ، فأطلقوها وأنفذوها إلى السلطان ، فلقيته وهو راكب ، وأنا فى خدمته ، وفى خدمته خلق عظيم ، فبكت بكاء شديدا ، ومرّغت وجهها فى التراب . فسأل عن قصتها ، فأخبروه ، فرق لها ودمعت عينه ، وأمر بإحضار الرضيع ، فوجدوه قد بيع فى السوق ، فارتده ، وأمر بدَفْع ثمنه إلى المشترى ، وأخذه منه ، ولم يزل واقفا حتى أحضر الطفلُ وسُلِّم إليها ، فأخذته وبكت بكاء شديدا ، وضمته إلى صدرها ، والناس ينظرون إليها ويبكون ، وأنا واقف فى جملتهم ، فأرضعته ساعة .

ثم أمر لها ، فحُمِلَتْ على فرس ، وألحقت بعسكرهم مع طفلها . فانظر إلى هذه الرحمة الشاملة لجنس البشر " .

---

(١) هو القاضى بهاء الدين بن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ هـ . وكان من خاصة صلاح الدين بن أيوب ، وملازمى ركابه .

عصر المماليك والعثمانيين

(١) الشعر

(١) شمس الدين محمود الكوفى

قال فى رثاء بغداد :

إنْ لم تُقَرِّحْ أدمُعِى أجفانى ... من بَعْدِ بُعْدِكُمُ — فما أَجْفانى (١)

إنسانُ عينى مذ تناءتْ دارُكُمْ ... ما راقَهُ نظرٌ الى إنسان (٢)

يا ليتنى قد متُّ قبلَ فِراقِكمْ ... ولساعةِ التوديع لا أحيانى!

مالى وللأيامِ شتَّتَ خَطْبُها ... شملِى؟ وخَلَّانِى بلا خُلان

ما للمنازلِ أصبحتْ لا أهلُها ... أهلى، ولا جيرانُها جيرانى

وحياتِكم ما حلَّها من بَعْدِكم ... غيرُ البِلَى والهدمِ والنيران

ولقد قصدتُ الدارَ بعد رحيلِكُمْ ... ووقفتُ فيها وِقْفَةَ الحيران

وسألتُها لكن بغيرِ تكلم ... فتكلمتْ لكن بغيرِ لسانِ

ناديتُها يا دارُ، ما صنع الأُلَى ... كانوا هُمُ الأوطارَ فى الأوطانِ ؟ (٣)

أينَ الذين عَهِدْتُهم ولعزِّهم ... ذُلًّا تَخِرُّ مَعاقِدُ التِّيجان ؟

كانوا نجومَ من اقتدَى فعليهمُ ... يبكِى الهُدَى وشعائرُ الإيمانِ

---

(١) أجفى ، أفعل تفضيل من جفا الرجل يجفو ، أى : غلظ وثقل .

(٢) إنسان العين : سوادق .

(٣) الأوطار : جمع وطر ، وهو البغية والغرض

قالت : غدوا لما تبدد شملهم وتبدلوا من عزهم بهوان
كَدَمِ الفِصَادِ يُراقُ أرذلَ موضع أبدًا ويَخْرُجُ من أعزّ مكانِ
أفنتْهم غِيَرُ الحوادث مثلما أفنتْ قديما صاحبَ الإيوان (١)
لما رأيتُ الدارَ بعد فِراقِهِمْ أضحتْ مُعطَّلَةً من السكانِ
مازلتُ أبكيهم وألثمُ وَحْشَةً لجمالهم مُتَهَدِّمَ الأركان
حتى رَثَى لى كلُّ مَنْ : ما وَجْدُهُ وجدى ، ولا أشجانُه أشجانى
أتُرَى تعودُ الدارُ تجمعنا كما كنا بكلِّ مَسَرَّةٍ وتهانى ؟
إذ نحنُ نغتنمُ الزمان وَنَجْتَنِي بيد الأمانِ قُطوفَ كلِّ أمانِ (٢)

(٢) بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى (٣)

قال فى الصبابة والتحزن :

وتنبَّهتْ ذاتُ الجَنَاحِ بسُحْرَة بالوادِيَيْنِ فَنَبَّهَتْ أشواقى (٤)
ورْقاءُ قد أخذت فُنونَ الحُزْنِ عن يعقوبَ والألحانَ عن إسحاق (٥)
قامت تطارِحُنى الغرامَ جَهالةً من دون صَحْبى بالحِمَى ورِفاقى
أنَّى تُبارِينى جَوًى وصَبابةً وكآبةً وأَسًى وفَيْضَ مآقِى
وأنا الذى أملِى الجَوَى من خاطرى وهى التى تُمْلِى من الأوراقِ

---

(١) صاحب الإيوان : كسرى ، والإيوان قصره المشهور .

(٢) الأمان (الأولى) : الأمن والدعة . والأمانى (الثانية) : جمع أمنية .

(٣) من أشهر شعراء عصر المماليك بالشام . وكان سهل الشعر عذبه يستخدم المحسنات البديعية مات سنة ٦٨٠ هـ .

(٤) ذات الجناح : الحمامة والسحرة : قبيل الفجر .

(٥) الورقاء : الحمامة . يعقوب : أبو يوسف صاحب القصة المذكورة فى القرآن الكريم عليهما السلام ، وإسحاق أبو يعقوب عليه السلام وإسحاق بن ابراهيم الموصلى ، وهو المراد .

الأوراق : أوراق الأشجار التى تعلوها الحمامة وفى الكلمة تورية واضحة .

وقال فى الروض :

الرَّوْضُ أَحْسَنُ ما رَأَيْـ ... ـتُ إذا تَكاثَرَتِ الهمومُ

تَحْنُو علىَّ غُصُونُه ... ويرِقُّ لى فيه النسيمُ

(٣) الشاب الظريف[١]

قال من قصيدة فى الشكوى والحكمة :

أَبَتْ رِقَّتى إلَّا الذى يقتضى الهوَى ... وعَزْمِى إلَّا ما اقْتَضَى الرأْىُ والعقلُ

فوا عجبا أنّى خَفِيتُ، ولم أَبِنْ ... وقد راحَ مملوءًا بِىَ الحَزْنُ والسَّهْلُ ؟

طريدٌ ولى مَأْوًى، مُباحٌ ولى حِمًى، ... وحيدٌ ولى صَحْبٌ، غريبٌ ولى أهلُ

سأَجهَدُ : إمَّا للمنايا، أو المُنَى ... قُصارايَ : إمَّا النَّصرُ، أو ماجَنَى النَّصْلُ[٢]

فإن لم تَصِلْنِى هِمَّتِى بِمَطالبى ... ولم يُنْتَسَجْ للشَّيْبِ فى لِمَّتِى غَزْلُ

فلا نَظَرَتْ عَيْنِى، ولا فاهَ مِقْوَلِى ... ولا بَطَشَتْ كَفِّى، ولا سَعَتِ الرِّجْلُ

ومَنْ عَرَفَ الأمرَ الذى أنا عارفٌ ... رأى كلَّ صَعْبٍ كُلَّ إدْراكِهِ سَهلُ

خُذِ العِزَّ من أىِّ الوُجُوهِ رأيتَهُ ... فلا خَيْرَ فى عَيْشٍ يكونُ به الذُّلُّ

وللْمَرْءِ من داعِى الطبيعةِ قائدٌ ... إذا لم يَذُدْهُ دونَه الحِلْمُ والنُّبْلُ

من التُّرْبِ هذا الطبعُ، والنفسُ من عُلًا ... فللمرءِ أنْ يَدْنو، وللمرءِ أنْ يَعْلُو

وقال فى التغزل :

يا ساكنًا قلبَىَ المُعَنَّى ... وليس فيهِ سِواكَ ثانى

لأىِّ مَعْنًى كسرْتَ قلبى ... وما الْتَقَى فيه ساكنانِ[٣]

---

(١) هو محمد بن سليمان التلمسانى المولود بمصر سنة ٦٦١ هـ . والمتوفى سنة ٦٩٥ هـ . ويمتاز شعره بالرقة وجمال الصياغة .

(٢) قصارايَ : أى غايتى ، وبين النصر والنصل جناس غير تام . ويريد بما يجنيه النصل الموت .

(٣) فى قوله كسرت قلبى تورية ، والمقصود : إيذاء القلب بالهجر ، ويورى لذلك بالكسرة المعروفة للتخلص من التقاء الساكنين ، وكذلك فى قوله : ساكنان : يريد محبوبين .

وقال فى زيارة الحبيب :

ولقد أتيتُ الى جنابكَ قاضياً ... باللَّثْمِ للعَتَبَاتِ بعضَ الواجب (١)

وأتيتُ أقصِدُ زَوْرةً أحيا بها ... فُرِدِدتُ - ياعَينِي - هناكِ بِحَاجب (٢)

وقال فى التغزل :

بَدَا وجهُهُ من فوْق أسْمَرِ قَدِّهِ ... وقد لاح من سُودِ الذَّوائِب فى جُنْحِ

فقلتُ : عجيبٌ ! كيف لم يَذْهَبِ الدُّجَى ... وقد طلعتْ شَمْسُ النهارِ على رُمْحِ ؟ (٣)

وقال فيما يجد العاشق وما يصنع :

لا تُخفِ ما فعلتْ بكَ الأشواقُ ... وٱشرحْ هواكَ فكلُّنا عُشَّاقُ

فعسَى يُعِينُكَ من شكوتَ له الهَوى ... فى حَمْلِهِ ، فالعاشقون رِفاقُ

لا تَجْزَعَنَّ ؛ فلستَ أوَّلَ مُغْرِمٍ ... فتكتْ به الوَجَنَاتُ والأحْداقُ

وٱصبِرْ على هَجْرِ الحبيب فربَّما ... عاد الوِصالُ وللهَوى أخْلاقُ (٤)

كم ليلةٍ أَسهرتُ أحداقى بها ... وجْدًا وللأفكارِ بى إِحْدَاقُ (٥)

يا ربِّ قد بَعُدَ الذينَ أُحِبُّهُمْ ... عنِّى وقد أَلِفَ الفِرَاقَ فِرَاقُ

وٱسودَّ حظى عندهم لمَّا سَرَى ... فيهِ بنارِ صَبابَتى إِحْرَاقُ

عُرْبٌ رأيتُ أصحَّ مِيثاق لهم ... أَلَّا يَصِحَّ لَدَيْهِمُ مِيثاقُ

---

(١) الجناب : الناحية والكنف .

(٢) كذلك التورية هنا فى كلمة حاجب .

(٣) يقصد بالدجى : الشعر الأسود الذوائب . وشمس النهار : الوجه . والرمح : القد .

(٤) أى من أخلاق كل معشوق أن يهجر دلالا وتجنيا ، ثم يصل بعد ذلك .

(٥) أحدق به : أحاط . أى أن الأفكار كانت تحيط بى وتساورنى .

وقال من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر :

ومَعْشَرٍ لم تَزَلْ للحـرب بِيضُهُـمُ ... حُمْرَ الخُدُودِ وما من شأنها الخَجَلُ (١)

إذا انتضَوْها بُرُوقًا صُيِّرت سُحُبًا ... يسـيلُ من جانبَيْها عارِضٌ هَطِل (٢)

يَثْنِي حديثُ الوغَى أعطافَهم طرباً ... كأنَّ ذِكْرَ المنايا بينهم غزل (٣)

كم نارِ حربٍ بهم شُبَّتْ، وهم سُحُبٌ ... وأرض قومٍ بهم فاضت، وهم شُعَل (٤)

ضاءت بحسنِهـمُ تلك الخِيـامُ كما ... ضاءت بوجهِ ابن عبد الظاهر الدُّوَل

أَغَرُّ ما أبدتِ السحبُ الحَيَا لِسوَى ... تقصـيرِها عن مَدَاهُ حينَ يَنْهَمِل (٥)

تُوحِي إلَى كُلِّ قِرطاسٍ بلاغتُـهُ ... سِحْـرَ البيانِ، ومن أقلامِهِ الرُّسُل

سُمْـرٌ تَرُوقكَ رأى العينِ عاريةً ... ومن بديعِ معانيـه لها حُلَل

من كل معتدلٍ كالمِيلِ إنْ رَمَدَتْ ... عينُ المعـالى ففيها نِقْسُه كَحَـل (٦)

فللعُـداةِ لديه كلُّ ما حَذِروا، ... وللعُفاةِ عليـه كلُّ ما سألوا

أضحتْ يداه لِعِقْدِ الجودِ واسـطةً، ... فليس يُدْرَى لجودٍ بعـدَها عَطَل (٧)

وقال فى الغزل، وسلك مسلك الرسائل السلطانية فى الافتتاح بدعاء خاص

أَعَزَّ اللهُ أَنْصَـارَ العُيونِ ... وَخَلَّدَ مُلْكَ هاتيـكَ الجُفُونِ

وضاعَفَ بالفُتُـورِ لها اقتدارًا، ... وإنْ تَكُ أَضعفتْ عقلى ودِينى

---

(١) البيض : السيوف، وجعلها حمر الخدود لما يسيل فوقها من دماء الاعداء .

(٢) انتضى السيف : استله من غمده . والعارض : السحاب، ويقصد به الدماء .

(٣) الأعطاف : جمع عطف وهو الجانب .

(٤) وهم سحب أى فى الكرم، وهم شعل، أى كالنار فى استئصال أعدائهم .

(٥) الحيا : المطر أو مقصور الحياء؛ ففى البيت تورية وحسن تعليل .

(٦) الميل : حديدة أو نحوها يكتحل بها . والنقس : المداد . والكحل : مصدر كحل .

(٧) الواسطة من القلادة : الجوهرة فى وسطها، وهى أجود الجواهر . والعطل : الخلو من الحلية .

وأبقَى دولةَ الأعطافِ فينـا، وإن جارتْ على قلبى الطَّعِين
وأسبَغَ ظلَّ ذاك الشَّعْرِ منـه على قَـدٍّ به هَيَفُ الغُصُونِ
وصانَ حِجـابَ هاتيك الثَّنَايَا، وإنْ ثَنَتِ الفؤادَ إلى الشُّجُونِ
حَمَلْتُ تَسَهُّدِى والشَّيْبَ، هذا على رأسِى وذاكَ على عُيُونى

(٤) سراج الدين الوراق المصرى الكاتب الشاعر

المولود سنة ٦١٥ هـ المتوفى سنة ٦٩٥ هـ .

قال فى شكر الله على نعمائه :

إلٰهى لقـد جاوَزْتُ سبعين حِجةً فشُـكراً لنُعْماكَ آلتى ليس تُكْفَرُ!
وعُمِّرْتُ فى الإسلامِ فازددتُ بَهْجَةً ونُوراً لِذا قالوا : السِراجُ المُعَمَّـرُ (١)
وعمَّمَ نُورُ الشيبِ رَأْسى فَسَرَّنِى وما ساءَنى أنَّ السِراجَ مُنَـوَّرُ

وقال فى لوم النفس على المعصية :

يانَجْلَتِى وصحائِفِى سـود غَدَتْ وَصَحـائفُ الأَبْرَارِ فى إشْراقِ
ومُوَبِّخٌ لِى فى القيامَـةِ قال لِى : أَكَذَا تكُونُ صحـائفُ الوَرَّاقِ ؟ (٢)

وقال فى الترفع :

أَصُون أَدِيم وَجْهى عن أناسٍ لِقاءُ الموت عندهم الأَدِيبُ (٣)
وَربُّ الشِّـعْرِ عندَهم بَغِيضٌ ولو وَافَى به لهُمُ حَبِيبُ (٤)

---

(١) البهجة : الحسن .
(٢) الوراق : مورق الكتب . وهنا تورية ظاهرة .
(٣) الأديم : البشرة .
(٤) حبيب : اسم أبى تمام الشاعر المشهور، والحبيب : المحبوب، ففى الكلمة تورية .

وقال فى الحنين إلى الأحباب :

وَقفتُ بأَطْلالِ الأَحِبَّـــةِ سائلًا ... وَدَمْعِى يَسْقِى ثَمَّ عَهْدًا ومَعْهَـدا (١)

وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّى أُرَوِّى دِيارَهـــم ... وَحَظِّى منها حينَ أَسْأَلُها الصَّدَى (٢)

(٥) نصير الدين الحمامى المصرى المتوفى سنة ٧١٢ هـ

قال :

رأيتُ شَخْصًا آكِلًا كِرْشَـــةً ... وهو أَخو ذَوْقٍ، وفيـهِ فَطَنْ (٣)

وقال : ما زلتُ مُحِبًّا لَهَـا، ... قلتُ: من الإيمان حبُّ الوَطَن!

وقال فى داره :

ودارِ خَرَابٍ بهـا قد نزلتُ ... ولكنْ نزلتُ الى السابِعَـهْ (٤)

طريقٌ من الطُّرقِ مسلوكَةٌ ... مَحَجَّتُهَـا للورَى شاسِـعَه (٥)

فلا فَرْقَ ما بَيْنَ أَنِّى أَكُونُ ... بها ، أو أكونُ على القارِعَه (٦)

تُساوِرُها هَفَواتُ النسـيم ... فتُصْغِى بلا أُذُنٍ سامعـه (٧)

وأَخْشَى بها أَنْ أُقيمَ الصلاةَ ... فَتَسْجُدَ حيطانُها الرَّاكِعَه

إذا ما قرأتُ: "إذا زلزلتْ" ... خشيتُ بأن تقرأ: "الواقعة"

---

(١) العهد والمعهد : المنزل الذى لا يزال القوم إذا انتأوا عنه رجعوا اليه .

(٢) الصدى : الذى يجيبك بمثل صوتك فى الجبال وغيرها ، والصدى أيضا : العطش .

(٣) الفطن : الفطنة .

(٤) نزلت (الأولى) : حللتُ . ونزلت (الثانية) : هَوَيت وسقطت ، والسابعة : أى الأرض السابعة .

(٥) المحجة : جادة الطريق . شاسعة : بعيدة .

(٦) قارعة الطريق : أعلاه . وقارعة الدار : ساحتها ، والمراد هنا قارعة الطريق .

(٧) تساورها : توائبها .

(٦) عُمر بن الوردى (١)

قال فى مدح شهاب الدين بن فضل الله :

أأقتلُ بين جِدِّكَ والمِزاحِ ... بِنَبْلِ جُفُونِكَ المَرْضَى الصِّحاحِ (٢)

يكدِّرُنى نَواكَ ، وأنتَ صافٍ ... ويُسْكِرنى هواكَ ، وأنتَ صاحى

وأبكى للغرامِ ، وأنت لاهٍ ... وأعْذُرُ فى الأُوامِ ، وأنت لاحى (٣)

فما لِسَراحِ دمعى من إسارٍ ... وما لإسارِ وجْدى من سَراحِ (٤)

وما لصَباحِ وجهِكَ من مَساءٍ ... وما لِمَساءِ شَعْرِكَ من صباحِ

رضاكَ الى رُضابِكَ لى دليلٌ ... أليسَ كلاهما رُوحى وراحى؟ (٥)

ولى لحظٌ يطيرُ إليكَ شَوْقا ... فها قد طار مبلولَ الجَناحِ!

ووجهُك فوق قدِّك عَرَّفانى ... بإثْمارِ البُدور من الرِّماحِ (٦)

لقد أصبحتُ من سِرِّى ودمْعِى ... لَقًى بين ٱستتار وٱفتضاحِ (٧)

يَحِقُّ لمن لَحَانى فيكَ ذمِّى ... وحَقّ لكاتب السِّرِّ ٱمتداحى (٨)

ولستُ سوى ٱبنِ فضلِ اللهِ أعنى ... شهابَ الدين ذى الغُرَرِ المِلاحِ

---

(١) ولد بالمعرة سنة ٦٨٩ هـ ومات بحلب سنة ٧٤٩ هـ ، وكان شاعرا نحويا فقيها مؤرخا قاضيا

(٢) المرضى : الفواتر الناعسات والصحاح الجميلات ليس فيها مرض . وبين اللفظين : طباق .

(٣) الأوام : العطش ودوار الرأس .

(٤) أى فما لدمعى ما يوقف سيله ؛ وليس ما يخلصنى من الوجد .

(٥) الرضاب : الريق . والراح : الخمر .

(٦) الرماح : القدود .

(٧) اللقى : المطروح من الشىء .

(٨) لحانى ، عابنى ولامنى .

له قلمٌ بفضلِ اللهِ يَحيا ... لنا يحيَى به بعدَ ٱنتزاح

فما أدرِى أنقشًا فوق طِرْس ... يُطَرِّزُ أم مَسَاءً فى صباح؟

أَشَدُّ من ٱلقَضاءِ مَضَاءَ أمرٍ ... وأجرَى فى الخُطُوبِ من ٱلرياحِ

* * *

فخذْها بنتَ ليلتها عَرُوسًا ... تُزَفُّ اليك كالخَوْدِ الرَّدَاح (١)

وما أنا شاعرٌ حاشا علومى ... ولستُ أرَى التكسبَ بٱمتداح

فلى من أَنْعُمِ الرحمن مالٌ ... يصونُ عن ٱحتياجٍ وٱجتياح

ولم أقصِدْ بمدحِكَ غيرَ رَدٍّ ... أروضُ به الزمانَ عن الجِماح

وكتب الى القاضى جمال الدين يوسف معاتبًا له على قصد الرحلة :

عَلَامَ أردْتَ تهجُرُنى علاما ... وتُوقِظُ بالنَّوى إِبِلًا نِياما؟

لعلَّكَ يا جَلِيدَ القلب تَبْغِى ... رحيلًا يُورِث الدمعَ ٱنسجاما (٢)

فهل لاقيتَ فى حَلَبٍ هُمُومًا ... فَتُزْمِعَ عن نواحِيها ٱهتماما؟

فلا تأخذْ دِمَشْقَ لها بَديلًا ... أَغَيظًا ذاك منك أمِ ٱنتقاما؟

وإن تَكُ بالتفرُّقِ لا تُبالى ... فهذا يمنعُ العينَ ٱلمناما

وإن تَرْحَلْ لنَيْلِ غِنًى فَسَهْلٌ ... غِناك هنا إذا أمسكتَ عاما

وإن ترحلْ تريدُ تمامَ جاهٍ ... فَمَهْ ؛ إنى أحذِّرُك التَّماما

وإن ترحلْ رجاءً لٱشتهار ... فكم من شُهْرَة تُوهِى ٱلعِظاما

أَقِمْ فى الأهلِ فى رَغَدٍ وطِيب ... بأَمْرِى ، وٱغتنمْ ذاك ٱغتناما

---

(١) الرداح : البدينة . والخود : الفتاة الغضة .

(٢) القلب الجليد : الغليظ الشديد . وانسجام الدامع : انصبابه .

(٧) صفى الدين الحلّى (١)

من مُلَحه :

إنّما الحَيْزَبُون والدَّرْدَبِيس ... والطَّخَا والنُّقَاخ والعَلْطَبِيس (٢)

لُغَةٌ تَنْفِر المَسامعُ منها ... حِين تُرْوَى وتَشْمَئِزُّ النفوس

وقبيحٌ أن يُذكرَ النافرُ الوَحْـ ... ـشِيُّ منها ويُتْرَك المأْنُوس (٣)

أينَ قولي : هذا كَثِيبٌ قديمٌ ... ومَقالي عَقَنْقَلٌ قُدْمُوس (٤)

خَلِّ للأَصْمَعِيِّ جَوْبَ الفيافي ... فى نِشَافٍ تَخِفّ فيه الرءُوس (٥)

إنما هذه القلوبُ حديدٌ ... ولَذِيذُ الألفاظِ مغْناطِيس

وقال يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون عند كسر الخليج :

خَلَع الربيعُ على غُصون البانِ ... حُلَلًا فواضِلُها على الكُثْبان (٦)

ونَمَتْ فروعُ الدَّوْح حتى ضَاحكَتْ ... كَفَلَ الكثيب ذوائبُ الأغصانِ (٧)

---

(١) هو عبد العزيز بن على شاعر الجزيرة نشأ بالحلة من مدن الفرات ، وتأدب وأجاد الشعر وخدم ملوك الدولة الأرتقية . وزار مصر ومدح السلطان الناصر بن قلاوون . وتوفى ببغداد سنة ٧٥٠ هـ .

(٢) الحيزبون : العجوز أو التى لا خير فيها . الدردبيس : العجوز الفانية والداهية . والطخاء : السحاب المرتفع . النقاخ : الماء البارد العذب الصافى . العلطبيس : الأملس البراق .

(٣) الوحشىّ من الألفاظ : الغريب غير المألوف .

(٤) العقنقل : الكثيب المتراكم . قدموس : قديم .

(٥) الفيافى : مفردها فيفاء ، وهى المفازة لاماء فيها . جوب الفيافى : قطعها . ونشاف : جمع نشفة مثلثة النون ، وهى حجارة الحرة . وهى سود كأنها محترقة .

(٦) الكثبان : جمع كثيب ، وهو التل من الرمل .

(٧) الكفل بفتحتين : العجز .

وتتوّجتْ هامُ الغصُون ، وضرَّجتْ خَدَّ الرياض شقائقُ النُّعْمَانِ
وتنوَّعتْ بُسُط الرّياض ؛ فزَهْرُها متبايِنُ ٱلأشكال وٱلألوانِ :
من أبيضٍ يقَقٍ ، وأصفَرَ فاقع ، أو أزرقٍ صاف ، وأحمَرَ قانِي
والظلُّ يَسْرِق فى الخمائلِ خَطْوَه والغُصْن يَخْطِر خِطْرةَ النّشْوان (١)
وكأنما الأغصانُ سوقُ رَوَاقص قدْ قُيِّدَتْ بسَلاسِل ٱلرَّيْحَانِ (٢)
والشمسُ تَنظُرُ من خلال فروعها نحوَ ٱلحدائق نِظْرَةَ الغَيْرَانِ (٣)
والطَّلْعُ فى خَلَلِ ٱلْكِمَام كأنه حُلَلٌ تَفَتَّقُ عن نُحورِ غوَانِى (٤)
والأرضُ تعجَب كيف تَضْحك ، والحَيَا يَبْكِى بدمعٍ دائمِ ٱلهَمَلَان (٥)
فٱصرفْ همومَك بالربيع وفصْلِه ؛ إن الربيعَ هو الشبابُ الثانى
أنَّى ؟ وقدْ صَفَتِ المِياه وزُخْرِفتْ جناتُ مِصرَ ، وأشْرقَ الهَرمَانِ ،
وٱخْضرَّ واديهَا ، وحَدَّق زهرُه وٱلنيلُ فيه ككوْثَرٍ بجِنَانِ
وبه الجَوارى المُنشَآتُ ، كأنَّها عندَ المَسِير تَهُمّ بالطيرَان
والماء يُسْرِع فى ٱلتدَفُّق كُلَّمَا عَجِلَتْ عليه يَدُ النَّسيم الوَانى (٦)

---

(١) الخمائل : جمع خميلة ، وهى رملة تنبت الشجر . يخطر : يتمايل . النشوان : السكران .

(٢) سوق رواقص مفرد السوق : ساق ، وهى : ما بين الركبة والقدم .

(٣) الغيران : شديد الغيرة .

(٤) الطلع : طلع النخلة . والخلل بفتحتين : الفرجة بين الشيئين والجمع خلال ، والكمام : وعاء الطلع . الغوانى : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن الحلى .

(٥) الحيا : المطر . والهملان : الجريان .

(٦) الوانى : الضعيف

حتى إذَا كُسِرَ الخليجُ وقُسِّمتْ ... أمـواهُ لُجَّتِـهِ عـلَى الخُلْجَانْ

ساوَى البـلادَ كما تُساوِى فى ٱلنـدَى ... بين الأنام مَواهبُ السـلطان

مَلِك إذا ٱكتحلَ المـلوكُ بنُـوره ... خَـرُّوا لهيبتـه إلى الأذقان (١)

قـد عَزَّ دِينُ محمد بسَـمِيِّهِ ... وسَمَا بنُصْـرتِه عـلى الأدْيَان

شاهـدتُه فشَهِدتُ لُقمانَ ٱلحِجَا ... ونظرْتُ كِسْرَى ٱلعـدْلِ فى الإيوَان (٢)

ورأيتُ منـه سَماحةً وفصاحةً ... أعْـدَى بفيْضِهما يَـدِى ولسانِى (٣)

وقال يهنئ المؤيد بالقدوم من الصيد :

مرحبًا بالحَيَا لكلِّ جديب ... لا عَدِمْنا نوالَه وظِـلالَهْ (٤)

مَلك الجُود والثنا والمعالى ... والسجيات كلها والأَصالهْ

رُقِمَتْ حُـلَّةُ ٱلرياض فخِلْنا ... أنّ روْضًا قد ٱستعار خِلالَهْ

وٱبتغَى ٱلأفْقَ للعـلا فحسِبْنا ... أنه يُنْعِـلُ الجوادَ هِـلالهْ (٥)

جاء من صيْده السعيد كبدْر ... ما رَأى الطَّرْفُ فى السَّناء مِثالَهْ (٦)

كم غزالٍ رَمَى ؛ فلوْ أمَّنَ الشمْـ ... ـسَ من الخوْف ماتسمَّتْ غَزَالَهْ (٧)

ولَعمرى لو ٱستجار به ٱلوحْـ ... ـشُ ثَنَى ـ بعدما ٱستقلَّتْ ـ نِبَالَهْ (٨)

أيَّـد اللهُ ملكَه ووقاه ... وحمَى سرْبه وصان جَلالَه (٩)

---

(١) الأذقان : مفرده ذقن ، وهى فى الإنسان مجمع لحييه .

(٢) الحجا : العقل ، يريد لقمان الحكيم .

(٣) أعدى : من العدوى ، يريد أكسب يده سماحة ولسانه فصاحة مثل سماحة الملك الممدوح وفصاحته .

(٤) الحيا : المطر . النوال : العطاء .

(٥) ينعل الجواد هلاله : يجعل الهلال نعلا للجواد :

(٦) السناء : الرفعة .

(٧) الغزالة : اسم من أسماء الشمس ، والمعنى أن الملك كلف بصيد الغزلان ، فلو أراد ألا يجعل الشمس مما يصطاد ، لما كان من أسمائها : الغزالة .

(٨) ثنى : أرجع . واستقلت : يريد فارقت القوس .

(٩) حمى الله سربه : حفظ نفسه .

وقال يحرّض الأمير نورالدين على ملتقى المغول وحربهم عند ما أغاروا على ماردين:

أَمِنْ حَجَرٍ فـؤادُك أَم حديدُ ... فَفيه على الوغَى بأسٌ شـديدُ (١)

وأَطـوادٌ حُلومُكَ أم جِبـالٌ ... تَميـد الراسـياتُ ، ولا تميـدُ (٢)

لأنكَ كلّمـا حاولْتَ أمرًا ... يُصَوِّبُ فِعْلَك الرأْىُ السـديدُ

طلَعْتَ على العُداة، وأنتَ شمسٌ ... فذَابَ بحـرّ موقِعِها الجليـدُ

أَغَرْتَ على حِمـاهُم غيرَ عادٍ ... ولاقَوْا منكَ ما لا قتْ ثمـودُ (٣)

بجيشٍ ترجُفُ الرَّايـاتُ فيـه ... وتخفـق دونَ مَقْدَمِهِ البُنـودُ

وتهـتزُّ الذوابلُ فيـه عُجْبـا ... كما اهتزَّتْ من المَرَحِ القُـدودُ (٤)

عَجِلْتَ الى قراعِهِـم بعـزمٍ ... به يَدْنو لك الأَمَـدُ البعيـد

وكم وَانٍ يَعُـدُّ العجزَ حِلْمًـا ... فينـدَمُ ؛ والنَّدامَة لا تُفيـدُ (٥)

ومَنْ يَرَ ما يُريدُ وكَفَّ جُبْنًـا ... رأَى مِنْ بَعْـده ما لا يُريدُ

---

(١) الوغى : الحرب . والبأس : القوة .

(٢) الطود : الجبل . حلوم : مفرده حلم بالكسر وهو الأناة والعقل . تميد الراسيات : تضطرب الجبال الشامخة الثابتة .

(٣) عاد : معتد ظالم . وفى الكلمة إشارة إلى (عاد) المذكورين فى القرآن الكريم وهم قوم هود الذين أهلكوا لما عصوه . وثمود قوم سيدنا صالح الذين عصوه فأخذتهم الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين .

(٤) الذوابل : الرماح الرقيقة اللاصقة بالجلد . المرح : شدة الفرح مع الإعجاب بالنفس .

(٥) وان : ضعيف . حلما : أناة وعقلا .

وقال فى فرس أدهم محجل :

ولقد أروح الى القنيص وأغتدى ... فى متن أدهم كالظلام محجل
رام الصباح من الدجى استنقاذه ... جسدا، فلم يظفر بغير الأرجل (١)
فكأنه صبغ الشبيبة هابه ... وخط المشيب، فجاءه من أسفل

وقال فى وصف عود طرب :

وعود به عاد السرور لأنه ... حوى اللهو قدما وهو ريان ناعم
يغرب فى تغريده فكأنه ... يعيد لنا ما لقنته الحمائم

(٨) جمال الدين بن نباتة المصرى (٢)

قال يرثى ولدا له مات صغيرا :

الله جارك إن دمعى جارى ... يا موحش الأوطان والأوطار (٣)
لما سكنت من الترابِ حديقةً ... فاضت عليك العين بالأنهار
شتان ما حالى وحالك : أنت فى ... غرف الجنان، ومهجتى فى النار
خف النجا بك يا بنى إلى السرى ... فسبقتنى، وثقلت بالأوزار (٤)

---

(١) رام الصباح من الدجى استنقاذه : أى طلب الصباح أن ينقذه فلم يفز بغير الأرجل ، وتفسير ذلك أن الفرس أسود الجسم (أدهم) أبيض الأرجل (محجل) فالصباح له تلك الأرجل البيض ، فى حين أن الليل له سائر الجسد الأسود .

(٢) هو جمال الدين أبو بكر ولد بمصر وتوفى بها سنة ٧٦٨ هـ . ويظهر فى شعره ذوق سليم ورقة ممتازة . وهو فى هذه القصيدة يعارض أبا الحسن التهامى فى قصيدته التى رثى بها ولدا له مات صغيرا كذلك وهى من البحر والقافية ، وقد تقدمت لك فى هذا الجزء .

(٣) الأوطار : جمع وطر ، الحاجة تهتم لها وتعنى بها

(٤) النجا : مقصور النجاء ، وهو السرعة .

ليتَ الردَى إذْ لم يَدَعْكَ أَهابَ بى ؛ حتى نَدُومَ معًا على مِضمارِ (١)

ليتَ القضَا الجارِى تَمهَّلَ وِرْدُهُ ؛ حتى حَسَبْتُ عواقِبَ الإصْدارِ

ما كُنْتَ إلَّا مِثْلَ لمحَةِ بارقٍ ولَّى . وأَغْرَى الجفْنَ بالإمطارِ

أَبكيكَ ما بَكَتِ الحمامُ هَدِيلَها وأَحِنُّ ما حَنَّتْ إلى الأَوْكارِ (٢)

أبكى بُحُمَّرِ الدموعِ ؛ وإنما تَبْكِى العيونُ نظيرَها بنُضَارِ

قالوا : صغيرٌ! قلتُ : إنّ! وربما كانتْ به الحَسَرَاتُ غيرَ صِغارِ (٣)

وأحقّ بالأَحزان ماضٍ لم يُسِئْ بِيَدٍ ولا لِسْنٍ ولا إضمارِ (٤)

نَائى اللِّقَا ، وحِمَاه أقربُ مَطْرَحاً يا بُعْدَ مجتمعٍ وقربَ مزارِ !

لَهَفِى لغُصنٍ راقنى بنباته لو أمهلتْه التربُ للإثمارِ

لهفى لجوهرةٍ خفَتْ ؛ فكأننى حَجَّبتُها من أدمعى بحارِ

لهفى لسارٍ حارَ فيه تجلدى وَاحيرتى بالكوكب السيارِ!

سكن الثَّرى ؛ فكأنه سكن الحشا من فرْطِ ما شُغِلَتْ به أفكارى

أَعزِزْ علىّ بأنّ ضَيْفَ مسامعى لم يحظَ من ذاك اللسان بقارى ! (٥)

أعزز علىّ بأن رحلتَ ولم تَخُضْ أَقدامُ فكرِكَ أَبْحُرَ الأَشعارِ

أَعزز علىّ بأن نُثِرْتَ على الثَّرى وعليك من دمعى كُدَرِّ نِثارِ (٦)

---

(١) أهاب بى : دعانى .

(٢) الهديل هنا : أب للحمام زعموا أنه هلك فى القدم فهى تبكيه .

(٣) إن : أى نعم .

(٤) اللسن بكسر اللام : اللسان .

(٥) أعزز على : أى ما أعز ذلك على وما أصعبه . وقارى : من القرى وهو ما يقدم للضيف الطعام ، أو من القراءة ففى الكلمة تورية .

(٦) نثار : أى منثور .

أبنيَّ، إنْ تُكْسَ التراب فإنه غاياتُ أجمعنا، وليس بعار
ما فى زمانك ما يَسُرُّ مؤمِّلًا فاذهبْ كما ذهب الخيالُ السارى
لو أنّ أخْبارى لديك توصلتْ لبكيتَ فى الجنّاتِ من أخبارى
أحزانُ مذكِرٍ، وسَلْوةُ مُفْرِدٍ، ومُقامُ مَضْيَعَةٍ، وذُلُّ جِوارِ
أبُنَيَّ، إنّى قد كَتَرْتُكَ فى الثَّرَى فانفع أباكَ بساعة الإقتار (١)
أبنيَّ، قد وقفتْ علىّ حوادثٌ فوقفنَ من طَلَلٍ على آثارِ
ومَضَى البياضُ من الحياة وطيبها لكنها أبقتْه فوق عِذارى (٢)
نَمْ وادِعًا، فلقد تقرَّح ناظِرِى سهرًا، ونامتْ أعينُ السُّمّارِ
أرعَى الدُّجَى وكأنّ ذيلَ ظلامِهِ مُتَشَبِّثٌ بالنّجْم فى مِسْمارِ
خَلَعَ الصباحُ على المجَرَّةِ سَجْفَه أم قُسِّمَتْ شمسُ النهارِ دَرارى ؟ (٣)
تبًّا لعادِيَةِ الزمانِ على الفَتَى، فلقد حذِرْتُ وما أفاد حِذارى
وحويتُ دينارًا بوجهك فانتحى صَرْفُ الزمانِ، فراحَ بالدينارِ (٤)

وقال يمدح السلطان الأفضل ويعزيه فى والده المؤيد :

هَنَاءٌ محا ذاك العَزاءَ المقدّمَا فما عبَسَ المحزونُ حتى تبسما
ثغورُ ابتسامٍ فى ثغورِ مدامعٍ شبيهانِ لا يمتازُ ذو السبقِ منهما

---

(١) لعله يريد بساعة الاقتار يوم الحساب ، أى الاقتار من الحسنات ، وأن طفله سيكون له فى ذلك اليوم ذخرا .

(٢) يشير الى مشيبه . والعذار : الشعر المحاذى للاذن .

(٣) المجرة : منطقة فى السماء ذات نجوم كثيرة لا يميزها البصر ، فترى كرقعة بيضاء . والسجف : الستر . والدرارى : النجوم . والمعنى : هل خلع الصباح بياضه على المجرة ، فهو ما تراه من بياضها ، ولا صباح بعد ذلك ، أم أن الشمس تناثرت نجوما ، هى التى أراها . وعلى ذلك لا تطلع الشمس ؟

(٤) يشبه وجه ابنه بالدينار بهجة وصفاء .

تفيضُ مجارى الدمع والبِشرُ واضحٌ ... كَوابِلِ غَيْثٍ فى ضُحَا الشمس قد هَمى

سقى الغيثُ عنا تربةَ الملكِ الذى ... تدانَتْ له الدُّنيا وعزَّ به الحِمَى

مليكان : هذا قد هوى لضريحِهِ ... برَغْمِى ، وهـذا للا سِرَّةِ قد سما

ودوحةَ ملكٍ شاذوِىٍّ تكافأت ... فغصنٌ ذوى منها ، وآخرُ قد نما[1]

فقدنا لأعناقِ البريةِ مالكا ... وشِمنا لأنواعِ الجميلِ مُتَمِّمَا

إذا الأفضل المَلْك اعتبرتَ مَقامه ... وجدتَ زمانَ المُلْكِ قد عاد مثلما

أعاد معانى البيتِ حتى حسبتُه ... بوزنِ الثنا والحمد بيتا منظما[2]

وناداهُ مُلْكٌ قد تقادَمَ إرثُهُ ... فقام كما تَرْضى العُلا وتقدَّما

تُقَابِل منه مقلةَ الدَّهرِ سُؤْدَدًا ... صميمًا ، وتنضُو الرأى عَضْبًا مُصمِّمَا

ويقسِم فينا كل سهمٍ من الندَى ... ويبعث للا عداءِ فى الروعِ أسهما[3]

كأنَّ دِيارَ المُلكِ غابٌ إذا انقضَى ... به ضيغم أنشا به الدهر ضيغما[4]

كأن عماد البيتِ غيرُ مقوضٍ ... وقد قمت يا أزكى الأنامِ وأحزما

نهضتَ فما قلنا : سيادةُ معشرٍ ... تداعَتْ ، ولا بنيانُ قومٍ تهدَّما

أما والذى أعطاك ما أنتَ أهلُهُ ... لقد شاد من عليَاكَ ركْنًا مُعَظَّما

وقد انشَرَ الإسلامَ بالخلَفِ الذى ... تمكَّن فى عليائِهِ وتحكَّما

فإن يكُ مِنْ أيوبَ نجمٌ قد انقضَى ... فقد أطلعتْ أوصافُك الغرُّ أنجما

وإن تكُ أوقات المؤيد قد خَلَت ... فقد جدَّدَتْ عليك وقتًا ومَوْسِمَا

عليه سلامُ الله ما ذرَّ شارق ... (ورحمتُهُ ما شاء أن يترحما)[5]

---

(١) شاذوى : نسبة الى يوسف بن أيوب بن شاذى ، وهو السلطان صلاح الدين الأيوبى .

(٢) البيت : أى بيت الملك .

(٣) سهم من الندى : أى نصيب .

(٤) الضيغم : الأسد .

(٥) ذر : طلع ، والشارق الشمس .

وقال فى الناصر حسن وقد أمره أن ينسخ له ديوانه :

أحبابَنا دارُكمْ والعيشُ نَعْمانُ ... والسَّفْحُ دَمْعِى ، ودارُ القلْبِ حَرَّانُ (١)

أشكو اشتياقًا ، وما بالوصْل من قدَمٍ ... كأنَّ وصْلى لفَرْطِ الحُبِّ هِجرانُ

ورُبَّما رُمْتُ أن أشكو السُّهاد إلى ... عَذْل المنام ، وقلتُ : النومُ سُلْطانُ

يا أيها الناصرُ السلطانُ لا غَمَضتْ ... عينٌ لها عن سَنى مَرْآكَ سُلْوانُ (٢)

كم فى ملوكِ الورَى فضلٌ ومعرفةٌ ... كانوا ، ومثلَكَ فى ذا النحْوِ ما كانوا

إن يمضِ كِسْرَى فكم إيوانِ مَعْدَلةٍ ... لديكَ قد زانه يُمْنٌ وإيمانُ

أمَّرْتَ شِعْرِى يا خيرَ الملوكِ على ... أشعارِ قومٍ ؛ فلى أمْرٌ وديوانُ

(٩) محيى الدين بن قرناص الحموى

قال يصف روضا :

سَقْيا له رَوضا قُدودُ غصُونِهِ ... تختَال فى الأبْراد من أوْراقِها (٣)

جُنَّتْ بهِ وُرْقُ الحَمامِ صَبابةً ... أوَ ما ترى الأغْلال فى أعْناقِها؟ (٤)

---

(١) العيش : الحياة . نعمان بالفتح : واد فى طريق الطائف يخرج الى عرفات ، يقال له نعمان الأراك . ونعمان أيضا : صفة مشبهة من الفعل نعم ينعم أى صار ناعما لينا . حران : بلد بشمالى الشام .

(٢) السنى : ضوء البرق .

(٣) قدود غصونه : قامات فروعه . تختال : تعجب بنفسها مرحا ، الأبراد : الثياب ، ومفردها برد .

(٤) ورق الحمام : جمع أورق و ورقاء . والحمامة الورقاء : التى لونها كلون الرماد . الصبابة : رقة الشوق وحرارته . الأغلال : مفرده غل وهو طوق من حديد يجعل فى العنق لأن المجنون كان يوضع فى أغلال ، شبه أطواق الحمام بأطواق الأغلال من الحديد .

وقال أيضا :

قدْ أَتيْنا الرياضَ لمَّا تجلَّتْ ... وتحلَّتْ منَ النَّدى بجُمَانِ (١)

ورأَيْنا خواتِمَ الزَّهْرِ لمَّا ... سقَطتْ من أناملِ الأغصَان

وقال يصف نهرا :

ورُبَّ نهرٍ لهُ عيونُ ... تَحَارُ فى وَصْفه العيُون

لمَّا غدَا الريقُ منه عَذْبا ... مَالتْ إلى رَشْفه الغُصُونُ (٢)

(١٠) على بن محمود المبارك (٣)

قال يذم دار سكناه :

دارٌ سكنتُ بها أقلُّ صِفاتها ... أن تكثُرَ الحشراتُ فى جَنَباتها

الخيرُ عنها نازِحٌ متباعدٌ ... والشُّر دانٍ مِن جميعِ جهاتها

مِن بعضِ ما فيها البعوضُ عدِمته ... كم أعدمَ الأجفانَ طيبُ سباتها

وتبيتُ تُسعِدها براغِيثٌ متى ... غنَّت لها رَقَصَتْ على نغماتها (٤)

رقص بتنغيصٍ ولكن قافه ... قد قدمت فيه على أخواتها

وبها ذُبابٌ كالضَّبابِ يسدُّ عين الشمسِ ماطَرَبى سِوَى غُنَّاتها

أين الصوارمُ والقَنَا من فَتْكِها ... فينا وأينَ الأَسْدُ من وَثَباتها ؟

---

(١) الجمان : قطع من الفضة على هيئة اللالى .

(٢) الرشف : المص .

(٣) هو على بن محمود المبارك كمال الدين بن الأعمى الشاعر المتوفى سنة ٦٩٢ هـ .

(٤) تسعدها : تعاونها .

وبها خفافيشٌ تطـيرُ نهارَها مع لَيْلِها ليست على عاداتها
شوكاتها فاقتْ على سُمْـرِ القنـا فاعجَبْ لِشـدة فتـكِها وثباتها
وبها من الجُرذانِ ما قد قصَّرتْ عنه العِتـاق الجُرْدُ فِي حَمـلاتها[1]
ولهـا زنابير تُظَنّ عقاربا لا برءَ للمسـمومِ من لدغاتها
ولهـا عقاربُ كالأقاربِ رُتَّعٌ فينـا حمـانا الله لدغ حُمَاتها[2]

(١١) ابن سعيد المغربى[3]

قال يصف الجيزة :

إن للجيزةِ فى قلبى هوى لم يكن عِندىَ لِلوجه الجميل
يرقصُ المـاء بها مِن طربٍ ويميل الغصن لِلظل الظلِيل
وتود الشمس لو باتت بها فلذا تصفر فِي وقتِ الأصِيل

(١٢) محمد بن سليم المصرى[4]

كتب إلى السَّرَّاج الورَّاق فى حمار له سقط فى بئر فمات :

يَفْدِيكَ جَحْشُك إذ مَضَى مُتَرَدِّيا وبتالِدٍ يُفْدى الأديبُ وطارِف
عدِم الشعِير فـلم يجِده ولا رأى تبنـا وراح مِن الظما كالتالِف
ورأى البـؤيرة غير خافٍ ماؤها فرمى حشاشـة نفسهِ لِمخاوِف
قوم يموت حِمارهم عَطَشًا لقـد أزروا بحـاتم فى الزمانِ السالف

---

(١) العتاق : الخيل . والجرد : جمع أجرد وهو السباق منها .
(٢) الحمات : جمع حمة ، وهى إبرة العقرب التى تضرب بها .
(٣) توفى سنة ٦٧٣ هـ .
(٤) هو محمد بن محمد بن على بن محمد بن سليم المصرى المتوفى سنة ٧٠٧ هـ .

(١٣) ابن الجنان[١]

قال يصف روضا على نهر :

ودوحٍ بدتْ معجزاتٌ له ... تبينُ عليه وتدعو إليه
جرى النهرُ حتى سقى غصنَه ... فمال يقبِّل شكرا يَدَيْه
وكفُّ الصَّبا صنعت حَلْيَه ... فأضحى الحمامُ ينادِى عليه
كساه الأصيلُ ثيابَ الضَّنَى ... فحلَّ طبيبُ الدياجى لديه
وجاء النسيمُ له عائدا ... فقام له لاثِماً مِعطفيه

(١٤) محمد بن الحسين[٢]

قال فى نوح الحمام :

ولقد رأيت على الأراكِ حمامةً ... تبكى فتُسعِدُنى على أحزانِى[٣]
تبكى على غُصْنٍ وأندُبُ قامةً ... فجميعُنا يبكى على الأغصان
صَرَعَ الزمانُ وحيدَها فتعلَّلتْ ... من بعده بالنوحِ والأحزان
تخشَى من الأوتارِ وهى مَرُوعَةٌ ... منها ، فلِمْ غَنَّتْ علَى العيدان؟

---

(١) توفى سنة ٦٧٥ هـ .

(٢) هو الشاعر النديم ، صاحب الموصل ، توفى سنة ٦٥٨ هـ

(٣) الأراك : شجر يستاك به .

(١٥) محمد بن الحسن الصائغ العروضى[١]

قال يتشوق — وهو بمصر — إلى دمشق :

لى نحو ربعِك دائما يا جِلّقُ شوقٌ أكادُ به جوًى أتمزقُ
وهمولُ دمع مِن جوًى بأضالعٍ ذا مُغرِقٌ عينى وهذا محرِقُ[٢]
أشتاقُ مِنك منازلا لم أنسَها إنّى وقلبى فى رُبُوعِك موثقُ

(١٦) ابن دقيق العيد[٣]

قال يتمنى الجمع بين الشباب والشيب :

تمنيت أن الشيب عاجل لِمّتى وقَرَّبَ مِنى فى صِباى مَزَارَه
فآخُذ مِن عَصْرِ الشَّبابِ نشاطَه وآخُذُ من عصْرِ المشيبِ وقَارَه

وقال فى الشكوى :

لعمرِى لقد قاسيت بالفقرِ شِدَّةً وقعتُ بها فى حَيْرةٍ وشَتَاتِ
فإنْ بحتُ بالشَّكوى هتكتُ مُرُوءتِى وإنْ لم أَبُح بالصَّبرِ خفتُ مَمَاتِى
وأَعظِمْ بِهِ مِنْ نازِلٍ بمُلِمَّةٍ يزِيلُ حيائِى أو يزِيلُ حياتِى

وقال فى بعض الوزراء :

مقبِلٌ مدبرٌ بعيدٌ قرِيبُ محسِنٌ مذنِبٌ عدوٌّ حبِيبُ
عجبٌ مِن عجائِب البرِّ والبحْـر ونوع فَرْدٌ وشكلٌ غرِيبُ

---

(١) توفى سنة ٧٢٢ هـ

(٢) الجوى : شدة الوجد .

(٣) هو محمد بن على بن وهب الامام أبو الفتح بن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢ هـ

(١٧) مجير الدين بن تميم

قال يصف روضاً :

بَعَثَ النسيمُ رسالةً بقُدومه ... للرَّوْض فهْوَ بقُرْبِه فَرْحانُ

ولِطيبِ ما قرأ الهَزَارُ بِشَدْوِهِ ... مضمُونَها مالتْ له الأغصانُ (١)

وقال فى وكيل بدار القاضى بدمشق :

لا تَقْرَبِ الشرْعَ إذا لم تكنْ ... تَخْبُرُهُ فَهْوَ دقيقٌ جليلْ

ووَكِّل العِزَّ الذى وَجْهُهُ ... على نجاحِ الأمْرِ أقوى دليلْ

ولا تَمِلْ عنه الى غيرِهِ ... وحسبنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلْ

وقال فى روضة :

أرْضٌ كساها القَطْرُ حُلَّةَ سُنْدُسٍ ... رُقِمَتْ لها طُرَرٌ من الغُدْرانِ (٣)

وَفْدُ النسيم أضاعَ نَشْرَ رياضِها ... فالوُرْقُ تَنْشُده بكلِّ مكانِ (٤)

وكتب إلى كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال بدمشق :

كمالَ الدين يا مَوْلاىَ يَا مَنْ ... يُعِزُّ البحرَ فى بَذْلِ النوالِ

أتيتُ لحاجة ، فاغنَمْ ثنائى ... عليك بها وشُكْرِى وابْتِهالى

---

(١) الهزار بفتح الهاء : طائر .

(٢) يخبره : يعلمه دقيق : أمر غامض .

(٣) القطر : المطر . والمعنى أن المطر كسا الأرض حلة خضراء من النبات ، رسمت لهذه الحلة طرر أى جوانب من الغدران ، أى المياه التى غادرها المطر .

(٤) أضاع : إما ضيعه أى أفقده ، وإما بثه فى الجو ، تقول : ضاع الطيب : انتشرت رائحته والنشر : الريح الطيبة . والورق : جمع ورقاء وهى الحمامة .

(٥) يعزه : يفوقه ويزيد عليه .

ولا تجعلْ سواكَ لها ، فإنّى عليــكَ بِنُجْحها وَقَعَ اتّكالى
أيَحْمُـل أن يَقُول الناسُ : إنّى أتيتُ لِحَاجةٍ لم تَقْضِها لى ؟
وأُصْبِحُ بينهـم مَثَـلًا لِأَنى أتانى النقْصُ من جِهَةِ الكَمالِ

وقال فى رثاء صديق له اسمه قطب الدين :

نأَيتم فلا قلبى عن الحـزْن مُقْصرٌ عليكم ولا جفنى يجِفُّ له غَرْب (١)
وأَفلاكُ لذّاتى تَعطّل سَـيرُها وهل فلكٌ يسرى إذا عدمَ القُطْبُ (٢)

وقال فى التشوق :

لا تبعثُـوا غيرَ الصّبـا بتحيةٍ مِن أرضكم ! فلها على جميل (٣)
خاضت دموعَ العاشقين وعَرّجت عنهم إلىّ وثوبهـا مبلول

وقال فى الغزل :

وعيرنى بالشـيبِ قوم أحِبهم فقلت وشأن العاشقين التجمّلُ :
بعثتم إلى رأسى المشيبَ بهجرِكم ومهما أتى منكمُ على الرأس يُحمل

وقال فى ليلة سكر :

وليـلةٍ بت أسقى فى غياهبهـا راحا تسل شبابى من يدِ الهرَمِ (٤)
مازِلت أشربُها حتى نظرتُ إلى غزالة الصُّبْحِ ترعَى نرجِسَ الظُّلَمِ (٥)

---

(١) مقصر : مقلع وكاف عن الحزن عليكم . والجفن : يريد العين . الغرب : انهلال الدمع من العين .
(٢) الفلك : واحد أفلاك النجوم . والقطب : كوكب بين الجدى والفرقدين يدور عليه الفلك .
(٣) الصبا : ريح تهب من مطلع الشمس . وهى ندية بليلة .
(٤) الغياهب : الظلمات . الراح : الخمر .
(٥) غزالة الصبح : الشمس . ونرجس الظلم : النجوم .

وقال يهجو :

لَمَّا جَسَسْتُكَ بالمديح ولَمْ أَكُنْ ... أَدرِى بِأَنك خاملٌ فى الناسِ (١)
ناديتُ لَمَّا أنْ جَسَسْتُكَ بالهِجا: ... أَكليبُ خُذْها منْ يَدَىْ جسَّاسِ!

وقال يمدح النرجس :

مُذْ لاحظَ المنثورُ طَرْفَ النَّرْجِسِ الـ ... ـمَزْوَرِّ قال ، وقولُه لا يُدْفَعُ : (٢)
فَتِّحْ عُيونك فى سِوَاىَ ؛ فإنَّنى ... عندِى قُبالَةَ كلِّ عينٍ إصْبَعُ

وقال فى روضة :

أيا حُسْنَها من روضةٍ ضاعَ نَشْرُها ... فنادتْ عليه فى الرياض طيورُ (٣)
ودُولابُها كانت تُعَدُّ ضلوعُه ... لكثرة ما يَبْكِى لها ويَدُورُ

وقال أيضا :

لِمَ لا أَميل إلى الرِّياض وحُسْنها ... وأَعيشُ منها تحت ظِلٍّ ضافى (٤)
والزَّهْرُ يلْقانِى بثَغْرٍ باسمٍ ... والماءُ يَلْقانى بقلْبٍ صافى

---

(١) الجس بالشىء : المس به ، كليب : لقب وائل سيد تغلب ، وهو تصغير كلب ، جساس بن مرة : سيد بكر وقاتل كليب ، وهو أيضا صيغة مبالغة من جس ففى كل من كليب وجساس تورية .

(٢) المنثور : المتفرق وهو وصف لنوع من الزهر . طرف النرجس : عينه . المزور : المنحرف . لا يدفع : لا يرد . قبالة الشىء : تجاهه .

(٣) ضاع نشرها : يعنى انتشرت رائحتها الطيبة . الدولاب : المنجنون التى تديره الدابة .

(٤) الظل الضافى : المتسع

(١٨) الشهاب الخفاجى[١]

قال يتغزل ويتطرق إلى مدح محمد بن القاسم الحلبى[٢] :

حَتَّامَ يَغْزُونى صُدودُهْ ... والصبرُ قد كثُرتْ جُنودُه[٣]

لم أدرِ فاترُ جَفْنِهِ ... والخَصْرُ أسْقمُ أم عُهودُه ؟[٤]

نَشْوانُ يَعبَثُ بى كما ... عَبِثَتْ بآمالى وُعُودُه[٥]

لَوْلَا مياهُ الحُسْن جا ... لتْ فيه لاحترقتْ خدُودُه

كالصَّبّ لولا دمعُهُ ... يَهْمى لأَحرقَهُ وُقُودُه[٦]

يُخفِى الهَوَى وعيونُه ... بغرامه المُضْنِي شُهودُه

فسَقَى رياضَ الحُسْن من ... دمْعِى حَيًا يَهْمى مَديدُه[٧]

زمنٌ بِجِيدِ اللّهْو قدْ ... نُظِمتْ على نَسَقٍ عُقودُه[٨]

إذْ دَوْح أُنسى يانعٌ ... بكئوسنا انفتحتْ وُرُودُه[٩]

والكأسُ نجمٌ لاحَ فى ... فَلَكِ المسَرَّة لِى سُعُودُه

---

(١) ولد فى سريا قوس وتعلم بمصر، ثم رحل الى الحرمين فالآستانة، وكان من رجال اللغة والأدب . توفى سنة ١٠٦٩ هـ .

(٢) أجابه محمد على هذه القصيدة بقصيدة تأتى فى ص ١٣٨

(٣) حتام أصلها (حتى ما) فحذفت ألف ما الاستفهامية لجرها بحتى . يغزونى يسير إلى قتالى وانتهابى. والصدود : الإعراض .

(٤) جفن فاتر : غير حادّ النظر . والخصر : وسط الإنسان . والعهود : المواعيد .

(٥) النشوان : السكران . و يعبث بى : يلعب بى .

(٦) الصب : المشتاق الذى يكابد حرارة الشوق . يهمى : يسيل . وقوده : اتقاده واشتعاله .

(٧) الحيا : المطر . المديد : الممدود المتصل .

(٨) نسق : نظام واحد .

(٩) لدوح : الأشجار العظيمة . والورود : جمع ورد .

يَصْفُو فيُحْلِي ذِكْرَ مَن ... قد زين الدّنيا وُجُودُه
ذاكَ ابنُ قاسِمِ الّذِى ... ما زَال فى تَعَب حَسُودُه

(١٩) السيد عبد الرحيم العباسى

قال يصف ضعفه :

أرْعَشَنِي الدهرُ أىَّ رعْشِ ... وكنتُ ذا قوةٍ وبَطْشِ
قد كنتُ أَمشِى ولستُ أعْيا ... فصرتُ أعيا ولستُ أَمشى

وقال يشكو من الأصدقاء :

مالى أرى أحبابَنا فى الناس ... صاروا كمثْلِ حَبَابِنا فى الكاس (١)
بينا يَرُوقُك عند أوّل نَظْرةٍ ... كاللُّؤلُؤ المتناسقِ الأجْناسِ
فإذا أعدْتَ الطرفَ فيهم لم تجِد ... شَيْئًا، وصار رَجَاؤُهم كاليَاسِ

وقال يصف الصداقة الحق :

لستُ عن وُدّ صديق سائلًا ... غيرَ قلبى فهو يَدْرِى وُدَّهُ
فكما أعلَمُ ما عندى لهُ ... فكذا أعلم مالى عنْدهُ

وقال فى لئيم ابتدأه بالتحية :

رأيتُ لئيمَ قومٍ فى ممَرّ ... وبين يديْه أشْخاصٌ لِئامُ
فسلّمَ مِنْ جهالتِهِ ابتداءً ... فقلتُ لهُ : متَى كَسَد السَّلامُ؟ (٢)

---

(١) الحباب : ما يرى على الماء من الفقاقيع ولا يلبث أن يفنى .
(٢) كسد السلام : لم ينفق ولم يرج ، يريد : متى امتنع ؟

وقال فى الحكمة :

حالُ المُقِلِّ ناطِقٌ عَمَّا خَفِى مِنْ عَيْبِهِ
فإن رَأيْت عاريًا فلا تَسَل عن ثوْبه

(٢٠) محمد بن القاسم الحلبى

قال يجيب الشهاب الخفاجى على قصيدته التى تقدمت [١] :

للظبى لفتته وجِيـــده والورد ما أبدت خدوده
والدر يزهـــو بالذى فى ثغره منـــه نضِيده[٢]
وبوجهه شرك العقو ل ، فأى عقل لايصِيده ! ؟[٣]
فى كل يومٍ للهـــوى من حسنِه معنًى يزيده
يستوقف الأبصـار حتى لا يسوغ لهـا وروده
ملِك تحكم فى الجمـا ل فنال منه ما يريده
ما زال يسطو فى الورى من فعـــل مقلته جنـوده
حتى ظننـــا أنه بالأجر آثره شهيـــده
يبـــدى الصـدود وكلمـا صانعته عنـــه يعيـده[٤]
أتراه يجحد ما لقيـــــت به وهل يغنى جحوده
وهـــو النهـار إذا بدا من نفسهِ قامت شهوده
كضيـاء مولانا "شِهـا ب" الفضل إذ طلعت سعوده
ما زال يسمو فى سمـا ء المجدِ زيَّنهـا وجوده ؟

---

(١) انظر ص ١٣٦ (٢) النضيد : المتسق المرصع (٣) الشرك : المصيدة
(٤) صانعته عنه : أى حاولت أن أرده عنه ، وأغريه بالوصل .

حتى تقطعتِ المطا ... مِع عنه واستعفى حسوده
وقّاد فِكرٍ ، أى خطـ ... ـبٍ ليس يُطفئه وُقوده[1]
كرمت له همم إلى ... غير العلا ليست تقوده
يزهو على جِيدِ الزما ... ن بما ينمقه فريده[2]
مِن كل سجع من مزا ... يا الحسنِ قد نظمت عقوده
وإذا ذكرت الشعر فهو كما سمعت به لَبيده[3]
قد كنت أجهد فى ابتغا ... ءِ لقاءِ أيام تُفيده
حتى وفَتْ لِي بالذى ... قد كان فى أملى وعوده
فلقيتُه البَحرَ الخضـ ... ـمَّ يفيضُ للعافين جُوده
متدفِّقًا بالفضْل تخشَى ... ان يُفرِّقها وُفُوده
مولاى ، عذرًا إنها ... من خاطِرٍ قد جفَّ عوده
بعدَتْ بقولِ الشِّعرِ فى ... عَهْدِ الصِّبا حِينًا عهوده
لبى دُعاك ، وأىُّ مو ... لًى لا تُلَبيه عبيدُه ؟
ما ضرَّه عيدٌ نأى ... ما دَامَ مِنْ لقياك عيده

(٢١) أحمد بن على العلقمى

قال يتمدح :

بأبصارِنا وجهك المذهب ... يكاد سَنَى برقِهِ يذهب
وأشواقنا فيك لا تنقضِى ... وشمسُ جمالك لا تغرب

---

(١) وقوده : اتقاده .

(٢) الفريد : صغار اللؤلؤ تفصل بين العقد المنظوم من اللؤلؤ والذهب ، ويريد الشاعر أن ما يكتبه الممدوح من نثر وشعر يكون كالعقد المفصل فى جيد الزمن .

(٣) لبيد : شاعر جاهلى وأحد أصحاب المعلقات .

وحبك فِي المـاءِ مستودع واشربه كل من يشرب
وفى كل عينٍ وقلبٍ به مشيرا لك المنزل الأرحب
وذاتك جنـــة أهلِ النهى ونفسك عنصرها أطيب
فمن غيرِ نطقِك لا نشتفِى ومن غيرِ ذاتِك لا نطرب
وكم لك مِن رتبٍ فى العلا تعالى العـــلا إذ لها يذَب(١)

(٢٢) عبد الرحمن بن عماد الدين

قال فى الموت وطلب الرحمة :

قدشاب فودِى حين شاب فؤادى فـكأنما كانا على مِيعـادِ(٢)
حسن الخواتم أرتجِى مِن محسنٍ قد منَّ لِى قِدما بحسن مبـادِى
وعمادِى التوحيد فهو وسِـيلتى فِى نيلِ ما أرجوه عند معـــادى(٣)
إن قِيل : أى سـفينةٍ تجرِى بلا ماءٍ وليس لأهلِهـا مِن زادِ
قل : رحمة الرحمن من أنا عبده تسع العباد ، فمن هو ابن عِمادِ

(٢٣) الأمير محمد بن منجك

قال متغزلا :

تناهى عنـــده الأمل وقصر دونه العـــذل(٤)
رشا يفـــتر عن بردٍ تكاد تذيبـــه القبل(٥)

---

(١) أى أن العلا يشرف ويسمو إذا حصلت على رتبة عالية .
(٢) الفود : الشعر على جانب الرأس مما يلى الأذنين .
(٣) المعاد : الحياة الأخرى . (٤) تناهى : انتهى ، والعذل : اللوم والعتاب .
(٥) رشا : أصله رشأ فسهلت همزته وهو الظبى إذا قوى وشى مع أمه ، يفتر : يضحك ضحكا حسنا . البرد : حَبّ الغمام يشبه به الأسنان . القبل : جمع قبلة .

يخامرُ عطفه ثَمَلٌ ... يميل بهِ ويَعْتدلَ (١)

يُمَثِّلُ ما يُروقُ لنا ... بِصَفْحةِ حَدِّه الخَجَلُ

فليْتَ به كما اتصَلَتْ ... حَشَاى الطَّرْفَ يتصلُ (٢)

إذا مَا الخِدْرُ أبْرزَهُ ... تَنَاهَبُ حُسْنَهُ المُقَلُ (٣)

لقَدْ أغراهُ فى تَلَفِى ... شبابٌ ناضِرٌ خَضِلُ (٤)

وقدٌّ حَشْوُه هَيَفٌ ... وطَرْفٌ ملؤُه كَحَلُ (٥)

(٢٤) ابراهيم بن المبلط

قال من قصيدة طويلة فى الغزل :

حَدَّثَتْ بَانَةُ الحِمَى عن صَبَاها ... عن ثَنِيَّاتِ مَكَّةٍ عَنْ صَفَاهَا : (٦)

أَنَّ عَصْرَ اللِّقَاءِ آنَ وَوَافَى ، ... وزَمَانَ النوَى انْقَضَى وتَنَاهَى (٧)

ونَسيمِ الصَّبَا يُؤَدِّى الأَمَانَا ... تِ إلَى أهْلِهَا كما قَدْ رَوَاهَا

كَمْ نسِيمٍ سَرَى فَسَرَّ قُلُوبًا ... شَفَّهَا البُعْدُ والنَّوَى فَشفَاهَا (٨)

---

(١) يخامر : يخالط . والعطف : الجانب . والثمل : السكر .

(٢) أى فليت عينى تراه وتتصل به ، كما اتصل به قلبى عشقا ومحبة .

(٣) الخدر : ستر يمد للمرأة من ناحية البيت . وتناهب أصلها ، تتناهب ، حذفت إحدى التاءين تخفيفا . ويجوز أن تكون فعلا ماضيا . أى نهبت .

(٤) الخضل ، الندى المبتل ، يريد النعومة واللين .

(٥) القد : القامة . الهيف : ضمور البطن والخصر .

(٦) البانة : واحدة البان ، شجر معروف . الحمى : مايحمى ويحفظ من كل شىء . الصبا : ريح . ثنيات مكة : جبالها . والصفا من مشاعر مكة فى جنوب المسعى

(٧) آن : حان وقرب . وافى : أتى . تناهى : انتهى .

(٨) شفها البعد : هزلها .

تَعرِفُ العاشقينَ منها نَسيمًا ... تُ ، وَهُمْ يَعرِفُونَهَا بِشَذَاها

إِنَّ أَيْدِى الفِرَاقِ جَارَتْ عَلَيْنَا ... فى قَضَاءٍ فَحَسْبُها وكَفَاها

آه وَاوَحْشَتِي لأَحْشَاءِ قَلْبِي ... وَقَلِيلٌ قَوْلِي على البُعْدِ : آهَا

(٢٥) نور الدين العسيلى

قال يصف دولابا[٢] :

ودُولَابٍ مَرَرْتُ به سُحَيْرًا ... يَئِنُّ كأَنَّةِ الصَّبِّ المَرُوعِ[٣]

غَدَتْ أَضْلَاعُه تنهد سُقْمًا ... ويُفْنِي جِسْمَهُ صَبُّ الدُّمُوعِ[٤]

يَدُورُ كَمَنْ أَضَلَّ الإِلْفَ مِنْهُ ... وذَاقَ تَشَتُّتَ الشَّمْلِ الجَمِيعِ[٥]

فقلتُ لهُ : فَدَيْتُكَ مِنْ كَئِيبٍ ... كَسَاهُ الهَمُّ أَثْوابَ الخُشُوعِ

علامَ أَراكَ تبكى كلَّ وقْتٍ ... وتهتِفُ فى المنازِلِ والرُّبُوعِ[٦]

فقدْ قَرَّبْتَ لى حُزْنًا بعيدًا ... ونَحَّانى نُوَاحُكَ عن هُجُوعِى[٧]

فقالَ : أَمَا علمتَ بأَنَّ مِثْلِى ... خَلِيقٌ بالصَّبَابَةِ والوُلُوعِ؟[٨]

فإنى كنت فى روضٍ رفيعٍ ... أَبِيتُ مِنَ الأَزَاهِرِ فى جُمُوعِ[٩]

---

(١) الشذا : قوة ذكاء الرائحة .

(٢) الدولاب بضم الدال وفتحها : الساقية ، وهى كلمة دخيلة عربها العرب .

(٣) سحيرا : تصغير سحر ، وهو قبيل الصبح . والمروع : من راعه الهم وأفزعه .

(٤) صب الدموع : انسكابها .

(٥) أضل الألف : أفقده ، تشتت الشمل الجميع : تفرق ما اجتمع من أمره .

(٦) تهتف : تصيح . والربوع : جمع ربع وهو الدار .

(٧) نحانى : أبعدنى . الهجوع : النوم ليلا .

(٨) الصبابة : رقة الشوق وحرارته .

(٩) الرفيه : المستريح المتنعم .

ولِي فى المَنْتَمَى أعْراقُ صِدْقٍ ... أُصُولٌ أنْجبتْ أزْكَى فُرُوعِ (١)

إذَا مَا الْوَرْدُ قابَلَنِي وَحَيَّا ... تَضَرَّجُ وجْنَتاهُ بالنَّجِيعِ (٢)

ويَصْفَرُّ الْبَهَارُ لَدَىّ خَوْفًا ... كَصُفْرَةِ عاشِقٍ صَبٍّ مَرُوعِ (٣)

وإنْ قصَدَتْ بَنُو الآدابِ رَبْعِي ... أَجُودُ مِنَ النِّثَارِ على الجَمِيعِ (٤)

فَقَيَّضَنِي الشَّقاءُ إلَى غَبِيٍّ ... شَدِيدِ البَطْشِ جَبَّارٍ قَطُوعِ (٥)

فألْقانى على رَأْسِى صَرِيعًا ... وأنتَ مشاهِدٌ حالَ الصَّرِيعِ

وقَطَّع لُطفَ أَوْصَالى بعُنْفٍ ... وصار يَدُقُّ عَظْمِى فى ضُلوعى (٦)

فَصِرتُ أرَى الَّذِى قَدْ كانَ دُونِى ... أنَافَ ، وصَارَ ذَا شأْوٍ رَفِيعِ (٧)

عَلَى قَلْبِى أدُورُ عَنًا وأَبْكِى ... عَلَيْهِ أَسًى كَمُقْلاتٍ هَلُوعِ (٨)

فكَيْفَ أُلامُ؟ إنْ أَدْمَنْتُ نَوْحِى ... وَجُدْتُ بِمَدْمَعِ الطَّرْفِ الهَمُوعِ (٩)

وحَالِى ناصِحٌ أبْنَاءَ جِنْسِى ؛ ... فَلَا تَعْتَدَّ بِالجِذْعِ المَنِيعِ (١٠)

فإنَّ الدَّهْرَ كالصَّيَّادِ كَيْدًا ... وأسْبَابُ القَضَا شَرَكُ الوُقُوعِ (١١)

---

(١) المنتمى : النسب والأصل . (٢) النجيع : الدم الضارب الى السواد .

(٣) البهار : نوع من النبات يسمى العرار .

(٤) ربعى : دارى . النثار : المنثور ، يريد نثار الأزهار .

(٥) فقيضنى : جاء بى . (٦) لطف أوصالى : دقة مفاصلى .

(٧) أناف : ارتفع . الشأو : الغاية ، والرفيع : العالى .

(٨) العنا : أى العناء ، وهو هنا الخضوع والذلة . والمقلات : ناقة تلد واحدا ، ثم لاتحمل بعده ، وامرأة لايعيش لها ولد . الهلوع : كثير الجزع .

(٩) أدمنت نوحى : أدمته . الطرف الهموع : العين الكثيرة سيل الدموع .

(١٠) الجذع : ساق النخلة . والمنيع : القوى الحصين الذى يمتنع على من رام اقتلاعه .

(١١) الشرك : حبائل الصائد ، الواحد شركة

(٢٦) الأستاذ الإمام أبو المواهب البكرى

قال يصف يوم مرح وأنس :

يا يَوْمَ بُولاقَ وأُنْسِى بِهِ ... حَكاكَ مِنْ شوّالَ يَوْمُ الهِلالْ

وأقبَلَ النيلُ جَنُوباً، وَمَا ... مِنْ عارِضٍ إلّا نسيمُ الشَّمالْ (١)

يا عارِضًا أوْجبَ للنيلِ مَا ... سَلْسَلَهُ ، وهْوَ طليقُ المجالْ (٢)

وقَهْوَةٍ تَنْضَحُ مِسْكًا ، وَلا ... بِدْعَ ؛ ففِى الفنْجانِ شكلُ الغَزالْ (٣)

حَبَابُها مِنْ فوقِها مانعٌ ... نِفَارَهُ ؛ فَهْوَ شِباكُ اللآلْ (٤)

تُديرُهَا هَيْفاءُ مَمْشُوقَةٌ ... خَوْدٌ تَثَنَّتْ فى بُرُودِ الدَّلالْ (٥)

كادَ حِجَا مَنْ أقْبلَتْ نحوَهُ ... يَذْهَبُ مِنْ رَنّاتِ تِلكَ الحِجالْ (٦)

بِغُرَّةٍ أوْ طُرَّةٍ وَزَّعتْ ... أفكارَنا بينَ الهُدَى والضَّلالْ (٧)

تَقولُ للشمس، وقَدْ أقبلتْ: ... تَلَثَّمِى ما أنْتِ إلّا خَيالْ

---

(١) عارض : مانع يمنع من المضى .

(٢) سلسله : أجراه فى حدور . طليق المجال : غير مقيد فى جولانه وسيره .

(٣) القهوة : من أسماء الخمر . لابدع : معناه لا عجب . والمسك : من دم دابة كالظبى يقال لها غزال المسك . والمعنى : أن هذه الخمر يفوح منها طيب كالمسك ، ولا عجب ، فان صورة الغزال على الفنجان الذى فيه الخمر .

(٤) الحباب : نفاخات الماء التى تعلوه . واللآل : اللآلئ .

(٥) الهيفاء : ضامرة البطن رقيقة الخصر . ممشوقة : حسنة القوام . الخود : الحسنة الخلق الشابة . تثنت : تمايلت . البرود : الثياب . الدلال : هو جرأة المرأة فى تكسر ، كأنها مخالقة وليس بها خلاف .

(٦) الحجال : الخلاخيل .

(٧) الغرة : الوجه . والطرة : الناصية .

(٢٧) الشيخ عبد الله الشبراوى[١]

قال فى السيد عبد القادر نقيب الأشراف الذى حضر من البلاد الرومية ، و بعد أن بات ليلة وجد مذبوحا :

أيها القومُ وَيْحَكُمْ ! قد هَدَمْتُمْ ... بِنْيَةَ اللهِ ، واتَّهمتُمْ عِبادَهْ[٢]

وذَبَحْتُمْ هذا المهذَّبَ غَدْرًا ... وقَطَعْتُمْ بِغِلْظَةٍ أوْرَادَه[٣]

ثم نُحتُم عليه زُورًا : ولكنْ ... ذاكَ أمرٌ قَضَى الإلهُ نَفَادَه[٤]

أيها النائحون مَهلًا ! فَمَنْ ذَا ... نَالَ من دهرِه الحَنُونِ مُرادَه

لا تُطِيلوا على النقيبِ نحيبًا ... فهو بالذَّبْحِ نال أعلَى سَعادَه[٥]

كم نبيٍّ وصالحٍ ووَلِيٍّ ... ماتَ قتلا ، ونال أَجْرَ الشهادَه

هذه سُنَّةُ الأماجِدِ قِدْمًا ... كحُسَيْنٍ وسعْدِ بْنِ عُبادَه

حازَ هذا الشريفُ لُطفًا من اللـ ... ـهِ وساوَى فى حَوْزِه أجداده

لوُفورِ الأُجُور والرتبةِ العلْـ ... ـيا وحُسْنَى من ربِّنا وزِيادَه

يا خليلِي لا تأسفنَّ وأرِّخْ ... قَدَّرَ اللهُ قتلَهُ وأراده

٢٢ ١١ ٣٠٤ ٦٦ ٥٣٥ ٢١٧

---

(١) توفى سنة ١١٧٣ هـ .

(٢) بنية الله : ما بناه الله .

(٣) الغدر : ترك الوفاء . الوريدان : عرقان فى العنق والجمع : أوردة وورود ، لا أوراد ، كما جمع الشاعر .

(٤) نفاده : فناءه ، يريد : وقوعه .

(٥) أى أنه مات مقتولا مظلوما ، فكان جزاؤه الجنة ، ونال سعادة الدار الأخرى ، وهى الباقية الخالدة .

وقال فى بعض أسفاره متشوّقاً الى مصر :

أعِدْ ذِكْرَ مصرٍ، إنَّ قَلْبِيَ مُولَعُ ... بمصرَ، ومَنْ لى أنْ ترَى مُقْلَتِي مِصرا؟ (١)

وكرّر على سمْعِي أحاديثَ نِيلِها، ... فقد ردَّتِ الأمواجُ سائلَهُ نَهْرَا

بلادٌ بها مدَّ السماحُ جَنَاحَهُ ... وأَظْهَرُ فيها المجدُ آيتَه الكُبْرَى (٢)

رُوَيْدًا إذا حدَّثْتَنِي عن رُبُوعِها، ... فتطويلُ أخبارِ الهَوَى لذةٌ أُخْرَى

إذا صاحَ شُحْرورٌ على غُصنِ بانَةٍ ... تذكَّرتُ فيها اللحظَ والصَّعْدَةَ السَّمْرَا (٣)

عَسَى نحوَها يَلوِى الزمانُ مَطِيَّتِي ... وأَشهدُ بعد الكسْرِ من نِيلِها جَبْرَا

لقد كان لى فيها مَعَاهِدُ لذةٍ ... تَقَضَّتْ وأَبْقَتْ بعدَها أَنْفُسًا حَسْرَى

---

(١) مولع : مغرم . المقلة : شحمة العين التى تجمع سوادها وبياضها .

(٢) السماح : الجود والكرم كالسماحة .

(٣) الشحرور : طائر . الصعدة : القناة المستوية يشبه بها قدّ الفتاة .

(ب) النثر

أولا — النثر الفنى

(١) الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى[١]

قال يصف بستانا :

" فوصلنا إلى بستان قد أخذ زخرفه وتزين ، وفاضت عيونه غيرة من نازليه وتلوّن ، تنساب جداولُ جوانبه كالأراقم[٢] ، ويصفِّق النهر لرقص الغصون على غِناء الحمائم ، ويهُبّ النسيم فينقّطُها من الزّهر بدنانيرَ ودراهم ، قد تطاولَ فيه من ٱلبان كلُّ قدٍّ مخطوف ، وخجِل فيه من الوَرْد كلُّ خدٍّ موصوف ، فأجلسنا النَّرْجِس على عينيهِ وأَحداقِه ، وظلَّلَنا الغُصنُ بستائر أَوْراقه ، وحيّا منثورُه الأبيضُ والأزرقُ بالأَصابِعِ ، وفتح كفوفَه الصُّفْرَ وهو مِنَّا غَيْرانُ[٣] فاقع ، وجرَى النَّهْرُ بين أَيدينا متواضِعًا بسجوده ، وشبَّ الشُّحْرور بِمِنقاره لمّا تَغَنَّى الهزَار على عُوده ، قد رقّ نسيمه وراق ، وجذب الحمائم الى الغِناء بالأطواق :

أَظنُّ نسيمَ الرَّوْض لِلزَّهْر قد رَوَى ... حديثًا فطابتْ من شذاه المسالكُ

وقال :

إذا ما دنا فصل الربيع ؛ فكلُّه ... ثغورٌ لما قال النسيم ضواحكُ

---

(١) ولد بصفد سنة ٦٩٦ هـ . وتلقى العلم بدمشق عن ابن نباتة وعن أبى حيان اللغوى وغيرهما ، وتولى ديوان الإنشاء بصفد والقاهرة وحلب ، وهو كاتب شاعر مؤرخ . توفى سنة ٧٦٤ هـ .

(٢) الأراقم : جمع أرقم ، وهو الحية .

(٣) غيران : من الغيرة والتحسر . وفاقع الصفرة شديد .

قد شاب ذلك الزهرُ قبل شَبابه، وغناه الطيرُ فتساقطَ من طَربه وإعجابه، ومرّ عليه النسيمُ بذيْله البَليل، فشبّ حتى عجبنا من حصول الشفاء من العليل. فيالها روْضةً صدحتْ أطيارُها فأطربت الأشجار، وألبستْنا ثوبَ الخَلاعة عند خلْع العِذار:

انظرْ إلى الروْض النضير كأنما ... نُشِرَتْ عليه مُلاءةٌ خَضْراءُ

أنّى سَرحْتَ بلحْظ عيْنك لا ترَى ... إلا غديراً جَال فيه الماءُ

وترَى بنفْسك عِزةً فى دوْحه ... إذ فوْق رأْسِك حيث سِرتَ لِواءُ (١)

والماءُ قد رقّ وراق، وتَسلْسل وهو فى الإطلاق، وجرَى فتكسّر، وصفا ولم يتغيّر، وصاحَبَ النّسَماتِ وحالَفها، وقاطعَ الأغصانَ وخالفها؛ وأنتْه الرياحُ للزيارة من شِعابها وهِضابها، وسَرَق حُلِيَّ الأغصان فضمّها فى صدره وجَرَى بها؛ والعيونُ ترمُقه فى جريه ومسيره، وهو لا يفترُ عن تصفيقه وخريره؛ حتى خشينا عليه التكسير من التمادِى، ورجوْنا من ماء عينيْه رِىّ كلّ صادِى (٢):

يا حُسْنَه من جَدْوَلٍ متدفقٍ ... يَلْهو بِرَوْنق حسنِه مَنْ أبصرا

ما زِلْتُ أُنذِرُه عيوناً حوْله ... خوفًا عليه أن يُصابَ فيعثُرا

فأَبَى وزادَ تمادِيًا فى جَرْيه ... حتى هوَى من شاهقٍ فتكسّرا (٣)

ولم يزل الطير يَسعى بين النهر والغصن فى الاتفاق، ويكرّر ألحانه ويُراسِل فى الأوراق، ويجتهد فى الصلْح ويَدْعو اليه، ويَحرِص على الوفاء ويحرّض عليه.

---

(١) أى تشعر كأنك قائد جيش، لما يطلك من شجر عظيم كأن الألوية فى مقدمة الجيش.

(٢) الصادى: العطشان.

(٣) الشاهق: المكان العالى.

وقام الشحرور بينهما واعظًا وخطيبا ؛ فأجدَتْ مَواعظُه وكان قلبُ النهر صافيًا وقريبا . وقامَ النَّسْرين[1] من السُّرور على ساق ، وجذب كلَّ صَدوح للغِناءِ بالأطواق ، وتبسمَتْ من الأُقحوان[2] الثغور ، ونَسمَتْ نفحاتُ المِسك والكافور ؛ واعتلّ النسيمُ غَيْرةً وتغيَّر ، فتولّى وهو بذيله يَتعثَّر ، وجعل يجرُّ من الحياء ذيولاً على الأغصانِ ، فتعتنق أعناق المواصل الغضبان :

في روْضةٍ علّم أغصانُها ... أهلَ الهوى العذرىّ كيفَ العِناقْ

هبَّتْ بها ريحُ الصَّبا سُحْرةً ... فالتفّت الأغصان ساقًا بِساق

وبكى النهرُ على مُواصَلةِ الغُصون ، وخرَّ لديها وفاضتْ منه العيون ، ومثَّلها في قلبه شغفًا وحبًّا ، وصار بها من دون الصَّبا صَبًّا :

والنهر قد عَشِق الغُصونَ فلم يزل ... أبدًا يمثِّل شخصَها في قلبه

حتى إذا فطَن النسيم فجاءه ... من غَيْرةٍ فأزالها من قُرْبه

وغدا عليه مُهَيْنِمًا بعِتابه ... سِرًّا فجعّد وجْهَه من عَتْبه[3]

فلم يَزْجُرِ النهرَ عن حُبِّ الغُصون زاجرٌ ولا عاذِل ، ولم يُجِب العَذْل إلا بدمعه السائل ، وصار يردّ بَرْد الهَوَى بحرّ هواه العُذرى ، وغدا ساعيًا بسعادة الأغصان يَجرِى ، فقنع منها بأدنى وِصال ، وربما اقتصر منها في الحب على الخَيال :

---

(١) النسرين بكسر النون وقيل بفتحها : ورد أبيض طيب الرائحة

(٢) الأقحوان : نبات أوراق زهره مفلجة صغيرة ، تشبه بها الأسنان .

(٣) الهينمة : الصوت الخفى

ونَهْرٍ يُحِبُّ الدوْح أصبحَ مُغرمًا يروحُ ويغـدُو هائمًا بوصالها
إذا أبعدت عنـه شكا بخريره جفاها وأضحى قانعا بخيالها

(٢) القلقشندى[١]

من رسالة للقلقشندى عن الملك الناصر فرج بن برقوق الى صاحب فاس فى ذكر وقعة تيمرلنك :

وتحركنا من الديارِ المصرية فى جيوشٍ لا يأخذها حصر ، ولا يلحقها هصر[٢] ولا يظن بها على كثرةِ الأعداد كسر، ولم نزل نحث السير ونسرع الحركة للقاءِ العدو إسراع الطير ، حتى وافينا دِمشق المحروسة فنزلنا بظاهِرِها[٣] ، مستمطِرين النصر فى أوائل حركتنا وأواخرِها ،وانضم من عساكر الشامِ وعربانها ، وتركمانها الزائدة على العـدّ وعشرانِها ، مالا ينقطع له مدد ، ولا يدخل تحت حصر ولا عدد ، وأقبـل القوم فى لفِيف[٤] كالجراد المنتشِر ، وأمواج البحرِ التى لاتحصر : من أجناسٍ مختلِفة ، وجموع على تباينِ الأنواع مؤتلِفة . وتراءى الجمعانِ ، فى أفسحِ مكان ، ورأى كل قبِيل الآخر رأى العين وليس الخبر كالعِيان . واعتد الفريقان

---

(١) هو أبو العباس احمد بن على القلقشندى ، صاحب كتاب " صبح الأعشى فى كتابة الإنشا " ولد فى قرية قلقشندة من قرى القليوبية بمصر سنة ٧٥٦ هـ . من بيت عربى ، وقد تأدب فى القاهرة وألف مؤلفات عدة أشهرها ما ذكرنا ، وعاش فاضلا مبجلا حتى توفى سنة ٨٢١ هـ .

(٢) الهصر : الكسر . أى لاتلحقها هزيمة ولا انكسار .

(٣) ظاهرها : ضواحيها .

(٤) اللفيف : الجماعة ، أى فى جيش

للنزال ، واحتفروا خنادق للاحتراس ، وتبوأنا مقاعد للقتال ، ولم يبق إلا المبارزة والتقاء الصفوف والمناجزة[١] ، إذ ورد وارد من جهتهم بطلب الصلح والموادعة ، والجنوح إلى السلم وقطع المنازعة ، فأجبناهم بالإجابة ، ورأينا أن حقن الدماء من الجانبين من أتم مواقع الرأى إصابة ؛ وكتبنا إليهم فى ضمن الجواب :

لما أتانا منكم قاصد يسأل فى الصلح وكف القتال

قلنا له : نعم الذى قلته والصلح خير ، وأجبنا السؤال

(٣) القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر[٢]

من كتاب كتبه إلى صاحب اليمن عن السلطان الملك المنصور قلاوون مبشرا بفتح صافيتا :

فمن ذلك حصن الأكراد الذى تاه عطفه على المماليك والحصون ، وشمخ بأنفه عن أن تمتد إلى مثله يد الحرب الزبون[٣] ، وغدا جاذبا بضبع[٤] الشام ؛ وآخذا بخانق بلاد الإسلام ؛ وشللا فى يد البلاد ، وشجا فى صدر العباد ، تنقض من عشه صقور الأعداء الكاسرة ، وترتاع من سطوتها قلوب الجيوش الطائرة ، وتربض بأرضه[٥] آساد تحمى تلك الآجام[٦] وتفوق من قسيه[٧] سهام تصمى مفوقات السهام ؛ تعطيه الملوك الجزية عن يد وهم صاغرون ، ويصطفى كرام أموالهم وهم صابرون

---

(١) المناجزة : المدافعة .

(٢) هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر الجذامى المصرى أحد المتعصبين لطريقة القاضى الفاضل فى اتباع البديع ، وخاصة التورية فى الشعر والنثر ، وكان من رؤساء ديوان الإنشاء فى دولة المماليك البحرية . وتوفى سنة ٦٩٢ هـ .

(٣) الحرب الزبون : التى يدفع المتحاربون فيها بعضهم بعضا من الكثرة . (٤) الضبع : العضد .

(٥) الأرباض : جمع ربض ، وهو المأوى ، والمراد هنا بالأرباض : النواحى والجهات .

(٦) الآجام : جمع أجمة ، وهى بيت الأسد .

(٧) القسى ، جمع قوس . وتفوق : أى تصيب وتسدد .

لا مُصابِرون . كم شكتْ منه حماةُ[1] قِلةَ الإنصاف ، وكم خافتـه مَعَرَّةُ وما من مَعَرَّةٍ خاف . ما زالت أيدى الممالك تمتدُّ الى الله بالدعاء عليه تشكو من جَوْرِ جِوَاره تلك الحصونُ والصَّيَاصِى[2] ، وتبكِى بمدمع نهرها من تأثيرِ آثارِه مع عِصيانها وُناهيك بمَدْمَع العاصِى[3] ؛ حتى نَبَّـه اللهُ ألْحاظَ سيوفِ الإسـلام من جُفونها ، وَوَفَّى النُّصْرَةَ ما وجب من دُيُونها . وذاك بأنّا قَصَـدْنا فسيحَ رِبْعه ، ونزلْنا ونازَلْنـا محمىَّ صُقْعِه[4] ، وختمنا بِنصالنا على قلبه وسمعِه ، وله مدن حوله خَمس هو كالراحةِ وهى كالأَناملِ ، وتكاد بُرُوجه تُرَى كالمطايا المُقَطَّرَةِ[5] وهى منهـا بمنزلةِ الزَّوامل[6] ؛ ما خَيَّمْنا به حتى استَبَحْنا محمىَّ تلك المدائنِ المكنِىِّ عنها بالأرباض ، وأسَحْنا بساحاتها بحرًا من الحديد ما اندَفَعَ حتى فاض ، وأخذنا الثُّقُوب فى أَسْوارٍ لا تُنْقَضُ ولا يَنْقَضُّ بُنيانُها المَرْصُوص ، ولا تَقرأ المعاوِلُ ما لِخَوَاتِمِ أبراجِها من نُقُوشِ الفُصوص ؛ ونَصَبْنا عليها عِدَّةَ مجانيقَ[7] حُمِلَتْ فى شواهق الجبال ، على رُءُوس الأبطال ؛ فتغَيَّظتِ السَّمْهَرِيَّةُ[8] أنَّ الذى تقومُ به هـذه تلك به لا تقوم ، وأنّ ما منها إلا له من الأيدى والرءوس مقامٌ معلوم ؛ وصار يَرْمِى بهـا كلُّ كمىّ مختَلِس وأرْوَعَ منتَهِس[9] ؛ وكلُّ ليث غابة يحميها وتحميـه !

---

(١) حماة اسم بلد ، وكذلك المعرة . (٢) الصياصى : الحصون الرفيعة .

(٣) نهر من أنهر سورية عليه جملة مدن منها حماه .

(٤) الصقع : الناحية والجهة .

(٥) المقطرة : المصفوفة واحدا خلفه واحد . فهى قطار .

(٦) الزوامل : جمع زاملة وهى الدابة التى يحمل عليها من الابل وغيره .

(٧) المنجنيق : آلة كانت تستعمل فى الحروب ترمى بها الحجارة .

(٨) السمهرية : الرماح وهى صفة لها .

(٩) النهس : النهش ، والمنتهس مشتق منه ، المختلس : اليقظ المتحين للفرصة حتى يتمكن من القتل .

فشكرًا لأسود حتى غاباتُها تفترس ؛ الى أن جَثَتْ أسوارُها على الرُّكب وكانت سِهامُ مجانيقِها تَميلُ من العُجْب[١] فصارتْ تميدُ من العَجَب[٢] ، وكانتْ تَطْلُبُ فصارتْ تَهْرُب من الطَّلَب الخ .

(٤) الإمام ابن حبيب الحلبي[٣]

قطعة من كتابه نسيم الصبا ، الفصل السادس فى البحر والنهر :

هزتنى رياح الأمل البسيط[٤] ، الى امتطاء ثَبَج[٥] البحر المحيط ، فأتيتُ سفينةً يطيب للسَّفْرِ مَثواها ، وركبت فيها بسم الله مَجْراها ومُرْساها ، مُوقِنا بأن المقدور صائر ، معرضا عن قول الشاعر :

لا أركبُ البحرَ أخْشى على منه المعاطبْ[٦]

طِين أنا ، وهْو ماء ، والطين فى الماء ذائب

يا لها سفينة ، على الأموال أمينة ، ذات دُسر[٧] وألواح ، تجرى مع الرياح ، وتطير بغير جَنَاح ، وتعتاض عن الحادى بالملّاح[٨] ، تخوض وتلعَب ، وترِدُ ولا تشرَب ، لها قِلاع[٩] كالقِلاع ، وشِراع يحجُب الشُّعاع ، وسكينة وسُكّان[١٠] ، ومكانة وإمكان ، وجُؤْجُؤ[١١] وفَقار ، وأضلاع[١٢] محكمة بالقار ، وجسم عار عن الفؤاد ، وهو فى عين الماء

---

(١) تميل من العجب : تهتز من الزهو والخيلاء .
(٢) تميد من العجب : تضطرب وتتزلزل من الدهشة والتحير .
(٣) المتوفى سنة ٧٧٩ هـ .
(٤) البسيط : المبسوط الفسيح . (٥) الثبج : وسط الشىء ومعظمه .
(٦) المعاطب : جمع معطب وهو موضع العطب والهلاك .
(٧) الدسر : جمع دسار ، وهو خيط من ليف تشدّ به ألواح السفينة .
(٨) من يسوق الإبل ويغنى لها . (٩) جمع قلعة . (١٠) سكان السفينة : ذَنَبها .
(١١) الجؤجؤ : الصدر . (١٢) القار : الزفت .

نزلة السواد، بعيدة مابين السَّحْر والنحر، من احسن الجوارى المنشئات فى البحر، معقود بنواصيها الخير كالخيل، لا تَمَلُّ من سير النهار ولا من سُرَى الليل

مارأى الناس من قصور على الما ء سواها تَسير سيْرَ القِداح (٢)

كأنها وَعِلٌ (٣) يَنحط من شاهق، أو عِرْباض (٤) سابق يحثُّه سائق، أو عقربٌ شائلة (٥)، أو عُقاب صائلة، أو غراب أَعْصَم، أو تمساح أو أرقم، أو ظَليم (٦) نفر فى الظلام، أو جواد فز مستنكفًا من صحبة الأنام. حاكمها عادل فى حكمه، عارف بنقض أمرها وبَرْمه، يهتدى بالنجوم، ويبتدئ بآسم الحى القيوم (٧)، يبرُز من نواتيها (٨) فى جنود، ويشمل إحسانُهم أهلَها أيقاظا وهم رقود، يتأنقون فيما يعملون ويفعلون ما يؤمرون:

يُكثرون الصِّياح حتى كأنّ السـ ـفْنَ تجرى من خوْف ذاك الصِّياح

---

(١) السحر: الرئة.

(٢) جمع قدح وهو السهم، أى تنطلق مسرعة.

(٣) الوعل: تيس الجبل.

(٤) العرباض: الغليظ من الإبل

(٥) شائلة: أى رافعة إبرتها التى تلسع بها.

(٦) الظليم: ذكر النعام.

(٧) القيوم: من أسمائه تعالى، ومعناه: الذى لاند له، أو القائم بذاته.

(٨) جمع نوتى: وهو الملاح فى البحر.

(٥) شهاب الدين محمود الخفاجى (١)

"المقامة الساسانية"

حدّثنا مالكُ بنُ دينار، عن مُسافِر بن يسار، قال: كنتُ والشبابُ غُرابُه لا يُطار، وثمراتُه الجَنِيَّةُ تُجنَى من رياض الأخبار، أهوَى السِّياحَة والناسُ ناس والديارُ ديار، والدهرُ غِرٌّ لم يَفْطُنْ لتلوُّن الليل والنهار:

ولم أر يومًا فى ظلامِ مَفارِقى ... شِهابَ مَشيبٍ لاحَ فى الإثرِ مُنْقَضَّا

فسِرْتُ فى الأرض لأنظرَ آثارَ رحمته، وأرَى مآثرَ الطرازِ الأول فى أعلام حُلّته؛ فإن من جَدّ وجَد، ومن توانى فَقَدْ فَقَد، رافعًا عصا التَّسيار، على كاهل الاعتبار، رافضًا الاستراحةَ فى مَهْدِ الدَّعَة، مشيِّعًا قلبًا فارَقَ حبيبًا وَدَّعه، فاطِمًا أملا عن دَرِّ أنيس ارتضعه. أضرب كرة الأرض بِصَوْلجَان الهمَّة، لا أعبأ بقامَةٍ غير قائمة وهِمَّة هِمَّة(٢). أتدرَّع بُرْد الليل، لأنه أخفَى للوَيْل، وأشُقُّ أديمَ النهار للسيْر، ولم أقُل ليس للعصا سير، كهشيم ترفعه أعاصير ريح تدور، ورَقِ جفَّ فألوَتْ به(٣) الصَّبا والدَّبور. كأننى

---

(١) ولد فى سريا قوس، وتعلم بمصر، ثم رحل الى الحرمين فالآستانة. وكان من رجال اللغة والأدب، وله تواليف معروفة، وهو ممن كتبوا المقامات. توفى سنة ١٠٦٩ هـ.

(٢) الهم والهمة بالكسر: الشيخ الفانى. أى همة ضعيفة.

(٣) ألوت به: أى طارت به. والصبا والدبور: ريحان.

على غُصن بانةٍ خَضِل[1] تَثْنيه ريح الصَّبا هنا وهنا أو قَذًى فى عيون البلاد، أو عَيْر شَرُود ترميه الروابى للوِهاد[2]

كأنى من الوَجْناءِ[3] فى مَتْن مَوْجةٍ ... رمَتْنى بحارٌ مالهنّ سواحل

حتى أتيت كُورة[4] خُراسان، فإذا بها قَيْلٌ[5] نَصَبَ عِرْضَه لِسهام الهوان، مقلِّداً فى ترجيح البخْل مذهبَ سهلِ بن هارون، كأنه لم يَسمع قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُولئك هُمُ الْمُفْلِحُون ﴾ فطويتُ حديثَه على عَرِّه[6]، وأتيته لأقف على جَلِيَّة أمره، فلما جُسْتُ خِلالَ إيوانه، قرأتُ عُنوانَ حَالِه على وُجوه غِلمانه. وسمعتُه يقول لِمَنْ آمترى أخلاف درَّته[7]، وشبِع من خُلَّته[8] وحُمْضه برؤْية جَرَّته: يا هذا صناعتُنا واحدة، لو لم تدرُج من عُشِّك كانت الراحة فائدة!

ثم قال لى: أىُّ البلادِ تُهدى سلامَها، وأىُّ زهرةٍ تحيّةٍ فتحتْ لك النسماتُ أكمامَها؟ قلتُ: الكِنانةُ المُعزِّية، والخطَّةُ التى هى فى حَضانة نيلها مَحْمِيَّة، رياضُها تَحيا بأنهاره، وأصابعُه[9] تُشير لكنوز خِصْبٍ تُسْتَخْرج من معادن أقطاره، إلّا أنّ أصابع الناس فى الراحة[10] والأيادى، وفى أصابعه أيادٍ[11] وراحةٌ لكل حاضر وبادى.

---

(١) الخضل: الندى المبتل.

(٢) العير: الحمار. والروابى: الأمكنة العالية. والوهاد: الأمكنة الواطية.

(٣) الوجناء: الناقة الشديدة.

(٤) الكورة: الناحية، وتطلق على المدينة.

(٥) القيل: الأمير المتولى أمور الكورة.

(٦) العر: العيب والشر.

(٧) امترى: جذب الضرع للحلب. والأخلاف: جمع خلف، وهو حلمة ضرع الناقة، والدرة: اللبن أو سيلانه وكثرته.

(٨) الخلة: ما فيه حلاوة من النبات، والحمض ما فيه ملوحة.

(٩) فى الأصابع تورية، لأنها تطلق على الأصابع المعروفة، وعلى أجزاء يقاس بها النيل

(١٠) الراحة: الكف.

(١١) الأيادى هنا: النعم والآلاء.

فإن سألتَ عن حالى ففؤادى بها فؤادُ أُم موسى فارغٌ من آمالى . وما حالُ وِرْدة فارقت نَسَماتِ القَبُول (١) ؟ فحداها السَّمُوم وقادها الذُّبول :

فتأملْ كيف يَغْشَى مُقلَةَ المجـدِ نُعاسُ ؟

فأما حالُ سكّانها ومَن ألقى حِرانه بأعطانها (٢)، فقد ذهب أرباب الهمم العاليـة ، ولم يبق إلا مَن يفتخر بالرِّمم الباليـة ، رُوحُ الشُّوم ، ونتيجة اللوم ، وخليفة البوم ، وبعيْن الله ما يصنع الليـلُ والنهارُ ، ويستُر الثوبُ والجِدار ، وما يستتر فى ضمـائر البيوت ، وإن طال التحمُّلُ والسكوت . فكم بكت السماء أرضًا فقـدتْ حبيبا ، وساعدتها سحب آنتحبت بها نحيبا :

ولطَّمَتِ الخدودَ بها بروقٌ وشقَّقَت الرعودُ بها جُيوبا

فقل لمن آفتخر بالعِظام ، ما وراءك ياعِصام ؟

ولْنعطفْ على هـذا النسق ، لبيان من بَقِىَ منهم طَبَقٍ على طبق (٣) ، من أصناف لا تُعدّ ، وأجناس لا تُرْسَم ولا تُحَدّ : من كل سائل بالإلحاح التَحَف ، أو دَار بِمِزْمار ودُفّ ، أو تغنَّى بأنكرِ الأصوات ، فَنَهَق إذ رأى شـيطانًا يدَّعى الكرامات ، يُقيم به المعتزلىُّ دليلَ إنكار الكرامة ، ويقول : هل علىّ بعد هذا ملامة ؟ أو حامِل راية وعَلَم ، جعل القناعةَ عَلَما لسقوط الهِمَم . ومنهـم من كَبِر وتكَسَّرت (٤) قواريرُه ، وخبا نُوره حين هبَّت أعاصـيرُه ، وهو أعظمهُم جُرما ، وأقلُّهم دِينـا وحَزْما ، حُمُرٌ

---

(١) القبول : ريح الصبا ، وهى تهب فى بلاد العرب من جهة المشرق .

(٢) العطن : مبرك الإبل . الجران : مقدّم عنق البعير من جهة صدره .

(٣) الطبق من الناس : الكثير والجماعة .

(٤) يقال للشيخ الكبير : كبر وتكسرت قواريره ، وهو من ألفاظ أهل بغداد ، كأنهم يعنون فرقعة الظهر .

مُسْتَنْفِرة، يقرءون القرآن فى بقاع مُسْتَقْذَرة، بين رَهْط لا يتدبرون ولا يستمعون، ولا يمتثلون قول الله : ﴿ وإذا قُرئ القرآنُ فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تُرحمون ﴾. وتُجَّارٍ رأسُ مالهم الإفلاس، يضربون الأخماس(١) للأسداس، يُزَكُّون كَذِبهم بالأَيْمان الفاجرة، فيربَحون خَسَارة الدنيا والآخرة، إن خاشنتَ أحدهم فى تقاضيه، بادر بالحَلِيف على دَيْنه فيَقْضيه .

يقول : أستمع حَلْفَتِى كاذبًا ... إذا ما اضطُرِرْتُ، وفى الحال ضِيقُ
وهل من جُناحٍ على مُسلم ... يدافِعُ بالله(٢) ما لا يطيق

وقد فُقِدَ العلمُ لولا نفحةُ أُنس من نفرٍ بقايا، فتح الله بهم خزائنَ كنوز هى خبايا فى الزوايا : من كل نَقِىِّ العِرض أبيض السجايا، إذا تدنَّست الأعراض فأعراضهم من العار عرايا :

أبدتْ مآثرُهم نقصَ الزمان ففى ... خَدِّ الربيع طلوعُ الوَرْد من خجل

حَمَتْ شوكتُهم رياضًا فى رُبا الدين العوالى، وأحيا الله بأنفاسهم العِيسَوِيَّة مَوَاتَ المعالى . ولما شرح اللهُ بهم صدرَ الدين، وفتح ببصائرهم عينَ اليقين، أيَّدهم بأبناء الأعيان من أُمرائها، فقالت الخلافة تحت أفياء لِوائها، حتى حَمَوْهم من نوائب الحُتُوف، وزهت جَنةُ مثواهم تحت ظلال السيوف؛ فصارت بهم الأطراف، من مَنازِهِ منازلِ الأشراف . ولهذا يشير البديع(٤)، بقوله فى معنى بديع(٣) :

---

(١) يضرب أخماسا لأسداس : أى يسعى فى المكر والخديعة، وهو مثل يضرب لمن يظهر شيئا ويريد غيره .
(٢) البيتان لابن الرومى، ويرويان ببعض اختلاف فى اللفظ .
(٣) قال يقيل : نام وقت القائلة، وهو الظهر .
(٤) هو البديع الهمذانى .

قيل لى: لِمْ جلستَ فى طَرَفِ القو ... مِ، وأنت البديعُ ربُّ القوافى

قلتُ : آثرتُه؛ لأن المنادِيـ ... ـلَ يُرى طِرْزُها على الأطراف

وكفانى من المفاخِرِ أنّى ... نازلٌ فى منازلِ الأشراف

فأَوَوْا من ذلك الظل لِركن مُعْتَمَد، ونزلوا فيه بين العَلْياء والسَنَد . متّعنا الله بهذه الدوْلة وجعلها أطولَ الدول عُمرا ، وأرفعها مَنَارًا وأعظمَها قدْرا ، سماء مجدهم مُكلَّلة بنجوم تهتدى بها الأمانى ، ويستقر رجاء كل قلب عانٍ (١) ، والدهر لسعدهم من الخدَم ، وفيضُ أياديهم يُغْنِي عن الدِّيَم (٢) ، وسُحُبهم مُغْدِقة على الراجين بالكرم :

قلتُ لِلْبرق إذ تألق فيها : ... يا زِنادَ السماء مَنْ أَوْراكا

إن تَشَبَّهتَ بالكرام وما قد ... كان من جُودهم فلستَ هُناكا

ومذ كَلَّتْ دُهْمُ (٣) الأقلام من المشْى فى الكتابة شكرتُ مشيَها على الرءوس ، وقلتُ لا عِطْرَ بعد عَرُوس ، فقد جف القلم ، وكل شىء بلغ الحدّ انتهى وتم .

---

(١) العانى : الذى تغلبت عليه الهموم فصار أسيرها .

(٢) الديم : جمع ديمة ، وهى المطر يتتابع .

(٣) جمع أدهم ، وهو الفرس الأسود ، وقد حسن تشبيه القلم بالأدهم ، لأن الكتابة غالبا تكون بالمداد الأسود .

ثانيا ـ النثر العلمى

(١) الشيخ كمال الدين الدميرى[١]

قطعة من كتابه " حياة الحيوان " :

(الحمام) قال الجوهرى هو عند العرب ذواتُ الأطواق ، نحو الفواخِت[٢] والقَمارِى[٣] وساقُ حُرّ[٤] والقَطا والوَرَاشين[٥] وأشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى ؛ لأن الهاء إنما دخلته على أنه واحد من جنس ، لا للتأنيث ؛ وعند العامة أنها الدَّواجن فقط ، الواحدة حمامة . وقال حميد بن ثور الهلالى من أبيات :

وما هاج هذا الشوقَ إلّا حمامةٌ ... دعتْ ساقَ حرٍّ بُرْهَةً فترنّما

والحمامة هنا : القُمْرية . وقال الأَصْمَعِىّ فى قول النابغة :

وأحكُم كحكم فتاةِ الحَىِّ إذ نَظرتْ ... الى حمام شِراع واردِ الثَّمَدِ

قالت : ألا ليتَما هذا الحمامُ لنا ... الى حمامَتِنا أو نصفُهُ فَقَدِ

فحَسَبوه فألفَوْه كما زعمتْ : ... تسعا وتسعين لم يَنْقُص ولم يَزِدِ

---

(١) توفى سنة ٨٠٨ هـ .

(٢) جمع فاختة . وهى الحمامة ذات الطوق .

(٣) جمع قمرية بضم القاف . (٤) ذكر القمارى .

(٥) مفرده ورشان بالتحريك ، وهو طائر من نوع الحمام .

(٦) الثمد : الماء القليل .

هذه زَرقاءُ اليمامة نظرتْ إلى قَطا واردٍ فى مضيق الجبل ، فقالت : ياليتَ هذا القطا لنا ومثل نصفه معه إلى قطاة أهلنا ، فيكُمَّل لنا مائة قطاة ؛ فاتُّبِعَت وعُدَّت على الماء فاذا هى ستٌّ وستون ، قال أبو عبيدة : رأَتْه عن مسيرة ثلاثة أيام ، وأرادتْ بالحمام القَطا ، فقالت ذلك ، انتهى . وقال الأموى : الذواجنُ التى تُستفرَخ فى البيوت تُسمَّى حماما أيضا . وأنشد للعَجّاج :

إنى وربِّ البلدِ المحرَّم والقاطناتِ البيتَ عند زمْزم

* قواطنًا مكةَ من وُرْق الحَمِ *

يريد الحمام : وجمع الحمامة حمام وحَمائم وحمامات . وربما قالوا حمام للفرد . قال جِرانُ العَوْد :

وذكَّرنى الصِبا بعد التنائى حمامةُ أيكةٍ تدعو حَماما

وحكى أبو حاتم عن الأصمعى فى كتاب الطير الكبير : أن اليمام هو الحمام البَرِّىُّ ، الواحدة يَمامة ؛ وهو ضُروب . والفرق بين الحمام الذى عندنا واليمام أن أسفلَ ذنَب الحمامة مما يلى ظهرَها فيه بياضٌ ، وأسفلَ ذنب اليمامة لا بياضَ فيه ، انتهى . ونقل النَّوَوِى فى التحرير عن الأصمعى : أن كل ذات طوق فهى حمام . والمراد بالطوق الحُمْرة أو الخُضْرة أو السواد المحيط بعُنُق الحمامة فى طوقها . وكان الكسائى يقول : الحمام هو البَرِّى ، واليمام الذى يألف البيوت ؛ والصواب ما قاله الأصمعى . ونقل الأزهرىُّ عن الشافعىّ : كلُّ ما عَبَّ وهَدَر وإن تفرقت أسماؤه فهو حمام ، والعَبُّ

بالعين المهملة شِدّة جَرْع الماء من غير تنفُّس، قال ابن سِيدَه : يقال فى الطائر : عبّ ، ولا يقال : شَرِب ، والهدير : ترجيع الصوت ومُواصلتُه من غير تقطيع له ؛ قال الرافعىّ : والأشبه أنّ ما عبّ هدر، قال : فلو اقتصروا فى تفسير الحمام على العبِّ لكفاهم ؛ ويدل عليه أنّ الإمام الشافعى قال فى عيون المسائل : وما عبّ من الماء عبًّا فهو حمام، وما شرب قَطرة قطرة كالدَّجاج فليس بحمام .

(٢) ابن خلدون[1]

فصل من مقدّمته فى وجه الصواب فى تعليم العلوم وطريق إفادته :

اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدًا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا، وقليلًا قليلا، يُلْقِى[2] عليه أوّلًا مسائلَ من كل باب من الفنّ هى أصول ذلك الباب ، ويُقَرِّبُ له فى شرحها على سبيل الإجمال ، ويراعِى فى ذلك قوّةَ عقله واستعدادَه لقبول ما يَرد عليه ، حتى ينتهىَ الى آخر الفنّ . وعند ذلك يحصُل له مَلَكة فى ذلك العلم ، إلا أنها جزئية وضعيفة ، وغايتُها أنها هيّأته لفهم الفنّ ، وتحصيل مسائله . ثم يَرْجِعُ به إلى الفن ثانية فيرفعه فى التلقين عن تلك الرتبة الى أعلى منها ، ويستوفى الشرح والبيان ، ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف

---

(١) هو أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الكاتب المؤرخ المشهور بتاريخه و بمقدمته التى ننقل منها هذا الفصل . نشأ بتونس سنة ٧٣٢ هـ . وتعلم هناك وترقى فى مناصب عدّة حتى مات بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ .

(٢) أى المعلم المفهوم من المقام بحسب السياق الآتى : وعليه ، أى على المتعلم .

ووجهِهِ، الى أن ينتهىَ الى آخر الفنّ، فتجود ملكتَه . ثم يرجع به وقد شدا[1]، فلا يترك عويصا ولا مُبْهَمًا ولا مُغْلَقًا إلا وضّحه، وفتح له مُغلَقه فيخلُص من الفنّ وقد آستولى على ملكته. هذا وجه التعليم المفيد، وهو — كما رأيت — إنما يحصل فى ثلاث تكرارات، وقد يحصل للبعض فى أقل من ذلك بحسب ما يُخْلَق له ويتيسّر عليه . وقد شاهدنا كثيرًا من المعلّمين لهذا العهد الذى أدركنا، يجهلون طرق التعليم وإفاداتِه، ويُحْضِرون المتعلم فى أوّل تعليمه المسائلَ المقفلة من العلم، ويطالبونه بإحضار ذهنه فى حلّها، ويحسبون ذلك مرانة على التعليم وصوابًا فيه، ويكلفونه وَعْىَ ذلك وتحصيلَه، ويخلِطون عليه بما يلقُون له من غايات الفنون فى مباديها، وقبل أن يستعدّ لفهمها؛ فإنّ قبولَ العلم والآستعداداتِ لفهمه تنشأ تدريجا، ويكون المتعلم أوّل الأمر عاجزًا عن الفهم بالجملة إلا فى الأقل، وعلى سبيل التقريب والإجمال، وبالأمثال الحِسية، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرّج قليلا قليلا بمخالفة[2] مسائلِ ذلك الفنّ وتكرارها عليه؛ والآنتقال فيها من التقريب الى الآستيعاب الذى فوقه، حتى تتم الملكة فى الآستعداد، ثم فى التحصيل؛ ويحيط هو بمسائل الفن . واذا ألقيت عليه الغايات فى البدايات، وهو حينئذٍ عاجز عن الفهم والوعى، وبعيد عن الاستعداد له، كَلَّ ذهنه، وحسِبَ ذلك من صُعوبة العلم فى نفسه، فتكاسل عنه، وآنحرف عن قبوله؛ وتمادَى فى هِجرانه . وإنما أتى ذلك من سوء التعليم .

---

(١) شدا : أخذ طرفا من العلم والأدب .

(٢) المخالفة هنا : المداولة، وهى تستلزم التكرار .

(٣) المقـــريزى[1]

من خطبة كتابه "المواعظ والآعتبار فى ذكر الخطط والآثار" :

وبعد، فإنّ علمَ التاريخ من أجلّ العلوم قدْرا، وأشرفِها عند العقلاء مكانة وخَطَرا، لما يحويه من المواعظ والإنذار، بالرحيل الى الآخرة عن هـذه الدار، والآطلاع على مكارم الأخلاق ليُقْتَـدَى بها، وآستعلامِ مَذَامِّ الفعال لِيَرْغَبَ عنها أولو النُهَى. لا جَرَم أنْ كانت الأنفس الفاضلة به وامِقةً[2]، والهِممُ العالية إليه مائلةً وله عاشقةً. وقد صنف الأئمة فيه كثيرا وضمّن الأجلّة كتبهم منهم شيئا كبيرا.

وكانت مصر هى مسقط رأسى، وملعبَ أترابى، ومجمع ناسى، ومَغْنَى عشيرتى وحامّتى[3]، وموطِنَ خاصّتى وعامّتى، وجوِّى الذى رَبَّى جناحَىَّ فى وكْره، وعشّ مآربى فلا تهوَى الأنفس غيرِ ذِكره، لازلتُ مذ شدوت العلم، وآتانى ربى الفطانة والفهم، أرغب فى معرفة أخبارها، وأُحب الإشراف على الكثير من آثارها، وأهوَى مساءلة الركبان عن سكان ديارها؛ فقيَّدتُ بخطّى فى الأعوام الكثيرة من ذلك فوائد قلّما يجمعها كتاب، أو يحويها لِعِزَّتها وغرابتها إهاب؛ إلا أنها ليستْ بمرتّبـة على مِنوال، ولا مُهَذبةٍ بطريقة واحدة ومثال. فأردتُ أن أُلخِّص منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية، عن الأمم الماضية والقُرون الخالية؛ وما بقى بفُسْطاط مصرَ من معاهد

---

(١) هو تقى الدين المقريزى المولود سنة ٧٦٦ هـ. وكان شاعرا كاتبا مؤرّخا توفى سنة ٨٤٥ هـ.

(٢) وامقة : محبة.

(٣) الحامة : خاصة الرجل من أهله وولده.

غيَّرها ـ أو كاد ـ البِلَى والقدم، ولم يبقَ إلا أن يمحو رسمها الفناء والعَدَم؛ وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار العصور الزاهرة، وما اشتملتْ عليه من الخِطَط والأصقاع، وحوته من المبانى البديعة الأوضاع؛ مع التعريف بحال مَنْ أسّس ذلك من أعيان الأماثل، والتنويه بذكرى الذى شادها من سَراة الأعاظم الأفاضل؛ وأنثُر خِلال ذلك نُكتًا لطيفة، وحِكَمًا بديعة شريفة، من غير إطالة ولا إكثار، ولا إجحاف يُخل بالغَرَض ولا اختصار، بل وَسَطٌ بين الطرفين، وطريق بَيْنَ بَيْنَ... الخ .

(٤) شمس الدين محمد النواجى[1]

قطعة من كتابه " حلبة الكميت " فى أنواع الرياح وخصائصها :

والنسيم هى الريح الطيّبة، ونسيم الريح أوّلها حين تُقبل بِلين قبل اشتدادِها، وفى الحديث «بُعِثْتُ فى نسيم الساعة» أى حين ابتدأتْ وأقبلتْ، وما أحسن قول بعضهم : نسيم الريح نَسيبُ الرُّوح، والرياح المعروفة أربع، الصَّبا وتسمى القَبول وهى تُنَفِّس عن المكروب، والجنوب وهى تجمِّع السحاب، والشَّمال وهى تُفرِّقه، والدَّبور وهى تَهْدم البُنيان، وتقلع الشجر، وهى القاصف والصَّرْصَر . وكلُّ ما فى القرآن من لفظ الريح، فالمراد به الدَّبور، ولازمها العقوبة، وكل ما فيه من لفظ

---

(١) ينسب الى قرية نواج من مديرية الغربية بمصر . ولد ونشأ بالقاهرة وبرع فى الأدب والشعر وله عدّة مؤلفات وتوفى سنة ٨٥٩ هـ .

الرياح فهى راجعةٌ الى الثلاثة الأُول، ويراد بها الرحمة. ومن الحديث «نُصِرتُ بالصَّبا وأُهلِكَتْ عاد بالدَّبور»، وقيل الرياح ثمانية: أربع فى الجهات الأربع، وأربع تسمى النَّكْباء لميلها ونكْبها عن الجهات الأربع. والشَّمال من ناحية الشام، وذلك عن يمينك إذا استقبلت قِبلةَ العراق، فهُبوبها من تحت بنات نَعْش، ويقابلها الجنوب والشمال باردة يابسة صافية من الكدر تشدّ الأعضاء، وتُسُدُّ المسامَّ، وتحصُر الحرارة فى الباطن، فينهضم الغِذاء وتصفو بها كُدُورة الروح الحيوانى، الذى فى القلب من الأبخرة الدُّخانية، وتديمُ الصحة، وتقوِّى حواس الدماغ، وذلك إذا وصلت الى الجسم بٱعتدال، وهى قليلة الهُبوب ليلا، وكان الصاحب بن عبّاد يترنم بقول أبي فراس:

هبّتْ لنا ريحٌ شَمَاليـــة ... متّت إلى القلب بأسباب

أدّتْ رِسالاتِ الهوى بيْننا ... عرفْتُها من بين أصحابى

قلت: والله إن الصاحب بن عبّاد لمعذور، فان هذا مما يريح الجماد، وتجمع الشمال على شمائل، ولذلك يحسن فيه التَّوْرية. ومنه قول الشيخ تقى الدين بن حجة:

جاد النسيمُ على الرُّبا ... بنـدَى يديْه وقال لى:

أنَا ما أقصِّر عن نَدَى ... وكما علمتَ شمائلى

والصَّبا تَهُبّ من مطلَع الشمس وتُسمى القَبول، ويقابلها الدَّبور وهى معتدلة ولا سيَّما إن هَبَّت قبل طلوع الشمس فى زمن الربيع، وهى لطيفة صافية وتُذكى الأذهان، وتنفع الأبدان، وتبسُط الأخلاق، لا سيما إن مرت بمُرُوج الأزهار فانها تحمل قُواها الى القلب والدماغ ... الخ.

(٥) ابن خلكان[١]

قطعة من كتابه "وفيات الأعيان" :

كتب يترجم لأبى طالب يحيى بن أبى الفرج سعيد بن أبى قاسم بن زيادة الشّيبانى البغدادى المتوفى سنة ٥٨٣ هـ :

كان من الأعيانِ الأماثِل[٢]، والصدور الأفاضل، انتهت إليه المعرفة بأمور الكتابة والإنشاءِ والحساب، مع مشاركته فى الفِقْه وعلم الكلام[٣] والأصول وغير ذلك. وله النظم الجيد. جالَس أبا منصور بن الجَوَالِيقى، وقَرأ عليه وعلى من بعدَه، وسمِع الحديثَ من جماعة. وخدم الديوان — من صباه إلى أن تُوُفِّىَ — عدّة خدمات. وكان مليح العِبارة فى الإنشاء، جيدَ الفِكرة حُلْو الترصيع، لطيف الإشارة. وكان الغالب فى رسائله العناية بالمعانى أكثر من طلب السجْع. وله رسائل بليغة، وشعر رائق، وفضله أكثر من أن يذكر. وتولى النظرَ بديوان البَصرة وواسط والحِلة، ولم يزل على ذلك الى المحرم سنة ٥٧٥ هـ. ورُتِّب حاجبا بباب المتولى، وقُلِّد النظرُ فى المظالم ثم عُزل عن ذلك.

---

(١) هو قاضى القضاة شمس الدين الأربلى. ولد سنة ٦٠٨ هـ. ثم تنقل فى البلاد حتى نزل دمشق سنة ٦٣٣ هـ. وتولى قضاء الشام ودرس فى عدة مدارس. وتوفى سنة ٦٨١ هـ. اشتهر بكتابه "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" وهو كتاب مفيد فى تاريخ الأشخاص.

(٢) الأماثل : جمع أمثل أى أفضل.

(٣) علم الكلام : علم التوحيد.

(٦) الديار بكرى [1]

وصف استيلاء التتار على بغداد ، من كتابه : " الخميس ، فى أحوال أنفس نفيس " .

وفى سنة أربع وخمسين وستمائة خرج الطاغية العنيد مبيد الأمم هولاكو ، فأخذ قلعة الموت من الإسماعيلية ، وقتلهم وأخرب نواحىَ الرى ، وبذلت السيوف على عوائدهم ، فتوجه الكامل محمد ، صاحب مَيَّافارقين ، إلى خدمة هولاكو ، فأعطاه الفرمان ، ثم نزل هولاكو بأذربيجان وأخذها .

وفى سنة خمس وخمسين وستمائة ثارت فتنة مهولة ببغداد بين السنية والرافضة أدت إلى نهب عظيم وخراب ، وقتل عدّة من الرافضة ، فغضب لها وتمر ابن العلقمى الوزير ، وجسَّر التتارَ على العراق ليشتفىَ من السنِّية .

وفى أول سنة ست وخمسين وستمائة وصل الطاغية هولاكو ، ابن تولى بن جنكيزخان المغلى ، بغدادَ بجيوشه وبالكرَجَ وبعسكر الموصل ، فخرج الدُويدار بالعسكر ، فالتقى بطلائع هولاكو وعليهم ياجنوس ، فانكسر المسلمون لقلتهم . ثم أقبل ياجنوس فنزل على بغداد من غربيِّها ، ونزل هولاكو من شرقيِّها . فقال الوزير ابن العلقمى للخليفة المستعصم بالله : إنى أخرج إلى القاءان الأعظم فى تقرير الصلح . فخرج الكلب وتوثق لنفسه ورجع . فقال : إن القاءان قد رغب فى أن يزوّج بنته بابنك ، وأن تكون الطاعة له كالملوك السلجوقية ويرحل عنك ، فخرج المستعصم فى أعيان دولته وأكابر الوقت ليحضُروا العَقْد ، فضربت رقاب الجميع وقتلوا

---

(١) هو حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى ، نسبة الى ديار بكر ، تولى قضاء مكة ، وتوفى بها سنة ٩٨٢ هـ

الخليفة : ورفسوه حتى مات . ودخلت التتار بغداد واقتسموها، وأخذ كلٌّ ناحية وبقى السيف يعمل أربعة وثلاثين يوما ، وقلَّ من سلِم ، فبلغت القتلى ألف ألفٍ وثمانمائة ألفٍ وزيادة . فعند ذلك نادوا بالأمان ، ثم أمر هولاكو بضرب عنق ياجنوس ، لكونه كاتب الخليفة ، وأرسل إلى صاحب الشام يهدّده إن لم يخرب أسوار بلاده .

كذا فى " دول الإسلام " .

وفى تاريخ الجمالى يوسف : سبب قتل المستعصم بالله أنه لما ولى الخلافة لم يتوثق أمره ؛ لأنه كان قليل المعرفة بتدبير الملك ، نازلَ الهمة ، مهملًا للأمور المهمة ، محبا لجمع المال . أهمل أمر هولاكو وانقاد إلى وزيره ابن العلقمى ، حتى كان فى ذلك هلاكه وهلاك الرعية ، فإن وزيره ابن العلقمى الرافضى كان كتب كتابا إلى هولاكو ملك التتار فى الدشت : إنك تحضر إلى بغداد وأنا أسلمها لك ، وكان قد داخل قلب اللعين الكفر . فكتب هولاكو : إن عساكر بغداد كثيرة ، فإن كنت صادقا فيما قلته ، وداخلا فى طاعتنا ، فرق عساكر بغداد ونحن نحضرُ ، فلما وصل كتابه إلى الوزير، دخل إلى المستعصم وقال : إن جندك كثيرة وعليك كلفة كبيرة ، والعدوّ قد رجع من بلاد العجم ، والصواب أنك تعطى دستورا لخمسة عشر ألفا من عسكرك ، وتوفر معلومهم ، فأجابه المستعصم لذلك . فخرج الوزير لوقته ومحا اسم من ذكر من الديوان ، ثم نفاهم من بغداد ومنعهم من الإقامة بها . ثم بعد شهر فعل مثل فعلته الأولى ومحا اسم عشرين ألفا من الديوان ، ثم كتب إلى هولاكو بما فعل . وكان قصد الوزير بمجىء التتار أشياء منها : أنه كان رافضيا خبيثا ، وأراد أن ينقل الخلافة من بنى العباس إلى العلويين ، فلم يتم له ذلك من عظم شوكة بنى العباس وعساكرهم ، فأفكر أن هولاكو إذا قدم بقتل

المستعصم وأتباعه ثم يعود إلى حال سبيله ، وقد زالت شوكة بنى العباس ، وقد بقى هو على ما كان عليه من العظمة والعساكر وتدبير المملكة ، فيقوم عند ذلك بدعوة العلويين الرافضة من غير ممانعٍ لضعف العساكر ولقوته ، ثم يضع السيف فى أهل السُّنَّة .

فهذا كان قصده لعنه الله .

ولما بلغ هولاكو ما فعل الوزير ببغداد ركب وقصدها إلى أن نزل عليها ، وصار المستعصم يستدعى العساكر ويتجهز لحرب هولاكو ، وقد اجتمع أهل بغداد وتحالفوا على قتال هولاكو ، وخرجوا إلى ظاهر بغداد ، ومشى عليهم هولاكو بعساكره فقاتلوا قتالا شديدا ، وصبر كل من الطائفتين صبرا عظيما ، وكثرت الجرحى والقتلى فى الفريقين ، إلى أن نصر الله تعالى عساكر بغداد وانكسر هولاكو أقبح كسرة ، وساق المسلمون خلفهم وأسروا منهم جماعة ، وعادوا بالأسرى ورءوس القتلى إلى ظاهر بغداد ، ونزلوا بخيمهم مطمئنين بهروب العدو ، فأرسل الوزير ابن العلقمى فى تلك الليلة جماعة من أصحابه فقطعوا شطر الدجلة . فخرج ماؤها على عساكر بغداد وهم نائمون ، فغرِقت مواشيهم وخيامهم وأموالهم ، وصار السعيد منهم من لقِى فرسا يركبها . وكان الوزير قد أرسل إلى هولاكو يعرفه بما فعل ، ويأمره بالرجوع إلى بغداد . فرجعت عساكر هولاكو إلى ظاهر بغداد فلم يجدوا هناك من يردّهم ؛ فلما أصبحوا استولوا على بغداد ، وبذلوا فيها السيف ، ووقع منهم يطول شرحها .

والمقصود أن هولاكو استولى على بغداد وأخذ المستعصِم أسيرا ، ثم بذل السيف فى المسلمين ، فلم يرحم شيخا كبيرا لكِبرِه ، ولا صغيرا لِصغره .

ولما أخذ الخليفة أسيرا هو وولده أحضر بين يديه ، وأمر به هولاكو ، فأخرج من بغداد ، وأنزله بخيم صغير بظاهر بغداد هو وولده . ثم فى عصر ذلك اليوم وضع الخليفة وولده فى عِدلين (١) وأمر التتار برفسهما إلى أن ماتا فى المحرم سنة ست وخمسين وستمائة ، ثم نهبت دار الخلافة ومدينة بغداد حتى لم يبق فيها لا ما قل ولا ما جل . ثم أحرقت بغداد بعد أن قتل أكثر أهلها ، حتى قيل إن عدة من قتل فى نوبة هولاكو يزيد على ألفِ ألفٍ وثلاثين ألف إنسان. وانقرضت الخلافة من بغداد بقتل المستعصم هذا ، وبقيت الدنيا بلا خلافةٍ سنين إلى أن اقام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى بعض بنى العباس فى الخلافة ، حسبما يأتى ذكره على سبيل الاختصار .

وكانت خلافة المستعصم خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما ، وتقدير عمره سبع وأربعون سنة . وزالت الخلافة من بغداد .

قال الشاعر :

خلت المنابر والأسِرة منهم فعليهم حتى الممات سلام

أما الوزير ابن العلقمى فلم يتم له ما أراد من أن التتار يبذلون السيف فى أهل السنة ، فجاءوا بخلاف ما أراد ، وبذلوا السيف فى أهل السنة والرافضة كلهم ، وهو فى منصبه مع الذل والهوان ، وهو يظهر قوة النفس والفرح وأنه بلغ مراده ، فلم يلبث أن أمسكه هولاكو بعد قتل المستعصم بأيام ووبخه بألفاظ شنيعة معناها : أنه لم يكن له خير فى مخدومه ولا فى دينه ، فكيف يكون له خير فى هولاكو ؟ ثم إنه قتله شر قِتلة ، فى أوائل سنة سبع وخمسين وستمائة .

إلى سقر ، لا دنيا ولا آخرة !

---

(١) العدل بكسر العين : الجوالق (الشوال) .

(٧) الشيخ شهاب الدين أحمد الأبشيهى [١]

قطعة من كتابه " المستطرف ، من كل فن مستظرف " فى علو الهمة وشرف النفس :

أما علوُّ الهِمة فهو أصل الرياسة، فِممَّن علتْ همتُه وشرُفتْ نفسُه عُمارة بن حمزة، قيل إنه دخل يوما على المنصور وقعد فى مجلسه ؛ فقام رجل وقال : مظلومٌ يا أمير المؤمنين ! قال : من ظلمك ؟ قال : عمارة بن حمزة غصبَنى ضَيْعتى ! فقال المنصور : يا عمارة قم فاقعد مع خَصْمك ، فقال : ما هُوَ لى بخصم ، إن كانت الضيعةُ له فلستُ أنازعه فيها ، و إن كانتْ لى فقد وهبْتها له ؛ ولا أقوم من مقام شرّفنى به أمير المؤمنين ، و رفَعَنى وأقْعَدنى أدنى منه ، لأجْلِ ضيعة !

وتحدّث السفّاح هو وأم سلمة يوما فى نزاهة نفْس عمارة وكبره ، فقالت له : أدع به وأنا أهَب له سُبْحَتِي هذه ، فانّ ثمنَها خمسون ألف دينار ، فان هو قَبِلها عَلِمْنا أنه غير نزه النفس . فوجه اليه الدعوة فحضر فحادثته ساعة ثم رمت اليه بالسبحة وقالت : هى من الطرف ، وهى لك . فجعلها عمارة بين يديه ، ثم قام وتركها . فقالت : لعله نَسِيَها . فبعثتْ بها اليه مع خادم ، فقال للخادم : هى لك . فرجع الخادم ، فقال : قد وهبها لى ، فأعطتْ أمُّ سلمةَ للخادم ألفَ دينار ، واستعادتْها منه .

وأهدى عُبيد الله بنُ السرى إلى عبد الله بن طاهر لما وَلِىَ مِصْرَ مائةَ وصِيف ، مع كل وصيف ألف دينار ، ووجه اليه بذلك ليلا ، فردّه وكتب اليه : لو قبِلتُ هديّتَكَ ليلا ، لقبِلْتها نهارا ؛ « فما آتانِىَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ » .

---

(١) من أدباء النصف الأول من القرن التاسع .

(وكان) سببُ فتح المعتصم عَمُّورِيَّةَ أن امرأةً من الثَّغْر سُبِيَتْ فنادتْ : وامحمداه! وامعتصماه! فبلغه الخبرُ. فركِبَ لوقْته، وتبعه الجيش. فلمّا فتحها قال : لَبَّيْكِ أيتها المنادية!

(١)

وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نَخْوة وهمة، قيل له فى مَرَضِه : إنّ المريض يستريح الى الأَنين، والى شرح ما به الى الطبيب. فقال : أما الأنين فهو جَزَع وعار، والله لا يسمَع اللهُ منى أنينا، فأكونَ عنده جَزُوعا. وأما وصف ما بى الى الطبيب فوالله لا يحكم غيرُ الله فى نَفْسى، إن شاء أَمْسَكَها، وإن شاء قبضها.

ومن كِبَر النفْس ما رُوى عن قيس بن زهير أنه أصابته الفاقة، فكان يأكل الحنظل حتى قتله، ولم يخبر أحدا بحاجته.

(٢)

ومن الشرف والرياسة حِفظُ الجوار وَحَمْىُ الذِّمار. وكانت العرب ترى ذلك دِينا تدعو اليه، وحقا واجبا تحافظ عليه. وكان أبو سفيان بن حرب إذا نزل به جار قال : يا هذا إنك آخَتْرتَنى جارا، واخترتَ دارى دارا، فجنايةُ يَدِكَ علىّ دونك، وإن جنَتْ عليك يدٌ فآحتكم حكم الصبىّ على أهله.

(٣)

وكان الفَرزْدق يُجير من عاذَ بقبر أبيه غالب بن صَعْصَعة؛ فممن آستجار بقبر أبيه فأجاره امرأة من بنى جعفر بن كلاب، خافتْ لمّا هجا الفرزدق بنى جعفر أن يُسمِيَها وينسبَها، فعاذتْ بقبر أبيه، فلم يذكر لها آسما ولا نسبا ولكن قال :

عجوزٌ تصلى الخمسَ عاذتْ بغالبٍ ... فلا والذى عاذت به لا أضيرُها

وقال مَرْوانُ بنُ أبى حفصة :

(٤)

هُم يمنعون الجارَ حتى كأنما ... لِجَارهم بين السِّماكَيْنِ مَنزِلُ

---

(١) النخوة : الافتخار والتعظم، يريد هنا : شجاعة النفس (٢) الذمار : كل ما يلزمك حمايته من أهل الوطن. (٣) أى اقض بما شئت، فنحن نالون على حكمك.
(٤) السماكان، كوكبان نيران، يقال لاحدهما السماك الرامح، وللآخر السماك الاعزل.

تم طبع هذا الكتاب فى يوم ٢٨ رمضان سنة ١٣٦٤
(٥ سبتمبر سنة ١٩٤٥) ٤

مدير المطبعة الأميرية

حامد خضر

المطبعة الاميرية ٦٩٧-١٩٤٥-٨٧٠٠

1000006874O

PJ
7510
I 83x
v.1-2
c.1

MAR - 1978

b. 12324358
i. 13651882